The Evangelical Studies (3) دِرَاسات إنجيلية (٣)

فَلسَفَةُ المَسِيحِيَّة

* الرَّسُولُ وَرَسَائِلِهُ

The Philosophy of the Christianity

* St. Paul and his Letters

الأرشمِندريْت يُوسف درّة الحدّاد

Archimandrite Youssef Durrah al-Haddad

دِرَاسَاتٌ إنجيلية

مصَادرُ الوَحي الإنجيلي

٣

فلسَفَة المسيحيَّة

الأستاذ يوسف درة الحداد

دِرَاسَاتٌ إنجيلية

مصَادر الوَحي الإنجيلي

٣

فلسَفَة المسيحيَّة

في رسـائل بولس، للمسـيحيين من الأمميـين
ورسائل بعض الرسل، للنصارى من بني إسرائيل

الرَّسُولُ وَرَسَائِلهُ

إهداء

إلى روح بولس الخـــالدة ــ مع المسيح

إلى معلم المسيحية الأول ــ بعد المسيح

إلى بطل المسيحية الأول ــ بعد المسيح

أرفع هذا الكتاب، في يوبيله المئوي التّاسع عشر

الأستاذ يوسف درة الحداد
(٢٩ حزيران ١٩٦٨)

صورة بولس، الرسول البطل

نراها في رسائله كلها. ونقتطف هذه اللوحات الثلاث، من صــراعه فــي كــورنثس عاصمة الحكمة والفساد، مع أخصامه النصارى من بني إسرائيل، الذين كانوا يطعنــون فــي سيرته ورسالته ودعوته.

•

اللوحة الأولى: الإخلاص في الدعوة

« لقد رُحمنــا فقُلدنا تلك الخــدمة لــذلك فنحــن لا نتهــاون فيهـــا.
بل ننــبذ خفايــا التضليــل عنــا ولا نسلك بمكر، ولا نحرّف كلام الله
بل بكشــف الحقيــقة نكشــف أنفســنا
بين النـــاس، ولدى كل ضمير، أمام الله!
ولئن كان انجيلنا لا يزال محجوباً فإنما هو محجــوب عــن الهالكيــن!
أولئــك الكفــار قــد أعمــى بصائرهــم إلــه هــذا الــدهــر
لئلا يُضيء لهــم نــور الإنجيــل بمجد المسيح، الــذي هو صورة الله!
فلسنا ندعو لأنفســنا، بل للمسيح يســوع
الــرب! أما نحن فعبيد لكــم من أجل يسوع
لأن الله القــائل « ليُشرق من الديجــور
نــور » هــو الــذي أشــرق في قلوبنــا
وذلك لكي تســطع فيهــا معرفــة مجــد الله على وجــه المســيح!
وهذا كنز نحمله في آنية من خزف ليكــون فضل القــوة لله، لا منّــا.

فـي كل شيء، نحن مضايقــون، لا محطّمون!
في أمرنـــا محيّــرون، لا يائســـون!
مضطهــدون، لا مخذولــون! منبــوذون، لا هالكــون!
حاملون في الجسد دائماً موت يسوع لتظهر في جسدنا أيضاً حياة يسوع
فدائما نُسلم أحياء للمــوت لأجــل يســوع
لتظهر في جســدنا المائت حياة يسوع
فالموت يعمل فينـــا والحياة فيكم »
(٢ كو ٤: ١ ــ ١٢)

•

اللوحة الثانية: الاستشهاد المتواصل في خدمة الله

« قيل: اســتجبت لك في وقت الرضـــى
وأغثتــك في يــوم الخـــلاص »!
فهـــا هـــوذا الآن وقــت الرضـــى وها هـــوذا الآن يـــوم الخلاص!
لا نجعل لأحــد ســبيلاً للعثــار لئـــلا ينـــال خدمتنـــا لـــوم
بل في كل شيء نظهــر بمظهــر خـــدام الله ، بالصبــر الجميــل
في المضائق والشــدائد والمشــقات في الجلد والسجون والاضطرابات
في الأتعاب والأســـهار والأصـــوام في العفـــاف والعــلم والحــلم
في الرفــق والقــدس والمحبة الخـــالصة
في كلام الحق وقدرة الله وسلاح البر
عن اليمين وعن اليسار، في الكرامة والهـــوان، في سوء الذكر وحسنه
كأنـــا مُضلّون ونحـــن الهـــادون كأنا مجهولون، ونحن المعروفون!
كأنـــا مائتـــون ونحن القائمـــون! كأنا مؤدبون، ونحن الصـــامدون!

كأنا محزونون، ونحن دائماً فرحون كأنا معوزون، وبنا يغتني الكثيرون
كأنـّا لا نحوز شيئاً ونحن نملك كل شيء
(٢ كو ٦: ٢ ـ ١٠)

•

اللوحة الثالثة: الجهاد الجميل في سبيل المسيح

« أقول أيضاً: لا يحسبنّي أحد جاهلاً!
مع ذلك فاقبلوني كجاهل لافتخر قليلاً
ما أقوله لا أقوله بحسب الرب، بل كأنما عن جهل، من حيث الفخر
كثيرون يفتخرون فخراً بشريّاً وأنا أيضاً سأفتخر مثلهم!
وأنتم الحكماء ترتضون الجهلاء أجل ترتضون من يستعبدكم!
ومن يستأكلكم، ومن يسلبكم! ومَن يتكبر عليكم، ومن يلكمكم
فعن خجلٍ أقول كيف كنا ضعفاء،
وما يباهي به أحد، أقول عن جهل، به أباهي
أعبرانيون هم؟ ـ فأنا كذلك! أإسرائيليون هم؟ ـ فأنا كذلك!
أذرية. إبراهيم هم؟ ـ فأنا كذلك!
أخدام المسيح هم؟ ـ أقول هاذياً: أنا أكثر!
في الأتعاب أكثر! وفي السجون أكثر!
في الجلد ، بلا حدّ! في أخطار الموت مراراً!
جلدني اليهود خمس مرات أربعين جلدة ، إلاّ واحدة!
ضُربت بالعصي ثلاث مرات! رُجمتُ بالحجارة مرّة!
انكسرت بي السفينة ثلاث مرات! قضيت في الغمر ليلاً ونهاراً!
وطالما وقعت في الأسفار في كثير من الأخطار!
أخطار السيول! وأخطار اللصوص!
أخطار من أمتي! وأخطار من الأمميين!

أخطار في المدينة! وأخطار في البرية!
أخطار في اليمّ وأخطار بين الأخوة الكاذبين!
في التعب والكدّ! في الأسهار الكثيرة!
في الجوع والعطش! في الأصوام الكثيرة!
في البرد والعري! وفوق هذه كلّها،
ما يتراكم عليّ كل يوم! والاهتمام بالكنائس جميعها!
فمن الذي يضعف؟ ولا أضعف أنا!
ومن الذي يعثر؟ ولا أعثر أنا!
إن كان لا بدّ من الافتخار فسأفتخر بأحوال هواني
والله أبو ربنا يسوع المسيح المبارك إلى الأبد عالم أني لا أكذب!
(٢ كو ١١: ١٦ ــ ٢٩)

●●●

تمهيد عام

تفصيل الإنجيل هو فلسفة المسيحية وكلامها

لقد كلّف السيد المسيح كل تلميذ له بنشر دعوته، واختار من بينهم « اثنين وسبعين » للقيام بالدعوة (لوقا ١٠: ١ ــ ٢٤). لكنه اصطفى من بينهم « الاثني عشر ». وسمّاهم « رسلاً » له، فكانوا صحابته (مرقس ٣: ١٣ ــ ١٤) في دعوته، ودعاته من بعده. وقبل ارتفاعه حيّاً إلى السماء أولاهم سلطانه في الرسالة لكي « يُتلمذوا جميع الأمم » (متى ٢٨: ١٨ ــ ١٩)، وكلفهم بالدعوة الإنجيلية: « قال لهم: اذهبوا في العالم أجمع وادعوا بالإنجيل الخليقة كلها » (مرقس ١٦: ١٥). **فهم أهل السلطة والعصمة في تبليغ الإنجيل وتفصيله.** وبعد رفعه إلى السماء اصطفى إلى جانبهم، بطريقة استثنائية، شاول الطرسوسي ليكون الرسول بولس.

١ ــ عصمة رسل المسيح، دعوة وكتابة

إن العصمة في الدعوة ميزة الأنبياء. ومن ميزات السيد المسيح على الأنبياء والمرسلين أنه سلّم **سلطانه المعصوم** إلى رسله « الاثني عشر »، وإلى مَن دعاه دعوة خاصة لرسالته، بولس الرسول. بهذا التسليم والولاية يختتم الإنجيل (متى ٢٨: ١٦ ــ ٢٠؛ مرقس ١٦: ١٥ ــ ١٦؛ لوقا ٢٤: ٤٧؛ يوحنا ١٤: ١٨ ــ ٢١؛ ٢٠: ٢٢ ــ ٢٣؛ أع ١: ٨؛ ٢: ٣٨). فقبل ارتفاعه، « دنا يسوع وكلمهم. قال: لقد أوتيت كل سلطان في السماء وفي الأرض: فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (متى ٢٨: ١٨ ــ ١٩)؛ فسلطانهم في الدعوة المعصومة من سلطان المسيح نفسه. وعصمتهم من عصمته، بحضوره الدائم معهم ومن خلفائهم إلى يوم الدين: « وها أنا ذا

معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (متى ٢٨: ٢٠). هذا هو السلطان المعصوم الذي أيـدهم به، في تبليغ الإنجيل وتفصيله.

وهو سلطان شامل كامل. سلطان التقديس: « عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ». سلطان التعليم: « وعلموهم ». سلطان الإدارة والقضاء: « أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به ». تلك كانت وصية المسيح الأخيرة لهم. وفيها عصمتهم دعوة وكتابة، في سلطانهم الشامل الكامل.

ومع تأييده الشخصي، بحضوره الدائم معهم، وعدهم بتأييد الروح القدس، « الفارقليط »: « وأنا أسأل الآب فيعطيكم فارقليط آخر، ليقيم معكم إلى الأبد، روح الحق... يقيم معكم، ويكون فيكم » (يوحنا ١٤: ١٥ ـ ١٧). فروح الله يكون معهم بإقامته فيهم والعمل بهم. وهذا هو عمله فيهم ومعهم وبهم: « أما الفارقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، فهو الذي يعلمكم الكل، ويذكركم بجميع ما قلت لكم » (يوحنا ١٤: ٢٦). فهو الذي يعصمهم في تبليغ الإنجيل وفي تفصيله. فشهادتهم للمسيح من شهادة روح الله نفسه: « ومتى جاءَ الفارقليط الذي أرسله إليكم من الآب، روح الحق الذي ينبثق من الآب، فهو يشهد لي، وأنتم أيضاً تشهدون، بما أنكم معي منذ البدء » (يوحنا ١٥: ٢٦) إنها شهادة التاريخ وشهادة الوحي معاً. فالروح القدس، « الفارقليط »، يُنزله عليهم الله الآب والمسيح الرب معاً: لذلك فشهادة الرسل للمسيح والإنجيل هي شهادة إلهية، شهادة الله الآب، وشهادة المسيح الرب، وشهادة الروح القدس. هذه هي العصمة المطلقة في شهادتهم دعوةً وكتابةً.

وهي شهادة غالبة، بالرغم من مؤامرات إبليس وأعوانه من البشر: « ومتى جاءَ (الروح القدس) فإنه يفحم العالم بشأن الخطيئة والبرّ والدينونة. فبشأن الخطيئة لأنهم لم يؤمنوا بي. وبشأن البرّ لأني منطلق إلى الآب ولا ترونني من بعد[1]. وبشأن الدينونة، لأن زعيم هذا العالم قد دين » ـ باستشهاد

---

(١) قوله « لا تروني من بعد » إشارة تدل على أن حديث الوعد بالفارقليط في (يوحنا ١٥ و١٦) كان بعد القيامة بما أنهم رأوه بعد قيامته « مدة أربعين يوماً ». وقد أنزلها يوحنا بين الفصلين (١٤ و١٧) استطراداً وتكميلاً للوعد بالفارقليط ليلة العشاء السري. فكان الوعد بالروح القدس، الفارقليط، على دفعتين، في العشاء السري، ثم قبل ارتفاعه إلى السماء.

المسيح (يوحنا ١٦: ٨ ــ ١١) ستغلب شهادة الرسل والتابعين لهم بإحسان إبليس الرجيم، والعالم الكافر بالمسيح، لأنها شهادة البرّ والإيمان، المنتصران على الإثم والضلال.

وهي شهادة كاملة شاملة: « ومتى جاء روح الحق، فإنه يرشدكم إلى الحقيقة كلها » (يوحنا ١٦: ١٣). فلا نبوة من بعدهم ولا وحي. بهم يتم تنزيل الوحي كله، ختام وختم كتاب الله.

فبتأييده الشخصي لهم، وبتأييد الروح القدس، الفارقليط، روح الحق، عصم المسيح رسله دعوةً وكتابةً. وفي سلطانهم المعصوم ميزتهم الثنائية في حفظ الوحي الإنجيلي وتدوينه، في تبليغه وتفصيله، على كل صحابة ودعاة.

●

٢ ــ الضرورة لتفصيل الإنجيل في تبليغه

إن صحابة المسيح ورسله كان لا بدّ لهم من تفصيل الإنجيل عند تبليغه للعالمين، بإبراز شخصية المسيح، مع دعوته، على نور استشهاده وقيامته وارتفاعه إلى السماء. وقد فعلوا ذلك في الإنجيل بأحرفه الأربعة بنقل أعماله ووصف أحواله، مع أقواله المنزلة؛ وخصوصاً في رسائلهم التي هي التفصيل الموحى للإنجيل، للتعريف بمعنى وسر المسيح.

حملهم على ذلك **ضرورة وجودية**. فعلى نور القيامة وارتفاع المسيح إلى السماء، وعلى وحي الروح القدس النازل عليهم يوم العنصرة، استنارت شخصية المسيح التاريخي، واستبانت لهم أبعاد دعوته. فكانت الضرورة الوجودية، على ضوء ذينك النورين، من الواقع ومن الوحي القدسي، للتعريف الأوفى بالمسيح والإنجيل.

وحملهم أيضاً **ضرورة بيانية**. فالرسل، في تبليغ الدعوة والسيرة، يحتكّون ببيئات مختلفة في التفكير والتعبير. فكان عليهم أن يتجاوبوا معها، ينفعلون بها، ويفعلون فيها، فيتفاعلون معها، في التفكير والتعبير. وهذا هو تفصيل الإنجيل، بحسب البيئات المختلفة في ثقافتها.

وحملهم كذلك **ضرورة اجتماعية**. إن المجتمعات البشرية تختلف بحضارتها، كما تختلف بثقافتها. ولكل مجتمع عاداته ومميّزاته التي تطبع ثقافته وحضارته بطابعها. فعلى الرسل والتابعين لهم بإحسان أن يفصّلوا الدعوة والسيرة في التبليغ بحسب المجتمعات المختلفة: فوضعوا رسائلهم، بوحي الروح القدس، لتفصيل الإنجيل في تبليغه.

•

٣ ـ أساليب الدعوة الرسولية بالإنجيل

لقد اتّبع الرسل، صحابة المسيح، ثلاثة أساليب، في تبليغ الوحي الإنجيلي.

بدأوا الدعوة « **بالبلاغ**[١] » الرسولي في المسيح والإنجيل. نجد له صيغاً عديدة في الأعمال والرسائل (١ كو ١٥: ١ ـ ٥). والبلاغ يقصد أهل الخارج من كتابيين وأمميين.

وكان بجانب الرسل مؤسسة « الإنجيليين » الذين يروون السيرة والدعوة كما سمعوها من الرسل. فاكتسبت الرواية في مشاهد الدعوة ومواقفها صيغها في الإنجيل الشفوي قبل تدوينه في الإنجيل المكتوب.

والإنجيل الشفوي هو « **التعليم**[٢] » الذي يُعطى للمسيحيين. وهو تفصيل البلاغ الرسولي (أع ٢: ٢٢؛ ١٠: ٣٨) كما نرى في الإنجيل بحسب مرقس.

وهذا « التعليم » الرسولي كان له « صيغة » موروثة بالتواتر والإجماع يتقيد بها جميع الرسل، حتى بولس نفسه، الذي يوصي بها خلفاءَه من بعده؛ إنها « صيغة الإيمان » (رو ١٢: ٦)، « صيغة الكلام الصحيح » (٢ تيم ١: ١٣). فكانت تلك « الصيغة » الرسولية أساساً لدستور الإيمان في صيغه المتعددة.

---

(١) في اليونانية κήρυγμα ونقلوه بحرفه إلى اللغات العصرية Kérigme .
(٢) في اليونانية διδαχή التي نقلوها بحرفها didachée أو catéchèse .

وتجاه تحدّي الحكمة الهلينية. ثم الغنوص الهلنستية، كان لا بدّ للمسيحية من إبراز **حكمة الإنجيل** التي تتحدى كل حكمة، و« **الغنوص السامية** » التي تفوق كل غنوص، لأن « في المسيح كنوز الحكمة والغنوص كلها » (كول ٢: ٣). هذا ما فعله الرسل، وخصوصاً علاّمتهم بولس، في رسائلهم.

فرسائل بولس هي حكمة الإنجيل وغنوص الإنجيل.

تلك هي الأساليب الثلاثة للدعوة الرسولية في تفصيل الإنجيل.

•

٤ ــ تفصيل الإنجيل بحسب البيئات المختلفة

بحسب البيئات المختلفة قوميةً وثقافة وحضارة، تنوّع تفصيل الإنجيل والتعريف بالمسيح. فكان ذلك ثراءً في تبليغ الوحي الإنجيلي.

وفي الواقع، نرى في رسائل « العهد الجديد » أربع بيئات ثقافية تقسم تلك الرسائل إلى أربعة أساليب في عرْض حكمة الإنجيل أي الكلام المسيحي.

البيئة الكتابية كما نراها في « الرسائل الكاثوليكية ».

البيئة الهلنستية كما نشاهدها في رسائل بولس.

البيئة الاسكندرية كما تظهر من الرسالة إلى العبرانيين.

البيئة السورية الأسيوية كما تتجلي في رسائل يوحنا.

وبما أن رسائل يوحنا تميل بحسب بيئتها إلى الصوفية، فإننا ندع درسها إلى كتابنا « صوفية المسيحية ».

وبما أن بولس أول من كتب في المسيحية، لتفصيل الإنجيل وبيان حكمته، نبدأ به في هذا الكتاب الأول: فلسفة المسيحية في البيئة الهلنستية.

•

٥ ــ دور بولس في تفصيل الإنجيل، ونقله إلى البيئة الهلنستية.

لبولس فضل ثلاثي على المسيحية: إنه المتكلم الأول والأفضل في تفصيل الإنجيل؛ وهو الذي قاد حركة تحرير المسيحية من الموسوية في الشريعة والختان؛ وهو الذي نقل المسيحية إلى البيئة الهلنستية، فعمل على « تَهْلين » المسيحية مع الحفاظ على أصالتها. وفضل المتكلم الملهم يظهر من دوره في تحرير المسيحية من الشريعة؛ وفي توطين المسيحية في العالم الهلنستي؛ وفي بيان حكمة الإنجيل وصوفيته.

منذ مطلع العهد الرسولي **نشأ تفسيران للدعوة الإنجيلية:** تفسير النصارى من بني إسرائيل، بزعامة آل البيت، وعلى رأسهم يعقوب « أخو الرب »، أول أسقف على أورشليم، من دون أحد الرسل، وهذا **التفسير** « **النصراني** » يقول بإقامة التوراة والإنجيل معاً، والعمل بالختان والعماد معاً (أع ١٥: ١ ــ ٥). فكان « النصارى » أهل الشيعة، تشيعوا للتوراة، وتشيعوا لأهل البيت؛ **وتفسير المسيحيين**، الذي نادى به التلاميذ من الشتات، بقيادة مدرسة اسطفان، وخصوصاً مدرسة بولس الرسول، وهم يقولون بإقامة الإنجيل وحده، وتحرير المسيحية من الموسوية، لبيان عبقريتها، وإظهار عالميتها كما أرادها مؤسسها السيد المسيح. وهذا التفسير المسيحي كان بطله بولس الرسول الذي أرسى المسيحية الحقة على قواعدها الخالدة. وقد اعتنق التفسير المسيحي جميع المسيحيين من الأمميين بدعوة بولس وزعامته، فكانوا أهل السُنّة، لأنهم تبعوا سُنّة الرسل في مجمعهم بأورشليم سنة ٤٩ الذي أفتى بصحة تفسير بولس ومدرسته. وجاءَ التاريخ فأكد صحة فهم بولس « لحقيقة الإنجيل » (غلا ٢: ٥). فبعد الحرب السبعينية « تنصّر » مَن نجا من جماعة قمران، و« نصّروا » معهم « حقيقة الإنجيل » على ضوء التوراة والغنوص، فاعتزلت « النصرانية » الإسرائيلية على نفسها، حتى انعزلت في الحجاز، واشتركت في الدعوة الإسلامية وذابت فيها، بعد أن صارت المسيحية دين الدولة في « المسكونة »؛ فشاعت وشعّت وتخلّدت.

ودور بولس الثاني كان في توطين المسيحية في العالم الهلنستي، وذلك في « تهلينها » باستخدام التفكير والتعبير الهلنستي لمخاطبة القوم على قدر

عقولهم. فقامت الشبهة على بولس منذ النصارى من بني إسرائيل إلى اليوم بأنه حرّف الإنجيل في تَهْلينه. فقام بينهم وبين بولس صراع عنيف في « حقيقة الإنجيل » (غلا ٢: ٥). **وهذا هو الصراع الذي يملأ رسائله كلها** مع « الأخوة الكاذبين، الذين اندسوا خلسة في ما بيننا[1]، ليتجسّسوا حريتنا، تلك التي لنا في المسيح يسوع. بقصد أن يستعبدونا (للشريعة والختان). غير أنّا لم ننقد لهم في شيء، ولا لحظة، لتدوم لكم حقيقة الإنجيل » (غلا ٢: ٤ ــ ٥). فصراع بولس الأكبر كان مع النصارى من بني إسرائيل، وقادتهم من الفريسيين « المتنصرين »، باسم الشريعة الخالدة، كما نرى في الرسائل الكلامية؛ ثم باسم الغنوص كما نرى في الرسائل الصوفية؛ ثم باسم السُنّة كما نرى في الرسائل الراعوية.

مع أن فهم بولس للإنجيل كان فهم الرسل صحابة المسيح أنفسهم. ففي البلاغ الأول الذي أطلقه بطرس، باسم الرسل، يوم العنصرة يقول: « فليعلم جميع بيت إسرائيل أن الله قد أقام يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، ربّاً ومسيحاً » (أع ٢: ٣٦). وفي البلاغ الأول إلى الأمميين يقول: « وقد كلفنا أن نبلّغ الشعب، ونشهد بأنه هو الذي أقامه الله ديّاناً للأحياء والأموات » (أع ١٠: ٤٢) أي رب العالمين وملك يوم الدين. وكان النصارى من بني إسرائيل، مع تشيعهم للتوراة، يؤمنون بالمسيح، لكنهم لا يدينون به رب العالمين وملك يوم الدين، كما في البلاغ الرسولي. وعلى هذا البلاغ الرسولي بنى مرقس، ترجمان بطرس، الإنجيل منذ عنوانه: « بدء إنجيل يسوع المسيح، ابن الله » (١: ١)؛ كما في خاتمته، على لسان القائد الروماني الذي شاهد استشهاد المسيح فشهد: « في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله » (١٥: ٣٩).

وهذه هي فلسفة المسيحية بحسب بولس: « ان اليهود يسألون آية؛ والهلّينيين يطلبون حكمة. أما نحن فندعو بالمسيح مصلوباً، شكّاً لليهود،

---

(١) يقصد بولس بهم الفريسيين الذين « تنصّروا » لاستمالة أهل الإنجيل إلى شريعة موسى واليهودية. فطبعت حركتهم « النصرانية » بطابعها بعد العهد الرسولي، وخصوصاً بعد « تنصّر » جماعة قمران. قابل (أع ١٥: ١ ــ ٥).

وتجهيلاً للهلينيين. وأما للمدعوين من اليهود والهلينيين، فالمسيح هو قوة الله وحكمة الله » (١ كو ١: ٢٢ ـ ٢٤). فدعوة بولس هي دعوة الرسل صحابة المسيح (١ كو ١٥: ١١)، ودعوة الإنجيل في حرفه الأول بحسب مرقس. وفضل بولس الأكبر أن عبقريته أبانت عبقرية المسيحية. فكانت رسائله فلسفة المسيحية، وأساس الكلام المسيحي عبر الدهور.

•

إن الوحي الإنجيلي لا يقتصر على الإنجيل وحده في أحرفه الأربعة، بل هو قائم في « العهد الجديد » كله. في الإنجيل تنزيل، وفي الرسائل تفصيل. فلا يكفي الإنجيل وحده لمعرفة المسيح حقّ معرفته، وفهم المسيحية حق فهمها. فالإنجيل موجز للوحي الإنجيلي، بحسب شهادته نفسه (يوحنا ٢١: ٢٥). أما تفصيل الوحي الإنجيلي فهو في سائر أسفار « العهد الجديد »، ومنها خصوصاً رسائل بولس. إننا ندرك سرّ المسيح والمسيحية في تفصيل الإنجيل، بحسب بولس، أكثر منه في تنزيل الإنجيل. فالإنجيل بحروفه الأربعة يروي لنا الواقع المسيحي؛ أما بولس فهو الذي، بروح الله، يفصّل لنا سر المسيح والمسيحية (١ كو ٢: ٦ و١١) في حكمة الإنجيل. والحدث التاريخي الضخم أن بولس كتب رسائله قبل تدوين الإنجيل؛ فكان الكاتب الأول تاريخاً ومنزلة في المسيحية.

ويكفي بولس فخراً أنه نقل الإنجيل من الواقع المسيحي إلى الكلام المسيحي! ومن الصيغة الكتابية السامية إلى الصيغة الهلينية التي ترشحه للشمول والخلود.

فرسائل بولس هي تفصيل الإنجيل أو فلسفة المسيحية، في البيئة الهلنستية. كما أن رسائل سائر الرسل (ما عدا يوحنا) هي فلسفة المسيحية في البيئة الإسرائيلية.

۞ ۞ ۞

مدخل

لدرس الرسول ورسائله

نرى في هذه التوطئة العامة منزلة الرسول والرسالة، ومصـــادر ســـيرته، والقـــرائن التاريخية التي تساعد على تقييم تقويم لسيرة بولس ودعوته.

أولا: منزلة الرسول والرسالة

ان بولس هو، بعد السيد المسيح، **رسول المسيحية الأول**، دعوةً وكتابةً. قال أحـــدهم: بولس هو « الأول بعد الوحيد ». فقد دعاه الله ــ وهو أعلم حيـــث يضـــع رســـالته ــ لنقـــل المسيحية من صيغتها الإسرائيلية إلى الهلينية التي ترشحها للشمول والخلـــود؛ ومـــن الواقـــع التاريخي إلى الكلام المسيحي الذي يثبت أصولها، وينمي فروعها، كما قلنا.

ونعرف منزلة بولس في المسيحية وتاريخ البشرية، من تدوين رسائله مـــع الإنجيـــل بأحرفه الأربعة، في « العهد الجديد ». فهو مكوّن من الإنجيل ورسائل بولس: فـــي الإنجيـــل التنزيل، وفي الرسائل التفصيل.

نكاد لا نعرف شيئاً، ولم يبقَ أثر يذكر، من رسالة سائر الرسل في العوالم الأخـــرى. لقد نشر صحابة المسيح الإنجيل في العالمين. لكن لم يبقَ لنا منهم ســـوى الإنجيـــل بأحرفـــه الأربعة، التي تنقل الإنجيل الواحد في عرضه على العالم الإسرائيلي (متـــى)، وعلـــى العـــالم الهلنستي (لوقا، ترجمان بولس)، وعلى العالم الروماني (مرقس، ترجمـــان بطـــرس)، وعلـــى العالم المسيحي الطالع (يوحنا). فليس لنا في تفصيل الإنجيل، بوحي الروح القدس (١ كـــو ٢: ١١) سوى رسائل بولس.

لذلك يحق اعتباره **المؤسس الثاني للمسيحية** بعد المسيح.

١ ــ فبولس هو رجل العمل الأول في المسيحية

ففي ضمير الأجيال المسيحية، بولس هو « **الرسول** » على الإطلاق. لقد وزن نفسه بسائر الرسل فوزنهم، كما نقلنا دفاعه عن نفسه وعن رسالته في الردّ على خصومه (٢ كو ١١: ٢١ ــ ٢٩).

انه شخصية متفوقة جبارة. فقد قامت الحضارة الهلنستية، أساس الحضارة العالمية التي منها يعيش العالم، على أكتاف الإسكندر ذي القرنين وعلى أكتاف بولس. فالاسكندر المقدوني، الفاتح الأكبر، هو أول من عمل على وحدة العالم بنشر الهلينية في المسكونة؛ وبولس الطرسوسي هو الذي خلّد تلك الحضارة بتطعيمها بالمسيحية، وترشيحها بها للخلود ــ فالحضارة الخالدة هي ثمرة الإنجيل بصيغة الثقافة الهلنستية. لذلك يحق لبولس أن يعتبر نفسه « رسول الأمميين » (رو ٨: ١٣).

٢ ــ وبولس هو رجل الفكر الأول في المسيحية

إنه الشخصية الأولى المفكرة، بين كتبة الوحي الإنجيلي كلهم. فرسائله هي الصيغة الأولى للمسيحية، بعد عشرين سنة فقط من رفع المسيح. وكانت الأناجيل من بعده، في تدوينها.

إنه الشخصية الأولى في الزمن، لأنه أول من كتب في المسيحية، فكان قسطاس التعبير عنها للجميع ــ والإنجيل بحسب متى، في حرفه اليوناني الباقي، ظهر بعد رسائل بولس. وهو أول مَن فكّر في سر المسيح والمسيحية كما يشهد سفر الأعمال: فحالاً بعد هدايته ينادي في جامع دمشق « بأن يسوع هو ابن الله » (٩: ٢٠). فكانت دمشق ــ بعد دعوة المسيح ــ أول مَن سمع في الدنيا بأن يسوع هو « ابن الله ».

انه الشخصية الأولى في المنزلة، فجذور الكلام المسيحي كلها في رسائل بولس، لأن يوحنا صوفي أكثر منه متكلماً. فبولس هو المتكلّم الأول في

الوحي الإنجيلي. ان المسيحية شخص منزل أكثر منها كتاباً منزلاً. ورؤية بولس للمسيح السماوي على طريق دمشق كشفت له أنه ابن الله (غلا ١: ١٥). فعملت في نفسه، ما فعله المسيح مدى ثلاث سنوات من دعوته. وما فعله فيهم بقيامته ورفعه حيّاً إلى السماء؛ وما فعله الروح القدس بحلوله عليهم يوم العنصرة. فبولس هو الذي اكتشف، في عصمة الرؤية والكشف، سر الشخص المنزل وسر الإنجيل المنزل، وعبّر عنهما تعبيراً كلاميّاً خالداً، هو أساس الكلام المسيحي مدى الدهر. فقد اصطفاه الله ليكون « الأداة المختارة » (أع ٩: ١٥) لتفصيل الإنجيل. فبولس هو **المفكر الأكبر والأول** في المسيحية. انه أول مَن سبر سرّ الإنجيل وسر المسيح.

٣ ــ وبولس هو رجل الصوفيّة الأول في المسيحية

قداسة وصوفية أدّتا به إلى الإسراء للفردوس في السماء الثالثة حيث سمع من الله مباشرة « كلمات سرية لا يحل لإنسان أن يبوح بها » (٢ كو ١٢: ٥). فبولس هو الذي عاش المسيحية حتى صار « المسيح هو الحي فيَّ لا أنا » (غلا ٢: ٢٠)؛ وهو الذي وضع ووصف « الحياة في المسيح » (رو ٦: ٤)، فكان مثالاً لجميع المسيحيين في كيفية الحياة من المسيح وبالمسيح، حيث يكون المسيحي « خليقة جديدة » (٢ كو ٥: ٧)، « لنكون مشابهين لصورة ابنه » (رو ٨: ٢٩).

فصوفية بولس خبرة متواصلة للحياة في المسيح: « إن كان إنساننا الظاهري يتلاشى؛ فإنساننا الباطني يتجدّد يوماً فيوماً » (٢كو ٤: ٢٦). وهذه الحياة في المسيح، لا مثيل لها في الأخلاق والأديان قاطبة: إنها من عمل روح المسيح في المسيحي، حتى « يبلغ إلى الإنسان الكامل، إلى ملء قامة المسيح » (أفس ٤: ١٣)؛ « فإن محبة الله قد أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي أوتيا » (رو ٥: ٥).

ويجعل بولس نفسه مثالاً للمسيحيين على صورة المسيح نفسه: « فاقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح » (رو ١١: ١)، « فإنكم تعرفون سبلي في المسيح » (١ كو ٤: ١٧). ويوجز صوفيته للوحدة الحياتية مع المسيح،

في الكنيسة « جسد المسيح »، تلك العقيدة التي ترفع المسيحية على كل صوفية. فبولس هو الصوفي الأول في المسيحية، بخبرته وتعليمه.

وإلى جانب الرسول الأول، والمفكّر المتكلم الأول، والصوفي الأول؛ فبولس عبقرية فذّة في الجدل الديني مع أهل الشريعة، وأهل الحكمة، وأهل الغنوص؛ وفي الدفاع عن المسيحية تجاه أهل الكتاب وأهل الشرك؛ وفي أدب الرسالة فقد جعلها تستوعب كل الأغراض والأهداف، بأساليب من البيان والتبيين من الطراز الأول. ففي كل ذلك هو **المعلم الأول** في التفكير والتعبير.

•

لذلك كانت **رسالة بولس تتمة لرسالة المسيح**، كما يظهر من تكوين العهد الجديد: إن التنزيل في الإنجيل، وعند بولس التفصيل.

فرسالة بولس هي الكشف عن « **سر الإنجيل** ». ويطلب إلى تلاميذه الصلاة « لأجلي لكي أوتى الكلام، كلما فتحت فمي، لأعلن جهاراً سر الإنجيل... لكي أجهر به كما يجب أن أتكلم » (أفس ٦: ١٩ ــ ٢٠).

وهي أيضاً الكشف عن « **سر المسيح** ». هذا كان سبب هدايته: « فإن الله الذي قال: (ليُشرق من الديجور نور) هو الذي أشرق في قلوبنا نوراً لمعرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦). وهذا هو موضوع تعليمه حتى النهاية: « انه بكشف عرّفني بالسرّ... الذي بحسبه حينما تقرؤوني تقدرون أن تفهموا درايتي بسر المسيح... فلي أنا أصغر القديسين أُعطيت هذه النعمة أن أبشر بين الأمم بغنى المسيح الذي لا يُستقصى، وأنير الجميع في ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع، بيسوع المسيح » (أفس ٣: ٢ ــ ٩).

وقد فصّل بولس سر المسيح أفضل تفصيل، فبين لنا سر المسيح في ذاته، وسر « المسيح الكلّي » في الكنيسة والإنسانية وسر « المسيح الكوني » في الكائنات كلها، وسر المسيح في الله، « إذ فيه يحل جسديّاً كل ملء اللاهوت ».

وفضل بولس أن المسيح اصطفاه **لينقل المسيحية إلى العالم الهلنستي**، من أنطاكيــة إلى أفسس، إلى كورنثس، إلى رومة. فكان كمـــا أراده المسيح، وعرفته الأجيـــال المســـيحية « رسول الأمميين » (رو ٨: ١٣). وبنقل المسيحية مـــن الصـــيغة الســـامية إلـــى الصـــيغة الهلنستية، نقلها من القومية إلى العالمية، ورشحها للشمول والخلود.

وقد ساعده على ذلك ثقافة شاملة حملها معه من قوميته ونشـــأته: **الثقافـــة الكتابيـــة والأرامية والهلنستية**. إنه الخبير الحكيم في الشريعة والحكمة والغنوص. وهو يكتب ويخطب في الأرامية واليونانية (أع ١٧: ٢٢؛ ٢٢: ٢)؛ وقد يعرف العربية من سفره ثلاث سنوات في ديار العرب (غلا ١: ١٧)، واللاتينية من توقيفه الأول والثاني برومة. وجاءَ الكشف الربـــاني المباشر « لسر المسيح الذي فيه جميع كنوز الحكمة والغنوص » (كول ٢: ٣) فرفع ثقافته من الأرض إلى السماء. فهو يذكر « رؤى الله وإيحاءاته » (٢ كو ١٢: ١)؛ ويفصّـــل لنـــا منهـــا ثلاثاً: في هدايته (أع ٢٦: ٢٢ ــ ٢٣)، وفي بدء دعوته كمعلّـــم (أع ٢٢: ١٧)، وفـــي بـــدء رسالته « كرسول الأمميين » حيث يذكر إسراءه إلى الفردوس في السماء الثالثة (٢ كـــو ١٢: ١ ــ ٥). فالعلم الإلهي والعلم الإنساني قد كمّلا الرجل والرسول، لرسالته التي جـــاءَت تتمّـــة لرسالة المسيح.

بسبب تلك المنزلة الرفيعة لبولس في المسيحية، فقد حاول عبثاً بعض الناس أن **يجعـــل المسيحية من وضع بولس**، لا من تنزيل السيد المسيح. وفاتهم، ويحهم، إنه لولا المســـيح مـــا كان بولس. فما كان لهذا الفريسي، ابن الفريسي، المتعصب للتوحيد التوراتي، أن يعمل يســـوع الناصري المصلوب « المسيح المخلص، ابن الله »، لو لم يكن يسوع المسيح نفسه قد فـــرض شخصيته الإنسانية الإلهية، بأقواله وأعماله وأحواله، على جماعته وعلى بيئته. فالمسيحية هي التي أوجدت بولس، لا بولس هو الذي خلق المسيحية. فليس له سوى فضل التفصيل للتنزيـــل في الإنجيل.

فبولس في رسالته شخصية غنية متفوقة قلّ نظيرها في عمق التفكير

وبلاغة التعبير. وجاء بطرس، زعيم الرسل، فوضع رسائله بمنزلة الكتب المقدسة (٢ بطر ٣: ١٦) فاعتبرتها المسيحية من الكتاب القدسي، في العهد الجديد.

فبولس الرسول هو رجل العمل ورجل الفكر والكلام ورجل الصوفية والصلاة. إنه القديس والنبي والمتكلم والخطيب والإداري الذي قلّ نظيره، « الأول بعد الوحيد »؛ ويكفيه فخراً انه **المعلم الأول للمسيحية**، بعد المسيح: فالتنزيل من المسيح، والتفصيل من بولس.

هذا هو بولس، الرسول والرسالة.

۞ ۞ ۞

ثانياً: مصادر سيرة بولس ورسالته

لدينا مصدران لدراسة سيرة بولس ورسالته: **رسائله وأعمال الرسل**. وهما مصدران متكاملان جملة وتفصيلاً، بأسلوبين مختلفين، ذاتي وتاريخي.

١ ــ فهما مصدران موثوقان

المصدر الأول هو رسائل بولس. نجد فيها المعلومات القيّمة الصادقة التي يلقهيا عَرَضاً عن سيرته كما في (غلا ١: ١١ ــ ٢: ١٤؛ ١ كو ١٥: ٨: ٩؛ ٢ كو ١١: ٢٢ ــ ١٢: ١٢؛ رو ١١: ١؛ فيل ٣: ٤ ــ ٦). وإن كانت شهادة شخصية فهي صحيحة، يستشهد الله عليها عندما تبلغ حدّ المعجزة الخارقة كإسرائه إلى السماء (٢ كو ١١: ٣١) وتلك المعلومات الشخصية عن سيرته هي الأساس التاريخي لتقييمها.

والمصدر الثاني هو سفر الأعمال. وغاية لوقا فيه توطين المسيحية في العالم الأغريقي الروماني بالتاريخ لنشأة المسيحية المعجزة وانتشارها السريع الخارق في « المسكونة » ــ ويهدف أيضاً لإظهار فضل بولس كفضل بطرس في

زعامة المسيحية؛ ولتقديم دفاع من طرف خفي للسلطات الرومانية عن المسيحية وعن نشاط بولس مع ولائه للدولة الرومانية. لذلك يقف عند أسر بولس الأول مع الإشارة إلى الإفراج عنه.

ولوقا لا يهتم بدقائق الأمور التاريخية، كمعلومات بولس الشخصية، لأنه يكتب التاريخ بطريقة بيانية على أسلوب الأقدمين. فسفر الأعمال هو الإطار العام لسيرة بولس ورسالته، يملأ بولس فجواته.

٢ ــ **والمصدران تاريخ صحيح**، مع فارق في الأسلوب.

فبولس **مصدر ذاتي** يسرد الأحداث كما وقعت له مع تأثيراته الشخصية. أما **لوقا فهو مؤرخ** يصف الأمور كما يراها الرأي العام المسيحي في الجماعة الأولى الموالية. فقد تختلف وجهات النظر بين بولس ولوقا، لكنها تأتلف في الموضوع.

ونعرف أن لوقا تلميذ بولس رافقه في أحرج مواقفه؛ فهو شاهد العيان أو السامع الصادق لأخبار معلمه الحبيب؛ ففي استقلاله عن معلمه في رواية الأحداث ومراميها ضمانة تاريخية لصحته، وصدق المصدرين معاً.

وهذا حكم ناقد غير متّهم في تحيّزه. يقول جوجل[1]: « نقدر أن نقول بإيجاز: إن سفر الأعمال، في مجمله، لا يُؤخذ ككتاب تاريخ (أي بحسب النظرية العلمية الحديثة)؛ لكن فيه معلومات ثمينة جداً، وذات قيمة لا شك فيها، أجل ليس فيه قيمة رسائل بولس، لكنه يُعطي معلومات تساعد على تقدير وتجميع وترتيب معطيات الرسائل. فسفر الأعمال، والحالة هذه، مع ما فيه من عورات وشبهات، هو إحدى الركائز الأصلية الثابتة التي يقوم عليها تاريخ المسيحية الأولى ».

٣ ــ **وهما مصدران متكاملان**

ففي سفر الأعمال **الإطار العام** لسيرة بولس ودعوته. وفي رسائل بولس **التقريرات الخاصة** التي تحدّد معالم التاريخ العام عند لوقا.

---

(1) *Goguel* : Introduction au N. Testament 3 éd. pp. 366-67; 4e éd. de l'année 1925 p. 9.

وبما أن لوقا لا يعطينا إلاّ الخطوط العامة لسير الدعوة المسيحية، كما يتزعمها بطلاها بطرس وبولس، فهو لا يذكر تفاصيل نشأة بولس، كما نعرفها منه. وينقل لنا أخبار رسالة بولس في أسفاره الثلاثة حتى توقيفه الأول في رومة؛ لكن بولس يعطينا لوحة معجزة عمّا تحمله فيها، قد يعرفها لوقا، لكنه لم يأتِ على ذكرها لأنها لا توافق غاية كتابه. ولا نعرف من لوقا آخرة سيرة بولس، إنما نجد عنها بعض المعلومات في « الرسائل الراعوية » إلى تيموتاوس وتيطس. وهكذا يظهر بولس ولوقا مصدرين متكاملين جملةً وتفصيلاً.

٤ ـ فمن المصدرين تتّضح المعالم العامة لسيرة بولس كلها

فنعرف منهما نشأة بولس في طرسوس على الثقافة الهلنستية، **كمواطن طرسوسي** في نقابة مهنية **وكمواطن روماني**، وذلك عن أبيه من قبله. ثم نشهد ثقافته الكتابية والتلمودية والفريسية في أورشليم « لدى اقدام جمالئيل » أحد الأعلام عندهم. ونتابع رجوعه إلى مسقط رأسه « رابيا » أي مفتياً للشرع التوراتي في الشتات. أخيراً نلتقي به ينخرط في مباحثه وملاحقة النصارى من الشتات في أورشليم؛ ثم يتزعم بتفويض من السنهدرين ملاحقة النصارى في دمشق، حيث يصعقه المسيح على الطريق « ويسبيه » إلى معرفته وخدمته؛ فنتابع عزلته الأولى في ديار العرب، والثانية في طرسوس نفسها، إلى أن يأخذه برنابا للدعوة معه في أنطاكية. وهنا يبرز بولس على مسرح الدعوة الإنجيلية بين الأمميين. فيصطفيه الروح القدس مع برنابا لحمل الإنجيل إلى العالم الهلنستي، برسامة أسقفية رسولية. فكانت رحلته الأولى مع برنابا، التي أثارت ضجة النصارى لتهويد المسيحيين، فأفتى مجمع الرسل بأورشليم عام ٤٩ م بتحرير المسيحية من الموسوية كما ينادي بولس. حينئذ استقل بالرسالة في رحلته الثانية في الأناضول، ورحلته الثالثة في اليونان، إلى أن استقر في أفسس أستاذ المسيحية بمدرسة تيرنس. أخيراً تمّ توقيفه وأسره الأول في قيصرية فلسطين ثم في رومة، بدسّ اليهود والنصارى من بني إسرائيل. لكنه أفرج عنه، وعاد إلى رسالته ودعوته حتى قام اضطهاد نيرون، فكان شهيد المسيحية كما عاش بطلها.

٥ ـ فبولس ولوقا مصدران مؤتلفان لا يتعارضان

يحلو لبعضهم أن يرى تعارضاً ما بين بولس ولوقا في بعض تفاصيل السيرة. لكنها شبهة ناتجة عن اختلاف الأسلوب بين لوقا المؤرخ للخطوط العامة، وبين بولس الكاتب الذاتي الذي يفصّل دقائق سيرته في بعض مواقفها. وهذا لا يُعد تعارضاً في التاريخ الصحيح بل تكاملاً. إنه من باب المختلف المؤتلف الذي يشهد **باستقلال الكاتبين**، وهو ضمانة كبرى لصحة التاريخ عندهما.

أمّا شكّ بعضهم، **في عالمنا العربي**، بالمصدرين معاً، بولس ولوقا، فلا يعتمد على سند صحيح، إنهم يحصرون رسالة المسيح في بني إسرائيل، وفي نطاق التوحيد التوراتي، كأن المسيح، « كلمة الله وروحاً منه »، لم يأتِ بكلمة الله المنزلة الأخيرة. فيجعلون دعوة المسيح قومية توراتية لقوله للكنعانية: « إني لم آتِ إلاّ للخراف الضّالة من بني إسرائيل »! وفاتهم أنها كلمة تعريض بالشرك المجاور لهم. والمسيح دعا في « جليل الأمم » حيث يختلط الأمميون بأهل الكتاب! وهو نفسه نقل دعوته بذاته إلى أرض المشركين بين الفينقيين، وبين السوريين، وبين الأردنيّين. وكانت تصاريحه الكبرى عن شخصيته ورسالته على أرض سوريا، في بانياس، وعلى حرمون (جبل الشيخ)، كما كانت في هيكل أورشليم مع العلماء والفقهاء. وظل يشير طوال دعوته بتصاريحه وأمثاله إلى نقل الإنجيل إلى العالم كله، حتى ختم رسالته، قبل رفعه إلى السماء، ببعثه رسله الحواريين إلى العالم كله، كما في خاتمة الإنجيل بحسب مرقس وبحسب متى. فقومنا يشكون في بولس، كما يشكون بمسيح الإنجيل؛ لكنه شك مقصود مفضوح، لا أساس له في مصادر الوحي الإنجيلي.

فرسالة بولس، من رسالة المسيح؛ وهي صحيحة كرسالة المسيح. ومصادر سيرة بولس ودعوته، في رسائله، كما في سفر الأعمال، صحيحة ثابتة، في مصدرين مؤتلفين، بأسلوبين مختلفين، ذاتي وتاريخي، لكنهما لا يتعارضان، بل يتكاملان.

۞ ۞ ۞

ثالثاً: القرائن التاريخية لتقويم سيرة بولس ودعوته

ما بين التاريخ العام والتاريخ المسيحي قرائن وموافقات نقدر أن نستخلص منها **تقويماً كاملاً متقارباً** لأحداث سيرة بولس ودعوته.

١ ــ القرينة الأولى: ولاية غاليون على أخائية ومثول بولس لديه

يذكر لوقا الحادث في (أع ١٨: ١٢).

وفي وثيقة تاريخية، هي رسالة من القيصر كلوديوس (عام ٤١ ــ ٥٤) إلى أهل مدينة ذلفي، يذكر فيها « صديقه غاليون، قنصل أخائية ». وكان غاليون ابن أخي الفيلسوف الرواقي سينيكا. وقد نُقشت الرسالة على حجر وعُرضت علناً على الناس ــ وكان موضوعها نزاع على الحدود بين ذلفي وجيرانها، أفتت فيه رسالة القيصر، وقام بالتنفيذ غاليون قنصل أخائية.

فأرخوا الحادث بسنة ولاية غاليون على أخائية. وكانت ولايته من حزيران سنة ٥١ م إلى حزيران ٥٢؛ هذا إذا لم تتجدّد سنة أخرى؛ ولا يعرف التاريخ أنها تجدّدت.

ففي عام ٥١ ــ ٥٢ كان بولس في كورنثس. ونعرف أن إقامته فيها للمرة الأولى دامت سنة وستة أشهر، ثار عليه في أواخرها يهود كورنثس، بمناسبة زيارة القنصل غاليون لكورنثس. ورفعوا أمر بولس إليه. فرفض غاليون النظر في قضية دينية خاصة (١ ع ١٨: ١٢ ــ ١٨) فكان خليقاً بعمه الفيلسوف.

وبعد سقوط الدعوى، لم يلبث بولس في كورنثس « إلاّ أياماً غير قليلة » (أع ١٨: ١٨ قابل ٩: ٣٠ مع ٩: ٢٠ ثم ٢٨: ٧). فمثول بولس أمام غاليون القنصل في كورنثس كان في ربيع عام ٥٢. وهذا هو **التاريخ الثابت في سيرة بولس**. وعليه نبني سائر القرائن، كما يصح أن نعتمد عليه، كدليل تاريخي ثابت، لوضع تقويم تاريخي متقارب لسيرة بولس ودعوته، كما

يحدّدها بتواريخها في الرسالة إلى الغلاطيين (١: ٢١ ـ ٢: ٣). فإقامة بولس للمرة الأولى بكورنثس كانت عام ٥١ كله إلى حزيران ٥٢.

•

٢ ـ القرينة الثانية: هرب بولس من دمشق على عهد الحارث الرابع الأنباطي

يروي بولس (غلا ١: ١٦ ـ ١٨) أنه بعد هدايته برؤية المسيح دخل دمشق، ثم هرب منها إلى « بلاد العرب » أي إلى أمارة الأنباط التي تمتد من الأردن إلى الفرات: ثم رجع إلى دمشق. « وبعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم » في زيارة أولى للرسل بعد هدايته (غلا ١: ١٧ ـ ١٨). والاجماع على أن العزلة في ديار العرب ما بين الدعوتين المثيرتين بدمشق، كانت جميعها مدة « ثلاث سنوات ».

كان هرب بولس الأول من دمشق، من أبوابها، إلى دولة الأنباط، لأن الحارث الأنباطي كان على خلاف مع رومة وهيرود أنتيبّا. وكان هربه الثاني من دمشق في زنبيل على السور، لأن سياسة رومة مع الحارث كانت تغيّرت، « فأخذ التلاميذ بولس ليلاً ودلوه من السور في زنبيل، فأتى أورشليم » (أع ٩: ٢٠ ـ ٢٦).

وكان بولس يتهكم من نفسه على هذا الهرب الثاني بواسطة زنبيل: « إنْ كان لا بدّ من الافتخار فإني أفتخر بضعفي: ... إن والي الحارث بدمشق كان يحرس مدينة الدمشقيين، بقصد القبض عليّ، فدلّيت بزنبيل من نافذة في السور، ونجوت من يديه » (٢ كو ١١: ٣٠ ـ ٣٣).

فمن هو الحارث المذكور؟ وفي أي سنة كانت ولايته على دمشق؟

إن الحارث الأنباطي المذكور هو الحارث الرابع الذي ملك على الأنباط من العام ٩ ق م، إلى العام ٤٠ ب م. والاجماع انه ملك على إمارته ٤٨ سنة.

وقد توفي القيصر طيباريوس في ١٨ آذار سنة ٣٧، وخلفه كليجولا إلى العام ٤١. فعاصر الحارث الرابع القيصرين.

كان الحارث الرابع، على زمن طيباريوس، في خلاف مع هيرودس أنتيبّا، بسبب طلاقه لأخت الحارث زوجه؛ ومع خلاف مع رومة، حامية هيرود. فكان الحارث يغزو من حين إلى حين دمشق لإزعاج الرومان حماة هيرود، وربما طمعاً بغوطتها. فكان طيباريوس يجرّد عليه حملات تأديبية. وهذه الحال التاريخية تفسّر هرب بولس الأول، إلى ديار العرب، في دولة الأنباط.

ولما تسلم كليجولا الحكم عام ٣٧ ب م عكس سياسة سلفه. فعوّل في أوائل حكمه، قبل أن يُصاب بالعته، على أن يعيد إلى شعوب الشرق وحكامهم استقلالهم الذاتي. فارجع الملك إلى هيرود أنتيبّا، وأقطع الحارث الرابع الأنباطي أمارة دمشق فضمّها إلى عاصمته البتراء.

فولاية الحارث على دمشق لا تتخطّى العام ٣٧.

وهذا هو عام هرب بولس ثانية من دمشق بواسطة زنبيل. فكل الحسابات، خصوصاً لقاء بولس بغاليون في كورنتس عام ٥٢، تقطع كلها بعدم تأخير هرب بولس الثاني من دمشق إلى ما بعد العام ٣٧.

فهداية بولس ترتقي إذن إلى « ثلاث سنوات » من قبل، أي إلى العام ٣٤. هذا ما يقطع به التاريخ العام والخاص.

كان هرب بولس الأول إلى « بلاد العرب » في دولة الأنباط لأن الحارث الرابع لم يكن والياً على دمشق، بل على خصام مع اليهود والرومان. فاحتمى بولس في أمارته. أما هرب بولس الثاني في زنبيل (أع ٩: ٢٣ ــ ٢٥؛ ٢ كو ١١: ٣٢) فكان « بعد ثلاث سنوات، فصعدت إلى أورشليم » (غلا ١: ١٨)، لوحدة الحال حينئذ بين الحارث والرومان. فصعد بولس خفية إلى أورشليم، ولم يمكث فيها إلاّ خمسة عشر يوماً، وهرب إلى طرسوس.

وهكذا يثبت لدينا أن **هرب بولس الثاني من دمشق** كان عام ٣٧، عام ولاية الحارث الرابع على دمشق. فتكون هدايته قبل « ثلاث سنوات » عام ٣٤.

•

٣ ــ القرينة الثالثة: بدء ولاية فستس على اليهودية

يقول لوقا: « ولمّا انقضت سنتان (على أسر بولس في قيصرية فلسطين) خلف فيلكس، بُرْكيوس فِسْتُسْ. وإذ أراد أن يُرضي اليهود ترك بولس في السجن » (أع ٢٤: ٢٧). فاستأنف بولس دعواه إلى قيصر. فكان له ما أراد.

وهناك تاريخ يكاد يكون يقيناً أن ولاية فستس على اليهود عام ٥٩ ــ ٦٠. وفي العام الأول من ولايته رفع بولس دعواه إلى قيصر فيكون نقل بولس إلى رومة قد تمّ سنة ٦٠! فقضى شتاء ٦٠ ــ ٦١ في جزيرة كريت! ووصل إلى رومة في ربيع ٦١.

وبما أن بولس أوقف سنتين في قيصرية فلسطين (أع ٢٤: ٢٧)، وقد تم القبض عليه في أسبوع العنصرة، فيكون توقيفه في ربيع ٥٨.

٤ ــ القرينة الرابعة: برنامج التنشئة التلمودية

إن التلمود الذي بدأ تدوينه مائتي سنة بعد المسيح ترتقي تقاليده وسننه إلى عصر المسيح فما قبل. لذلك فإن برنامج التنشئة لليهود الذي يسنه التلمود كان قائماً في عصر المسيح وبولس، ويصح الاستئناس به لمعرفة تواريخ تنشئة بولس.

يقول التلمود (المشنة ــ أي السُنّة ــ فرقة أبوت ك ٥ ق ٢١)؛ « في سن الخامسة القراءَة (قراءَة الكتاب). في سن العاشرة المشنة. في سن الثالثة عشرة الأحكام (أي أحكام التوراة). في سن الخامسة عشرة التلمود. في سن الثامنة عشرة الزواج. في سن العشرين مزاولة العمل. في سن الثلاثين الدخول في كمال الرجولة. في سن الخمسين دخول الشورى (السنهدرين). في سن الستين الشيخوخة » أي التقاعد عن العمل.

وبما أن **والد بولس كان فرّيسيّاً**، فقد تمسّك بلا ريب بهذا البرنامج في تنشئة كل يهودي، كما يشهد بولس نفسه: « إني على حسب أضيق مذهب في ديننا عشت فريسيّاً » (أع ٢٦: ٥).

ولنا أيضاً قرينتان أخريان تساعدان على تحديد عمر بولس.

الأولى في الرسالة إلى فيليمون (الآية ٩) يصف بولس نفسه « **بالشيخ** » على الطريقة التلمودية. وبما أن تلك الرسالة من الأسر الروماني الأول (٦١ ـ ٦٣)؛ فيكون عمر بولس عام ٦٣ نحو ستين سنة، وتكون ولادته سنة ٣م تقريباً، ووفاته عام ٦٧ عن ٦٤ سنة.

والقرينة الثانية من سفر الأعمال (٧: ٥٨) حيث يصف لوقا بولس وهو يشترك في استشهاد أسطفان عام ٣٤ بأنه كان « **شاباً** » على طريقة الأغريق، لا على طريقة التلمود. فلا يصح أن ننزل بعمر بولس في هذه السنة إلى ما دون الثلاثين من عمره، لأنها السن التلمودية للتكليف بالمهمات الرسميّة، كما يقول في المسيح يوم عماده وبدء دعوته (لوقا ٣: ٢٣). فيكون عمر بولس سنة استشهاد اسطفان وهدايته إلى المسيحية نحو ثلاثين سنة عام ٣٤؛ فتكون ولادته سنة ٣ تقريباً.

بتلك القرائن نحصل على **تاريخ ثابت لسيرة بولس:**

وُلد بولس سنة ٣.

وتثقف بالثقافة الكتابية واليونانية من ٨ ــ ١٧.

وحضر إلى أورشليم للتخصص بدارسة التلمود في مدرسة جمالئيل (أع ٢٢: ٣) في السنة الخامسة عشرة، أي عام ١٨.

وفي السنة الثامنة عشرة أي عام ٢١، عام الزواج عادة، فضلّ العزوبة على « الشبة » أي خدر الزواج.

وفي السنة العشرين، أي عام ٢٤ دخل معترك الحياة، وكان قد تخرّج رابيّاً. فرحل إلى طرسوس ليكون في منطقتها فقيه الشريعة والتلمود أي مفتياً.

ونراه عام ٣٤، في استشهاد اسطفان، يشترك في حركة اضطهاد النصارى الهلّينيين. فيكون غيابه في طرسوس عن أورشليم قد دام نحو عشر سنوات.

إذا أضفنا إلى ذلك التواريخ التي أثبتناها من القرائن السابقة نكون قد حصلنا على تقويم ثابت لسيرة بولس كلها.

•

رابعاً: تقويم بعض التواريخ في سيرة بولس

نعرض هنا لتقييم تاريخ بعض الأحداث التي قدّرها الله لتخليص المسيحية من سيطرة البيئة الإسرائيلية عليها، وتسهيل انتشارها في العالم.

١ ــ اضطهاد هيرود اغريبا لكنيسة أورشليم

من المتواتر أن هيرود أغريبا ملك من ٤١ ــ ٤٤ كملك ومات عام ٤٤م.

يروي لوقا: « وفي ذلك الزمان ألقى هيرود الملك الأيدي على قوم من الكنيسة ليسيء إليهم. وقتل يعقوب أخ يوحنا بالسيف. وإذ رأى أن ذلك يُرضي اليهود قبض على بطرس أيضاً؛ وكانت أيام الفطر » (أع ١٢: ١ ــ ٣). فنجا بطرس من السجن بمعجزة. فحنق هيرود على الحرس وأمر بقتلهم، « وانحدر من اليهودية إلى قيصرية حيث أقام » (أع ١٢: ١٩). وبمناسبة استقبال وفدي الصوريين والصيداويين لاستعطافه في أمر، خطب فيهم، فألّهوه، فضربه الله، « فافترسه الدود ومات » (أع ١٢: ٢٣). أما بطرس بعد نجاته من الحبس فقد « خرج وذهب إلى موضع آخر » (أع ١٢: ١٦).

فقد بلغت ذروة اضطهاد هيرود لأم الكنائس في مطلع العام ٤٤ حتى الفصح. فاستشهد يعقوب أخو يوحنا، من دون يوحنا أخيه، ونجا بطرس من السجن بمعجزة، « وكانت أيام الفطر » أي في زمن الفصح عام ٤٤.

ففي عام ٤٤ ترك بطرس أورشليم وجاء إلى أنطاكية يرأس الكنيسة فيها مدة سبع سنين، بحسب السنة المتواترة ــ فكانت أنطاكية كرسي بطرس الأولى.

•

٢ ـ بولس إنجيلي مع برنابا في أنطاكية عام ٤٢

وقبل ذلك يذكر لوقا استلام برنابا لقيادة الدعوة في أنطاكية (أع ١١: ٢٢ ـ ٢٤) وشعر برنابا أن الدعوة بين الأمميين المثقفين في أنطاكية بحاجة إلى علم بولس، « فانطلق برنابا إلى طرسوس في طلب شاول. ولمّا وجده أتى به أنطاكية. فقُبلا في الكنيسة سنة كاملة. وعلّما جمعاً غفيراً. وفي أنطاكية أولاً دُعي التلاميذ مسيحيين » (أع ١١: ٢٥ ـ ٢٦).

سنرى من القرائن المتلاحقة أن سنة دعوة بولس وبرنابا في أنطاكية كانت عام ٤٢ ـ ويقترن اسم « مسيحيين » بدعوة بولس في أنطاكية.

وبما أن هرب بولس من أورشليم إلى طرسوس للدعوة فيها كان عام ٣٧، فتكون إقامته إنجيليّاً في طرسوس حتى عام ٤٢ مدة خمس سنوات.

●

٣ ـ المجاعة على أيام كلوديوس عام ٤٣

حكم القيصر كلوديوس من ٤١ ـ ٥٤. ويروي لوقا أنه بعد دعوة برنابا وبولس في أنطاكية « سنة كاملة »، « انحدر في تلك الأيام أنبياء من أورشليم إلى أنطاكية. وقام واحد منهم اسمه اغابوس وأنبأ بالروح أنه ستحدث مجاعة عظيمة عن قريب في جميع المسكونة. ووقع ذلك في أيام كلوديوس قيصر » (أع ١١: ٢٧ ـ ٢٨).

فاقترنت تلك المجاعة في أورشليم مع اضطهاد هيرود أغريبا لأم الكنائس. فجمع المسيحيون الجدُد في أنطاكية تبرعات وأرسلوها إلى أورشليم « على يدي بارنابا وشاول » (أع ١١: ٣٠).

فتكون زيارة بولس لأورشليم بتبرعات أنطاكية قد تمت عام ٤٣.

وهنا ينجم مشكلان.

فالمشكل الأول أنّ لوقا، بعد رواية موت الطاغية هيرود أغريبا (أع ١٢: ٢٠ ـ ٢٤)، يقول: « ورجع برنابا وشاول من أورشليم، بعد ما كمّلا

الخدمة، وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس ». وهو ابن أخت برنابا (أع ١٢: ٢٥). ينتج عن ذلك أن بولس مكث في أورشليم زماناً طويلاً، وهذا على غير العادة، ولا يستقيم مع ملاحقة اليهود له. واضطهاد هيرود لكنيسة أورشليم عام ٤٣ ـ ٤٤.

لكن لوقا يقص عودة الرسوليين مع مرقس إلى أنطاكية دون تحديد زمن، وفاتحةً لانتداب برنابا وبولس للرسالة بين الأمميين برسامة أسقفية (أع ١٣: ١ ـ ٤).

فلم تكن زيارة بولس الثانية لأورشليم بتبرعات أنطاكية في صلة مع موت هيرود عام ٤٤! بل بحسب سياق الرواية، في علاقة مع دعوة بولس وبرنابا في أنطاكية سنة كاملة (عام ٤٢)، ومع نبوءة اغابوس بالمجاعة « في تلك الأيام » (أع ١١: ٢٧)، ومع اضطهاد هيرود « في ذلك الزمان » (أع ١١: ١). وهكذا يزول المشكل الأول.

والمشكل الثاني أن بولس يختلف مع لوقا في عدد زياراته لأورشليم بعد هدايته. لكنه خلاف ظاهري، ونرى للحال أن بولس لم يذكر زيارة نقل التبرعات، لأنه يقتصر على ذكر زيارات الاتصال العقائدي مع « الأعمدة والوجوه » في أورشليم (غلا ١: ١٥ ـ ٢: ١٠)، ففي الحقيقة والواقع لا خلاف بينهما لاختلاف وجهات النظر. وإليك البيان.

•

٣ ـ التعارض الظاهر بين لوقا وبولس في عدد الزيارات لأورشليم

حتى مجمع الرسل بأورشليم عام ٤٩، لوقا يذكر لبولس ثلاث زيارات لأورشليم، بينما بولس لا يذكر سوى زيارتين. قال بعد هدايته على طريق دمشق: « للحال لم أصغ إلى اللحم والدم، ولا صرت إلى أورشليم، إلى الذين هم رسل، قبلي. بل سرت إلى بلاد العرب. ثم رجعت إلى دمشق. وبعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم لأزور كيفا، وأقمت عنده خمسة عشر يوماً. ولم أرَ غيره من الرسل، لكن فقط يعقوب أخا الرب... **ثم بعد أربع عشرة سنة** صعدت من جديد إلى أورشليم... وكان صعودي عن

وحي. فعرضت عليهم الإنجيل الذي أدعو به بين الأمميّين... مفاوضاً الأعمدة والوجوه » (غلا ١: ١٥ ــ ٢: ١٠).

هنا ينجم **مشكل أول في التفسير**: هل قوله « بعد ثلاث سنوات » (غلا ١: ١٨) من رجوعه إلى دمشق، حيث يظهر أنه دعا في دمشق مدة ثلاث سنوات؟ أم من هدايته، فتكون السنوات الثلاث مدة عزلته في العربية الأنباطية؟ إن سياق التعبير يجعل حساب بولس كله منذ هدايته أي عام ٣٤. ثم هل قوله « بعد أربع عشرة سنة » (غلا ٢: ١) هو منذ هدايته أم « بعد ثلاث سنوات »؟ بعضهم يظن التوقيت متصلاً، وقولهم قد يصح حرفياً، لكنه على خلاف النسق والبيان، فإن بولس ينطلق في حسابه كله منذ هدايته. فالتوقيت بين « الثلاث سنوات » (غلا ١: ١٨) و« الأربع عشرة سنة » (٢: ١) منفصل، لأن بولس يذكر اتصاله بالرسل منذ هدايته (غلا ١: ١٥)، موضوع كلامه. وهذا الخلاف في التفسير سبب الخلافات في « كرنولوجيا » سيرة بولس.

والمشكل الثاني، التعارض بين لوقا وبولس في عدد الزيارات إلى أورشليم.

إن بولس يذكر زيارتين بعد هدايته: الأولى « بعد ثلاث سنوات »، فتكون سنة ٣٧؛ والثانية « بعد أربع عشرة سنة » فتكون سنة ٤٩ عام مجمع الرسل.

أما لوقا فيذكر زيارة أولى من دمشق بعد هربه الثاني بزنبيل (أع) فتكون الزيارة « بعد ثلاث سنوات » (غلا ١: ١٨)؛ وزيارة ثانية لحمل تبرعات أهل أنطاكية (أع ١١: ٣٠ ــ ١٢: ٢٤) ــ وهذه لا يذكرها بولس ــ وزيارة ثالثة مع برنابا ونفر آخرين، بعد الرحلة الرسولية الأولى (أع ١٣: ١ ــ ١٥: ١٠) وبعد الخلاف في أنطاكية مع جماعة من النصارى الإسرائيليين من أورشليم (أع ١٥: ١ ــ ٢) لتحرير المسيحية من الشريعة والختان.

فلا شك أن هذه الزيارة الثالثة التي يذكرها لوقا هي الزيارة الثانية التي يحددها بولس « بعد أربع عشرة سنة » من هدايته، لأن موضوع الاثنتين

واحد، وأن ركّز بولس حديثه على « مفاوضة الوجوه والأعمــدة »، ولوقــا علــى مباحثــات الجماعة وقرارهم بالإجماع في تحرير المسيحية من الموسوية.

ومشكل الزيارة الثانية التي يذكرها لوقا ويهملها بولس، يسقط لأن لوقــا يــؤرخ مــن زاوية تاريخية، وبولس يفصّل من ناحية عقائدية لإثبات استقلاله في هدايته وفي دعوته، وفــي اعتراف بطرس ثم مجمع الرسل برسوليته ورسالته.

وتوقيت لوقا، وتوقيت بولس يتفقان على أن مجمع الرسل بأورشليم، الــذي اعتــرف برسالة بولس وأفتى بتحرير المسيحية من الموسوية، كان سنة ٤٩ ــ ٥٠.

●

٤ ــ النتائج التاريخية المبنية على تلك القرائن

من القرائن السابقة نصل إلى هذه النتائج التاريخية القريبة من الواقع:

هداية بولس نحو العام ٣٤.

عزلة بولس نحو « ثلاث سنوات » في العربية الأنباطية.

دعوة عابرة في دمشق ثم في أورشليم عام ٣٧.

عزلة ثانية في طرسوس نحو خمس سنوات ٣٧ ــ ٤٢.

ــ فتلك ثمانية أعوام من العزلة والوحي وقراءَة الكتاب على ضوء الإنجيل.

إمامة برنابا لكنيسة أنطاكية عام ٤١، سنة ارتقاء كلوديوس قيصر عرش رومــة (٤١ ــ ٥٤).

عام ٤٢ اشتراك بولس مع برنابا بالدعوة في أنطاكية « سنة كاملة ».

عام ٤٣ نبؤة اغابس بالمجاعة (أع ١١: ٢٧ ــ ٣٠) واضطهاد هيرود الصغير لكنيسة أورشليم (أع ١٢: ١).

عام ٤٣ ــ ٤٤ زيارة بولس الثانية لأورشليم مع برنابا حاملين تبرعات

أنطاكية للنصارى في المدينة المقدسة. وكان سبب حملة التبرعات **قدوم بطرس المفاجئ إلى أنطاكية** (أع ١٢: ١٧) بعد نبؤة أغابوس.

٤٤ ــ ٥٠ أنطاكية كرسي بطرس الأولى مدة سبع سنوات، بحسب التقليد.

في النصف الثاني من العام ٤٤ موت الطاغية هيرود الصغير (أع ١٢: ٢٠ ــ ٢٣).

عام ٤٥ دعوة برنابا وبولس ثانية في أنطاكية (أع ١٣: ١ ــ ٣) بحضور بطرس.

عام ٤٥ اصطفاه برنابا وبولس للرسالة بين الأمم بسيامة أسقفية (أع ١٣: ٣).

عام ٤٦ ــ ٤٨ **رحلة بولس الأولى** مع برنابا في الأناضول مدة ثلاث سنوات.

عام ٤٩ مجمع أورشليم لتحرير المسيحية وتثبيت رسالة بولس.

عام ٤٩ ــ ٥٠ خلاف بولس وبطرس في أنطاكية (غلا ٢: ١١ ــ ١٤).

عام ٥٠ ــ ٥٢ كاملةً، رحلة بولس الثانية، وإقامته في كورنثس سنةً ونصف أي عام ٥١ ــ ٥٢، ولقاء بولس بالقنصل غاليون عام ٥٢ في كورنثس. فكانت زيارة بولس الرابعة لأورشليم لوفاء نذر شعره.

•

٥ ــ تاريخ خلاف بطرس وبولس في أنطاكية

هذا التاريخ هو نقطة الخلاف الكبرى في تقويم سيرة بولس.

لوقا لا يذكر خلافاً لبطرس وبولس، إنما يذكر خلاف جماعة برنابا وبولس مع جماعة النصارى من بني إسرائيل على ضرورة الشريعة والختان للمسيحيين من الأمميين (أع ١٥: ١ ــ ٣). فوهم بعضهم أن الخلافين واحد، وأراخوا خلاف بطرس وبولس من قبل مجمع الرسل بأورشليم.

لكن بولس يذكر خلافه مع بطرس بشأن مخالطة ومؤاكلة النصارى للمسيحيين في أنطاكية بعد مجمع الرسل بأورشليم (غلا ٢: ١١ ــ ٢١). كان خلاف النصارى والمسيحيين على مبدإ، فانتصر بطرس لبولس في مجمع أورشليم. أما خلاف بطرس وبولس فكان على سلوك بطرس في أنطاكية، بعد موقفه المبدئي في مجمع أورشليم، إرضاء لجماعة يعقوب، زعيم آل البيت، والذين يفرّطون بحق المسيحية لحساب الشريعة. فليس إذن مَن خلاف جوهري مبدئي بين الرسولين كما يحلو لبعضهم أن يفتري.

وقد أذعن بطرس وبرنابا لمهاجمة بولس المنبثقة من إعلان المجمع الرسولي. **وما كان بولس ليجرأ على مهاجمة بطرس وبرنابا في كنيسة أنطاكية لولا الاجماع في مجمع الرسل.**

وترك بولس أنطاكية لبطرس، وقام برحلته الثانية مستقلاً عن برنابا من عام ٥٠ ــ ٥٢ حيث قضى في كورنثس سنةً ونصف السنة، انتصر في ختامها على ثورة اليهود عليه بترفع القنصل غاليون عن النظر في المماحكات الدينية.

ولقاء بولس بغاليون حول الفصح ٥٢ هو النقطة التاريخية الأساسية في « كرونولوجيا » سيرة بولس. وبناء عليها يجري تقويم التواريخ التي يجعلها بولس لسيرته (غلا ١: ١٨؛ ٢: ١).

وفي ربيع ٥٣ قام بولس **برحلته الثالثة** حيث قضى وقتاً في غلاطية لمرض الحمّى الذي ألمّ به. وفي مطلع العام ٥٤ كان في أفسس حيث قضى ثلاث سنوات، منها سنتان أستاذ المسيحية في مدرسة تيرنس (أع ١٩: ٨ و١٠ و٢٢؛ ٢٠: ٣١). وفي مطلع العام ٥٧ رحل إلى مكدونيا، وأطل على الإليريكون (رو ١٥: ١٩). ثم قضى ثلاثة أشهر الشتاء عام ٥٧ ــ ٥٨ في كورنثس (أع ٢٠: ٣) يكتب الرسالة إلى الرومانيين. ورجع إلى مكدونيا فأقام الفصح عام ٥٨ في فيلبي (أع ٢٠: ٣ ــ ٦). وجاء بتبرعات اليونان إلى أورشليم ليكون فيها على العنصرة عام ٥٨ فكان توقيفه وأسره (١ ظ ــ ٢٠: ١٦).

۞ ۞ ۞

خاتمة

التقويم العام لسيرة بولس ودعوته

العام ٣ مولد بولس في طرسوس على المواطنية الطرسوسية والرعوية الرومانية

٨ ـــ ١٧	مدة عشر سنوات تنشئة بولس بحسب البرنامج التلمودي.
١٨ ـــ ٢٤	مدة سبع سنوات بولس يتخرج « رابيّاً » في أورشليم.
٢٤ ـــ ٣٣	مدة عشر سنوات بولس مفتي طرسوس.
٣٤	بولس يتزعم ملاحقة النصارى بأورشليم.
٣٤	هداية بولس على أبواب دمشق.
٣٤ ـــ ٣٧	عزلة ثلاث سنوات في « بلاد العرب ». (عند بعضهم دعوة ثلاث سنوات بدمشق).
٣٧	في الخريف هرب بولس من دمشق إلى أورشليم.
٣٧ ـــ ٤١	عزلة خمس سنوات في طرسوس ـــ دعوة ضيقة خفية في المنطقة.
٤٢ ـــ ٤٥	أربع سنوات في التخصّص للدعوة لدى الأمميين.
٤٢	« سنة كاملة » من الدعوة بأنطاكية العظمى مع برنابا.
٤٣ ـــ ٤٤	اضطهاد هيرود أغريبا الأول. زيارة بولس وبرنابا لأورشليم بتبرعات أنطاكية. إسراء بولس إلى السماء برؤيا في الهيكل (٢ كو ١٢: ٢).

٣٤ ــ ٤٤	استشهاد يعقوب الكبير، أخي يوحنا، في الفصح. سجن بطرس ونجاته وسفره إلى أنطاكية. دعوة بولس تنشر في اليهودية.
٤٤	في الخريف موت الطاغية هيرود أغريبا الأول.
٤٥	بولس في أنطاكية بين « الأنبياء والمعلمين ».
٤٦	مدة الصوم، اصطفاء بولس مع برنابا للرسالة بين الأمميين.
٤٦ ــ ٤٩	من الربيع إلى الربيع: رحلة بولس الأولى في الأناضول، مدة ثلاث سنوات.
٤٩	في الخريف مؤتمر الرسل بأورشليم ــ الاعتراف الرسمي برسولية بولس ودعوته.
٥٠	قرار كلود القيصر بطرد اليهود من رومة. خلاف بطرس وبولس في أنطاكية.
٥٠ ــ ٥٢	رحلة بولس الثانية في الأناضول واليونان ثلاث سنوات منها ١٨ شهراً في كورنثس ــ في ربيع ٥٢ مقابلة غاليون. الرسالتان إلى التسالونيكيين في ٥١ و٥٢.
٥٣ ــ ٥٨	(من الربيع إلى الربيع) رحلة بولس الثانية مدة خمس سنوات منها سنتان أستاذ المسيحية في مدرسة بأفسس.
٥٤	الرسالة إلى الغلاطيين.
٥٦	الرسالة الأولى إلى الكورنثيين (وهي مجموعة ثلاث رسائل).
٥٧	الرسالة الثانية إلى الكورنثيين (وهي مجموعة ثلاث رسائل).
٥٧ ــ ٥٨	في الشتاء، الرسالة إلى الرومانيين.
٥٨	على العنصرة، توقيف بولس في أورشليم، وسجنه سنتين في قيصرية.

٦٠ ـ ٦١	(من الخريف إلى الربيع) سفر بولس أسيراً إلى رومة.
٦١ ـ ٦٣	(من الربيع إلى الربيع) أسر بولس الأول في رومة. في هذا الأسر، الرسائل إلى الفيلبيين والكولوسيين والأفسسيين.
٦٢	استشهاد يعقوب، أخي الرب، في أورشليم. أخوه سمعان يخلفه.
٦٣ ـ ٦٤	رحلة بولس إلى اسبانيا.
٦٤	اضطهاد نيرون للمسيحيين ـ استشهاد بطرس.
٦٤ ـ ٦٧	رجوع بولس إلى الشرق: الرسالتان إلى تيطس وتيموتاوس.
٦٦	بدء الثورة اليهودية الأولى. لجوء نصارى أورشليم إلى بلّة.
٦٧	توقيف بولس وأسره الثاني واستشهاده في رومة.
٧٠	سقوط أورشليم وخراب الهيكل ونهاية العبادة فيه.
٨٥ ـ ٩٠	النصارى من بني إسرائيل يُطردون من الجامع اليهودي. مؤتمر اليهود في جمنية. بدء جمع التلمود.
٩٥	اضطهاد دوميتيانس. يوحنا في جزيرة بطمس.
٩٨ ـ ١٠٠	وفاة يوحنا الرسول بأفسس.
١٠٧	استشهاد سمعان، أخي يعقوب وخليفته في أورشليم.
١١٠	رسائل واستشهاد أغناطيوس الأنطاكي.
١٣٢ ـ ١٣٥	نهاية اليهود كدولة ـ تحريم أورشليم عليهم. فيسكنها المسيحيون من الأمميين.

الجزء الأوّل

الرسول

سيرته. شخصيته. أسلوبه

الفصل الأوّل

سيرة بولس

توطئة	: سيرة بولس ثلاثة عهود
بحث أول	: نشأة بولس
بحث ثان	: هداية بولس إلى المسيحية
بحث ثالث	: بولس « إنجيليّ »
بحث رابع	: بولس « رسول الأمميين »
أولاً	: الرحلة الرسولية الأولى
ثانياً	: المسيحية على مفترق الطرق عام ٤٩
ثالثاً	: الرحلة الرسولية الثانية
رابعاً	: الرحلة الرسولية الثالثة
بحث خامس	: بولس أسير المسيح
بحث سادس	: الجهاد الأخير والاستشهاد
خاتمة	: بولس الرسول الأول والشهيد الأول

توطئة

سيرة بولس المسيحية ــ ثلاثة عهود

في آخر حيــاته، أوجز بولس سيرته ورســالته بثلاثة أوصاف، تقسمها لثلاثة عهود: « **قد أقمت إنجيليّاً ورسولاً ومعلّماً** » (٢ تيم ١: ١١).

وهذا التمييز في الأوصاف والعهود يقضي على نزعة بعضهم في جعل بولس رســولاً منذ هدايته على طريق دمشق. أجل كل صاحب دعــوة يقدر أن يقــول، مثل بولس، بــأن الله « اختاره من جوف أمه » لرسالته؛ لكن هذه الرسالة لا تظهر إلاّ في أوانها. ونرى بولس يقوم بدعــوة في دمشق وأورشليم وطرسوس وخصوصاً في أنطاكية، ولكن في هــذه المدة **بصــفة** « **إنجيليّ** »، لا كرسول مصطفى. يشهد بذلك أن الرب ظهر له، أثناء دعوتــه العــابرة فــي أورشليم (أع ٩: ٢٦ ــ ٣٠) وقال له: « اذهب فإني سأرسلك إلى الأمــم بعيــداً » (أع ٢٢: ٢١). وانتظر تسع سنوات، منها خمساً في عزلة ثانية في طرسوس، وأربعاً في أنطاكية، حتى اصطفاه الله بدعوة خاصة، ورسالة أسقفية خاصة، للرسالة بين الأمم، مع برنابــا (أع ١٣: ١ ــ ٣). حينئذٍ ومنذئذٍ أصبح رسولاً، و« رسول الأمميين » (رو ١١: ١٣). وفي أثناء رحلتــه الثانية صار « معلّماً » برسائله.

فسيرة بولس المسيحية ثلاثة عهود: عهد الداعية الإنجيلي، منذ هدايته إلــى رســامته الأسقفية؛ عهد « رسول الأمم » في رحلاته الرسولية الثلاث، فالرابعة ما بين الأسرين؛ وعهد « المعلّم » للمسيحية برسائله، وكان مظهر العهد قيامه أستاذاً للمسيحية بأفسس فــي مدرســة تيرنس مدة سنتين، حيث أتمّ رسالة الكلمة، برسالة القلم.

•

بحث أول

نشأة بولس

لقد أنشأ الله بولس نشأة طيبة هلنستية وكتابية تصبّان كمجمع البحرين في المسيحية الطالعة، ليكون **معلم المسيحية الأول** بعد المسيح، و« رسول الأمميين » ينقل المسيحية من الصيغة الكتابية السامية، إلى الصيغة الهلنستية التي اختارها الله لتدوين الإنجيل وكتابة رسائل بولس، فرشحها للشمول والخلود.

أولاً: اسمه

اسمه الأرامي شاول، كما تدل عليه صيغته. واسمه في الأوسَاط الهلنستية بولس، كما تدل عليه أيضاً صيغته.

وكانت عادةً مألوفة عند الشعوب المغلوبة، في الدولة الرومانية، أن يحمل أحدهم اسمين، اسماً قوميّاً، واسماً رومانيّاً، خصوصاً إذا اكتسب « الرعوية الرومانية » وامتيازاتها، كما كانت حال بولس عن أبيه. وحمل الاسمين معاً منذ مولده في طرسوس.

•

ثانياً: مسقط رأسه، طرسوس

ولد شاول في طرسوس (أع ٩: ١١؛ ٢١: ٣٩؛ ٢٢: ٣)، عاصمة تجارة وثقافة، على ملتقى عالمين، الأسيوي والهليني، وهو يحمل في نفسه العالم الثالث الإسرائيلي. فكان له **قومية وثقافة منطقة الحدود** المفتوحة على العوالم المجاورة.

كانت طرسوس عاصمة منطقة كيليكية، التابعة لولاية أنطاكية العظمى، في جنوب الأناضول، في سهل على الساحل الجنوبي، تتربع في جنان غناء على نهر كيدنس الذي تمخره البواخر الصغيرة.

وكانت طرسوس على طريق المواصلات بين الشرق والغرب، عرضةً لجميع الغزوات والاحتلالات. فرسب فيها شعب مختلط. لذلك قصدتها جالية يهودية كبيرة للتجارة والعلم.

وكانت مكاناً ممتازاً **للقاء الحضارات والثقافات الشرقية والغربية** التي صهرتها الهلنستية، بعد فتوحات الإسكندر الكبير، الذي أوجد أول وحدة في العالم. وجاءَت الدولة الرومانية فجددت تلك الوحدة المسكونية.

وكان في طرسوس جامعة شهيرة بفلاسفتها، وجلّهم من المدرسة الرواقية. ومن طرسوس كان الأباطرة الرومان يستجلبون معلمين لأبنائهم، كما كان أثينادور معلم أغسطوس قيصر وصديقه. ومنه قد يكون بولس أخذ تعبير « الضمير الصالح ».

وإلى جانب مدارس الفلسفة، كان في طرسوس زوايا للعبادات السرّية، مزيج من حكمة اليونان ومن صوفية الشرق، تدعو للخلاص بطقوس سرية، وتعابير غريبة عبر إلينا شيء منها عن طريق بولس كقوله: « البسوا المسيح»!

ولغة طرسوس، مثل كل الأناضول، كانت اليونانية الشائعة، بلهجة محلية. فكان اليهود المولودون فيها يرضعون اليونانية مع الحليب، مثل بولس، وذلك مع الحفاظ على لغتهم القومية، كما في سائر مهاجرهم.

فنشأ بولس، منذ مولده، على لغتين، وعلى ثقافتين. فحفظ غيباً الكتاب القدسي في ترجمته السبعينية، وكان ينقل منه غيباً عشرات الاستشهادات في رسائله.

وبسبب مركز طرسوس الممتاز، منحتها رومة « الرعوية الرومانية ». **فكان والد بولس يتمتع بالمواطنية الطرسوسية، مع الرعوية الرومانية.** فكان اسم بولس لذلك مسجلاً في العاصمة الرومانية، مثل كل الرومانيين.

تلك بعض الميزات التي ورثها بولس من مسقط رأسه، طرسوس.

●

ثالثاً: بولس يجمع ثلاثة عوالم في شخصيته

لقد كان بولس إذن يجمع في شخصيته قوميته اليهودية، ومواطنيته الطرسوسية الهلنستية، ورعويته الرومانية، ثلاثة عوالم في شخصية واحدة.

أتت عائلة بولس من الجليل واستوطنت طرسوس وكسبت المواطنية فيها. فحمل بولس منها حب العمل اليدوي. وكان والده قد انخرط في نقابة الشعّارين الذين يحيكون الخيم للجيش الروماني. فكان من وجهاء البلد ويشترك في إدارتها.

فوُلد شاول من أبوين يهوديين، من سبط بنيامين (رو ١١: ١؛ فيل ٣: ٥). وقد سموه شاول تيمّناً باسم زعيم السبط، أول ملك على إسرائيل.

وبما أن والده كان فريسيّاً، فقد نشأ بولس على مذهب الفريسيين، وكان يقول: « أنا فريسي ابن فريسي » (أع ٢٣: ٦). فقد تربى على « أضيق مذهب في ملة اليهود » (أع ٢٦: ٥ قابل غلا ١: ١٤؛ فيل ١١: ٥ ــ ٦).

وكان اليهود يقسمون أنفسهم إلى فئتين: « العبرانيين » المقيمين في فلسطين، ومَن تشبه بهم في المهاجر فحافظ على اللغة القومية وعلى العوائد القومية؛ و« الهلينيين » في المهاجر الهلنستية الذين تهلّنوا في سلوكهم وتطبعوا بعوائد أهل المهجر، فكانوا الأحرار بالنسبة للعبرانيين المحافظين.

فنشأ بولس « **عبرانيّاً** » **في وسط هليني**، يتلو كل يوم مع والده الكتاب القدسي باللغة اليونانية السبعينية. وكان يفخر بقوله، رداً على خصومه من نصارى فلسطين: « أعبرانيون هم؟ فأنا كذلك! أإسرائيليون هم؟

كذلك! أذرية إبراهيم فأنا كذلك! » (٢ كو ١١: ٢٢)؛ « فإني أنا أيضاً إسرائيلي، مــن ذريــة إبراهيم، من سبط بنيامين » (رو ١١: ١). ويشهد لنفسه: « لقد خُتنت في اليوم الثــامن، وأنــا من ذرية إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني ابن عبراني » (فيل ٣: ٥).

وكان بولس أيضــاً يفخر بالمواطنية الطرسوسية، ويقول في الدفــاع عن نفسه أنــه « من مدينة غير نكرة » (أع ٢١: ٣٩).

كما كان يفخر عند الحاجة بالرعوية الرومانية التي ورثها عن أبيــه، بينمــا غيــره اشتراها بمال كثير. وكان لتلك الرعوية امتيازات خاصة، كحق اللجوء إلى قيصر مباشرة فــي كل دعوى. وقد لجأ بولس إلى هذه الرعوية عندما أعوزته الحاجة في أسره بقيصرية فلسطين (أع ١٦: ٢١ و٣٧؛ ٢٢: ٢٥ ــ ٢٨؛ ٢٣: ٢٧؛ ٢٤: ١٦؛ ٢٦: ٣٢).

وهكذا جمع بولس في شخصيته ثلاثــة عــوالم، اليهــودي والهلنســتي الطرسوســي والروماني، وقــال بحق: « صرت يهوديــاً مع اليهود، وهلينياً مع الهلينيين؛ وصــرت كــلاً للكل »!

●

رابعاً: في تاريخ مولد بولس

لا نعرف بالتدقيق سنة مولد بولس في طرسوس.

لكن من قرائن التنشئة الإسرائيلية كما حفظها التلمود، ومن إشارات عابرة في رســائل بولس، نستطيع أن نحدّد سنة ميلاده.

لقد كان أبوه فريسيّاً يحافظ على سُنن التلمود التي دونها الفريسيون. والتلمود يحدّد سن الشيخوخة في الستين. وعلى هذا الاعتبار يسمي بولس نفسه « شــيخاً » فــي رســالته إلــى فيليمون (٧)؛ أي ابن ستين سنة عام ٦٢ ــ ٦٣ بأسره في رومة.

وهذا ممّا يجعل مولده تقريباً في العام ٣.

فيكون أصغر من المسيح بنحو عشر سنوات.

ولا يطعن في ذلك وصف لوقا له يوم استشهاد اسطفان زعيم الشمامسة بأنه كان « شاباً » (٧٤١: ٥٨)، في العام ٣٤ ــ فإن لوقا ينطلق في وصفه من أسلوب يوناني، على خلاف طريقة بولس. ونعرف من التلمود ــ ومن الإنجيل (لوقا ٣: ٢٣) ــ إن الإسرائيلي لا يُكلّف بمهمة رسمية إلاّ في سن الثلاثين، كمهمة بولس في ملاحقة النصارى بدمشق ــ فيكون عمر بولس يوم استشهاد اسطفان عام ٣٤ نحو ٣٠ سنة؛ ويكون مولده نحو العام ٣.

فمن تلكما القرينتين نحدد بدقة سنة مولد بولس عام ٣.

●

خامساً: تنشئة بولس على الثقافتين، اليونانية والإسرائيلية

نشعر من رسائل بولس أنه **كان ابن مدينة، وابن جامعة.**

فنشأ على الثقافة الكتابية في البيت؛ وعلى الثقافة اليونانية في المدرسة.

نعرف من بولس نفسه « أني قد عشت على أضيق مذهب في ديننا... فريسيّاً » (أع ٢٦: ٥). فاتبع أبوه في تنشئته العرْف التلمودي.

في سن الخامسة أي عام ٨ يتعلم القراءَة في الكتاب القدسي باللغة العبرية المقدسة، واللغة اليونانية السبعينية، واللغة الأرامية المحكية في الجالية. فيقرأ الشريعة في سفر التثنية (ف ٥ و٦) والأناشيد القومية الدينية في مزامير « التهلّيم » (١١٣ ــ ١١٨)؛ وبطولات إسرائيل في « أيام الله » بالتوراة، وأسفار الملوك.

وفي سنّ العاشرة، أي عام ١٣، يدخل في الحقبة الثانية من دراسته القومية، فيتعلم أحكام « المشنة » أي « سنة الشيوخ » وهي « الشريعة الشفوية ».

وفي سن الثالثة عشر، أي العام ١٦، يتعلم أحكام التوراة، وكانوا يَعدونها ما بين الأوامر والنواهي ٦١٣ حكماً ــ وكان الطالب في هذه السن

يسمّى « ابن الشريعة ». وفي ختام المرحلة يجتاز امتحاناً في معرفة التوراة خصوصاً تـاريخ العهد القديم وقصصه، يؤهله أن يكون عضواً في « الكنيسة » أي الجامع.

وقد رسب في ضمير بولس من هذه الفترة عجز الإنسان عن حفظ أحكـام الشـريعة العديدة، التي ستخلق في وجدانه أزمة عنيفة لا تحلها إلاّ نعمة المسيح (رو ٧: ٩: ١١).

وهكذا نمت لبولس تربيته الإسرائيلية الإعدادية.

وفي الوقت نفسه، في مدارس طرسوس، بصفة كونه مواطناً طرسوسيّاً، ومن الرعوية الرومانية، كان **يتلقى مدة عشر سنوات الثقافة الهلنستية**. فهو يكتب اللغة اليونانية ارتجـالاً كابن بجدتها. ويستخدم أحياناً استشهادات من حكمائها وشعرائها. ويستخدم أيضاً للتعبير عـن العقيدة المسيحية تعابير الحكمة والغنوص كعليم بهما. ونعرف من رسائله أنه اتقـن اليونانيـة خطابةً وكتابةً بكل أساليبها.

وبعد تحصيله الجامعي في أورشليم، وتخريجه رابيّاً، عاد إلى طرسوس، فأكمل فيهـا، سواء في جامعتها، أم في نواديها، ثقافته اليونانية الجامعية، التي جعلته حكيمـاً هلينيّـاً، كمـا جعلته جامعة أورشليم رابيّاً إسرائيليّاً.

فإنه لمّا بلغ الخامسة عشرة أرسله والده إلى أورشليم وطن الآبـاء والأجـداد، وعلـم الكتاب والسنة، يتخصّص في أصول الشريعة والفقه ليكون « نوراً ينجلي للأمم » في وطنـه الثاني. وكان ذلك عام ١٨. وربما وافق ذلك زواج أخته من أحدهم في أورشليم. وبعد خمـس عشرة سنة نرى ابن أخته في أورشليم يكشف لخاله ولقائد الألف مكيدة الأربعين الذين أقسموا على قتل بولس (أع ٢٣: ١٦). ولا نعرف سوى ذلك عن أفراد عائلته.

كان في أورشليم مدرستان لتعليم الشريعة والفقه: مدرسة رابي هلّيل، وميزتها التسهيل والتيسير في أحكام الشريعة؛ ومدرسة رابي شماعي التي تتمسك بالحرف والظاهر وتتشدّد في أحكامها. وكان جمالئيل (أي جمال الله) حفيد هلّيل يقتفي آثار جدّه الشهير. فتتلمذ لـه بـولس وكان من

المعجبين به وبتعليمه؛ وسرعان ما فاق أقرانه في التحصيل (غلا ١: ١٤). وكان بولس يقول فيه: « إني يهودي، ولدتُ في طرسوس بكليكية؛ بيد أني ربيت في هذه المدينة وتأدبت بدقة لدى قدمي جمالئيل على شريعة آبائنا » (أع ٢٢: ٣). وينقل عنه لوقا، بمناسبة دفاعه في السنهدرين، وهو عضو بارز فيه، عن الرسل الموقوفين: « كان جمالئيل معلّماً للشريعة، ذا حرمة عند الشعب كله » (أع ٥: ٣٤).

لكن بولس كان « فريسيّاً ابن فريسي » (أع ٢٦: ٦؛ فيل ٣: ٥)، فلم يأخذ بتسهيل جمالئيل في فقه الشريعة، بل تغلبت عليه فريسيته، بحسب قوله: « وقد كنت أتفوّق في الملة اليهودية على كثيرين من أترابي في أمتي، إذ كنت أغار بإفراط على سنن آبائي » (غلا ١: ١٤).

فتخرج فقيهاً في الشريعة، ومعلّماً في أصول الدين. ونلاحظ براعة بولس في علم الكتاب والسنة من اقتباساته في رسائله: فإننا نجد عنده اقتباسات من ١٤١ فصلاً من العهد القديم؛ واستخدم مئتي آية عن ٣٣ مزموراً وعن ٢٩ فصلاً من اشعيا، وهما السفران اللذان يذكران المسيح الموعود أكثر من أسفار العهد القديم كله، كأنهما إنجيل قبل الإنجيل.

قضى بولس خمس سنين يأخذ علم الكتاب والشريعة، والسنة والفقه، في أروقة الهيكل. فحصل على الثقافة الإسرائيلية العالية، كما حصل على الثقافة اليونانية العالية. وكابن الرعوية الرومانية، لا شك أنه أخذ، مع **الفقه الشرعي**، الفقه في القانون الروماني، كما نلمح ذلك من أسلوبه في رسائله، ومن استخدامه عند الحاجة (رو ٧: ١ ــ ٤).

ومن أحكام التنشئة التلمودية الزواج في سن الثامنة عشرة. لكن بولس آثر العزوبة على الزواج، ليتفرّغ لمهنته كرابي. ولا يخلو ذلك من عناية ربانية كانت تهيّئه ليكون شبيهاً بالمسيح ببتوليته.

وفي سن العشرين، أي عام ٢٤، عاد إلى طرسوس فقيهاً رابيّاً، ليكون مفتي أمته في مسقط رأسه، وداعية التوحيد التوراتي بين أبناء بلدته ومنطقته، مع مزاولة مهنة والده في حياكة الخيام من الشعر لمخيمات الجيش الروماني وللرعاة في بواديهم؛ وكانت تجارة رائجة رابحة.

●

سادساً: بولس رابّي في طرسوس مدة عشر سنوات

فنحو العام ٢٤، في سن العشرين، رجع بولس إلى طرسوس خرّيج جامعة الهيكل في أورشليم، كما يقولون اليوم (خرّيج جامعة الأزهر) لكنه كان أيضاً على ثقافة هلينية ورومانية تزيد من قدره.

من الظاهر أنه قضى نحو عشر سنوات، ما بين العام ٢٤ ـ ٣٤، رابيّاً في طرسوس، يعلّم الشريعة لبني قومه، والتوحيد للمتقين من الأمميين. ومثل رابي حكيم كان يعمل أيضاً في حياكة الخيام من الشعر ليجمع الصنعة إلى الثقافة والتدريس.

لا شك أنه في تلك الأثناء كان، كغيور على دين الله، يحب الاطلاع على التيارات الفكرية والدينية الهلنستية، وعلى الديانات السرية الآتية من المشرق، ليحمي منها أبناء دينه، ويحمل الأمميين على الإيمان بإله إسرائيل، إله التوحيد.

ونشعر من رسائل بولس أنه كان عليماً حكيماً بالتيارات الفكرية والدينية التي كانت شائعة في مدينة جامعية كطرسوس. واطلاعه على الفلسفة الرواقية وعلى الغنوص والديانات السرية، ظاهر في رسائله. فقد اطلع عليها جميعاً ليبشر بالتوحيد التوراتي ضدها.

في تلك الأثناء قامت الدعوة الإنجيلية في الوطن الغالي عام ٢٧ ـ ٣٠؛ وتأسّست الكنيسة في أورشليم عام ٣٠ ـ ٣٣. وبدأ الحجاج من اليهود والتجار ينقلون معهم من المدينة المقدسة أخبار الجماعة المسيحية. فعوّل بولس أن يستوضح الأمر بنفسه، فقرّر الحضور إلى أورشليم.

وهنا يتساءَلون: هل عرف بولس السيد المسيح؟

ربما تصادفا في الهيكل أثناء مواسم الحج. لكن يسوع قبل دعوته لم يكن ليثير الالتفات إليه، إلاّ بتقواه. وأثناء الدعوة الإنجيلية كان بولس في طرسوس، فلم يسمعها ولم يرَ يسوع معلّماً.

يقول بولس: « ونحن، إذا كنّا عرفنا المسيح بحسب الجسد، فالآن لا نعرفه كذلك » (٢ كو ٥: ١٦) ـ فهل يعني قوله هذا أن بولس عرف

المسيح قبل هدايته؟ قد يرى بعضهم ذلك؛ لكن الآية ردّ على الذين ينكرون على بولس حق الرسالة والشهادة، لأنه لم يكن شاهد عيان ولا صحابيّاً، فيجيب بأن الأصل « المسيح بحسب الروح » في مجد قيامته، لا « المسيح بحسب الجسد » أثناء دعوته، وهو شاهد العيان لمسيح القيامة على مثال الاثني عشر وسائر شهود القيامة الذين يعدّدهم في بلاغ إنجيل القيامة (١ كو ١٥: ١ ـ ١١).

لذلك يظهر أن بولس لم يشاهد يسوع ولم يعرفه على أيام بشريته؛ ولو عرفه لما سأله يوم ظهر له على طريق دمشق: « مَن أنت يا سيد؟ ـ أنا يسوع الذي تضطهده أنت »! (أع ٦: ٥).

•

سابعاً: بولس مضطهد المسيحية (١ كو ١٥: ٩؛ غلا ١: ١٣؛ فيل ٣: ٦).

بعد موسم الحج عام ٣٣، ازدادت أخبار « شيعة النصارى ». وبلغت الثورة في نفس الرابي شاول ذروتها لدى سماعه هداية كثيرين من الأحبار والفقهاء أنفسهم إلى البدعة الجديدة الكافرة التي تنادي بإلهية يسوع الناصري! لاسيما هداية بعض أقرانه في الجامعة مثل يوسف القبرصي الثري الذي تبرّع بماله كله للشيعة الجديدة فسموه لذلك برنابا أي « ابن العزاء » الذي عزّى وأعز الله به الجماعة الناشئة. فقرر الاستطلاع بنفسه عن الحركة. فحضر إلى أورشليم بعد فصح ٣٣ فوجد أورشليم تغلي كالمرجل بالحركة الجديدة.

وكان في المدينة المقدسة جوامع وزوايا لجميع يهود الشتات يجتمعون فيها جماعات خاصة. وقد بلغت نحو ٤٨٠ جامعاً. وكان من أشهرها « جامع الكيليكيين » حيث كان جماعة أسطفان يتردّدون للصلاة والدعوة ليسوع الناصري. وقد يكون أسطفان، زعيم الشمامسة « الهلينيين » ترْب بولس في دروسه. ولا شك أنه اصطدم مراراً في مباحثات عنيفة مع بولس (أع ٦: ٩) وهو يدعو ليسوع الناصري المصلوب أنه المسيح الموعود، وابن البشر الجالس في السماء على يمين الله. فثار بولس على أسطفان ومدرسته

وعلى النصارى جميعاً من « هلّينيين » ومن « عبرانيين »: أما شاول فكان يعيث في الكنيسة، ويلج البيوت، ويجرّ الرجال والنساء إلى السجن » (أع ٨: ٣). **وتزعّم الثورة على الكنيسة في أورشليم.**

ولفرط غيرة بولس في اضطهاد « شيعة النصارى » استصدر أمراً من السنهدرين، واستحصل تفويضاً من الحبر الأعظم لملاحقتهم في دمشق (أع ٩: ١ ــ ٢). وشفع الحبر الأعظم الأمر السامي بحامية عسكرية صغيرة ومضى بولس في طريقه إلى دمشق.

وبولس نفسه يصف لنا عنف الاضطهاد الذي قام به.

« لا جرم إنكم سمعتم بسيرتي قديماً في ملة اليهود: كيف كنت اضطهد بإفراط كنيسة الله وأدمرها! وكيف كنت، في الملة اليهودية، أفوق الكثيرين من أترابي في أمتي، إذ كنت أغار على سُنَن آبائي » (غلا ١: ١٣ ــ ١٤). فكنت « من حيث الغيرة مضطهداً للكنيسة، ومن حيث البرّ بحسب الشريعة بغير لوم »! (فيل ٣: ٦). لذلك « فقد اضطهدت ذلك الصراط حتى الموت، مقيداً ومسلّماً إلى السجون رجالاً ونساءً، كما يشهد لي بذلك الحبر الأعظم وجميع مجلس الشيوخ. بل أخذتُ منهم رسائل إلى الأخوة، وانطلقت إلى دمشق لأجيء أورشليم بمن هناك موثقين لينالوا عقابهم » (أع ٢٢: ٤ ــ ٥). وكان لفرط غيرته على يهوديته يظن ذلك الاضطهاد واجباً عليه مقدساً: « أما أنا فقد اعتقدتُ من الواجب عليّ أن أقاوم بكل وسيلة اسم يسوع الناصري. ولقد فعلت ذلك في أورشليم، وحبستُ أنا نفسي في السجون الكثيرين من القديسين، بعد أن **فوّض إليّ السلطان من قِبَل رؤساء الكهنة. وكنت ممّن أفتى بقتلهم**. وفي كل الجوامع كثيراً ما كنت اضطرهم بضروب العنف إلى التجديف. ولفرط حنقي عليهم كنت أتعقبهم حتى في المدن الأجنبية » (أع ٢٦: ٩ ــ ١١).

تلك هي الصورة المرعبة لاضطهاد بولس للنصارى. والصورة القاتمة واحدة ما بين الرسائل والأعمال. وقد أوجزها لوقا بهذه الكلمة في فاتحة هدايته المعجزة: « أمّا شاول فإذ كان لا يزال يقذف على تلاميذ الرب تهديداً وقتلاً، أقبل على الحبر الأعظم وطلب منه رسائل إلى جوامع دمشق،

حتى إذا ما وجد أناساً على هذا الصراط، رجالاً أو نساءً، يسوقهم موثقين إلى أورشــليم » (أع ٩: ١ ــ ٢).

تلك الصورة الواحدة، من مصدرين مستقلّين، شهادة شخصية وتاريخية على أنه لــيس من شيء ينبئ عن هداية بولس، بل أنها ستكون معجزة إلهية. أجل أن جــدالات بــولس مــع مدرسة اسطفان قد أطلعته على شيء من حقيقة المسيحية، ولكن مــا كــان ذلــك إلاّ ليزيــده اضطهاداً لمن يعتبرون الناصري المصلوب « المسيح الرب »، وهو الكفر والشرك في نظــر الرابيّ صاحب التوحيد التوراتي الخالص! ولا شك أنه كان يشعر من حين إلى حين بظلمه في قسوة الاضطهاد، لكنه كان يبرّئ نفسه بحسب المبدإ: « والفتنة أشد من القتل »! فكان لا بدّ له من شهادة الدم تستحق له هداية معجزة؛ ولوقا يربط من طرف خفي بين استشهاد اسطفان (أع ٧: ٥٨؛ ٨: ١) وبين هداية بولس (أع ٩: ١ ــ ٢).

فكل التخرصات لإيجاد أسباب سيكولوجية أو اجتماعيــة أو طبيعيــة لهدايــة بــولس المعجزة، تسقط أمام شهادة الواقع التاريخي في اضطهاد بولس الرابي اليهودي للمسيحية.

ومن جهة أخرى، إن تكليف بولس باضطهاد النصارى « بعد أن فُوّض إليّ الســلطان من قبل الأحبار »؛ ثم تكليفه بملاحقتهم بدمشق؛ برهان على أن **بولس قد بلغ ســن الثلاثــين** عام ٣٤، بناءً على القاعدة التلمودية في سن التكليف بالمهامات الرسمية، كما يشــير الإنجيــل نفسه في بدء دعوة المسيح (لوقا ٣: ٢٣).

فالعام ٣٤ كان عام استشهاد اسطفان.

وهو أيضاً عام هداية بولس إلى المسيحية.

۞ ۞ ۞

بحث ثان

هدايته بولس إلى المسيحية

إن الحدث الأكبر في حياة شاول الطرسوسي، الرابيّ اليهودي، كان **هدايته المعجـزة** إلى المسيحية، على أبواب دمشق.

فكانت **انقلاباً شاملاً كاملاً** في سيرة الرجل، وفي عقيدة الرابي اليهودي، وفـي ثقافـة وعلم المواطن الهلنستي الروماني.

إن رؤية بولس ببصره وبصيرته، للمسيح الرب في مجد قيامته يتلألأ بنور اللاهـوت، أهّلته لدورة العظيم حتى يكون منظم المسيحية الأكبر، بعد مؤسّسها الأعظم.

ففي العام ٣٤، عام استشهاد اسطفان، وعام هداية بولس، بلغ سـنّ التكليـف بمهمـة رسمية، أي سن الثلاثين. فلوقا يربط بين استشهاد اسطفان وهدايـة بـولس (أع ٧: ٥٨؛ ٢٢: ٢٠؛ ٢٦: ١٠)، ممّا يجعلهما في سنة واحدة وبما أن بولس كان « شيخاً » (فيلمـون ٧) ابـن ستين سنة، عام ٦٣ بأسره في رومة، تكون ولادته عام ٣ تقريباً، وهدايته عـام ٣٤، ولوقـا يجعل من طرف خفي دم اسطفان، أول الشهداء، ثمناً وسبباً لهداية أعظم يجعل مـن طـرف خفي دم اسطفان، أول الشهداء، ثمناً وسبباً لهداية أعظم رسل المسيحية، شـاول الطرسوسـي، الرابي اليهودي، بولس « رسول الأمميين ».

أولاً: قصة هداية بولس

يستفتح لوقا قصة هداية بولس بقوله: « كان شاول لا يزال يقذف على تلاميـذ الـرب تهديداً وقتلاً » وهو يسير إلى دمشق، بتكليف وسلطان من

الحبر الأعظم، ليلاحق النصارى من اليهود فيها، لمّا فاجأه الرب يسوع يصعقه علـى أبـواب دمشق.

لذلك نرى مع لوقا مؤرّخ الحدث الخارق معجزة كاملة خلقت فيه انقلاباً شـاملاً مـن الكفر إلى الإيمان، ومن الاضطهاد إلى الجهاد والاستشهاد. ورواية الطبيب الأديب المـؤرخ، الذي عرف بطلها خير معرفة، تؤيدها إشارات بولس المتواترة وتفسّر مدلولها المعجز.

١ ــ الرواية الأولى من لوقا المؤرخ

« وفيما هو ماض، وقد اقترب من دمشق، أبرق حوله بغتة **نور من السماء، فسـقط على الأرض**. وسمع صوتاً يقول له: (شاول! شاول! لِم تضطهدني؟ قال: مَن أنت، يـا سـيد؟ قال: أنا يسوع الذي تضطهده أنت! لكن انهض وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعـل). أما الرجال المسافرون معه فوقفوا مبهوتين يسمعون الصوت ولا يرون أحداً. فـنهض شـاول عن الأرض، ولم يكن يبصر أحداً، مع أن عينيه كانتا مفتوحتين. فاقتادوه بيده وأدخلوه دمشق. فلبث ثلاثة أيام لا يبصر، ولا يأكل ولا يشرب.

وانتقل الرب يسوع من الظهور لبولس إلى الرؤيا لحنانيا، وهو تلميذ صـادق للـرب يسوع، يرعى المؤمنين بدمشق: فقد رأى الرب يأمره بملاقـاة بولس في بيت إقامته بدمشـق. « فمضى حنانيا ودخل البيت، ووضع يديه عليه، وهو يقول: يا شاول أخي، إن الرب يسـوع الذي تراءَى لك في الطريق التي أتيت فيها قد أرسلني لكي تُبصر وتمتلئ من الروح القـدس. وفي الحـال وقع من عينيه شيء كأنه قشور. وعاد فأبصر. فقام واعتمـد. وتنـاول طعامـاً فتقوى » (أع ٩: ١ ــ ١٩).

في هذه الرواية بولس يرى « الرب يسوع » رؤية صادقة في مجده الإلهي. فليسـت هي مجرّد رؤيـا كمـا سيحدث له مراراً؛ وبولس نفسه يميّز بين تلك الـرؤية الحسية وتلـك « الرؤى والإيحاءات » التي ستتبعها (٢ كو ١٢: ١). لقـد أبصـر الـرب يسـوع **ببصـره وبصيرته** معاً، وكان يعتبر رؤيته ليسوع في مجد القيامة من رؤية الرسل أنفسهم، وشهادة لـه بالتالي من شهادة الرسل

أنفسهم، لأن الشهادة تقوم على المشهادة (١ كو ١٥: ١ ـ ٥). وكان حادث العمى المعجز الذي أعقبها برهان المشاهدة الحسية والعقلية التي وقعت له. ونظنه الاستثناء الوحيد، عبر التاريخ، لرؤية المسيح الحسية، بعد ارتفاعه إلى السماء؛ فكل ظهورات المسيح لبولس نفسه، أو للأولياء، كانت روحية.

والاجماع في الروايات الثلاث بقلم لوقا أو على لسان بولس تركّز على **أن مسيح القيامة الذي شاهده بولس هو يسوع التاريخ عينه**: « مَن أنت يا سيد؟ ـ أنا يسوع الذي تضطهده أنت »! فليست شهادة بولس لمسيح غير يسوع التاريخ. فالحدث المعجز يربط بين التاريخ والإيمان بوحدة تامة.

فليست مشاهدة بولس للمسيح على طريق دمشق رؤيا أوهام. أو أضغاث أحلام، أو أتعاب أيام، أو رواسب ضمير معذّب مضام! إنها رؤية المشاهدة العيان. بمعجزة إلهية تسمو على البيان.

٢ ـ الرواية الثانية، على لسان بولس نفسه

يقول: « وفيما أنا سائر، وقد دنوت من دمشق، حدث نحو الظهر أنه أبرق حولي بغتة نور عظيم من السماء. فسقطت على الأرض، وسمعت صوتاً يقول لي: (شاول! شاول! لِمَ تضطهدوني؟ قلت: مَن أنت يا سيدي؟ قال لي: أنا يسوع الناصري الذي تضطهده أنت) ـ ولقد رأى الذين كانوا معي النور، إلاّ أنهم لم يفقهوا الصوت الذي يكلمني ـ فقلت: (يا رب، ماذا عليّ أن أفعل؟ قال لي الرب: انهض وامض إلى دمشق، وهناك يقال لك ما فُرض عليك أن تفعل). وإذ كنت لا أبصر، لبهاء ذلك النور، جئت دمشق يقودني بيدي الذين كانوا معي.

« وإن حنانيا ـ وهو رجل تقي على حسب الشريعة، مشهود له لدى جميع اليهود المقيمين هناك ـ أقبل عليّ وتقدم مني وقال لي: (يا شاول أخي أبصر)! وفي تلك اللحظة رأيته. فقال: (إن إله آبائنا قد اختارك من قبل لتعرف مشيئته وتعاين البار، وتسمع أقوال فيه؛ لأنك ستكون **شاهداً له**

عند جميع الناس، بما أنك شاهدت وسمعت. فلمَ إذن تتأخر؟ قمْ فاعتمد، وتطهّر من خطايــاك، داعياً باسم الرب » (أع ٢٢: ٦ ــ ١٦).

ــ في هذه الرواية الثانية، الحادث المعجز واحد، مع زيادة بعض التعابير الإيضــاحية التي يملكها صاحب الحادث، وقد تفوت المؤرخ، أو يهملها: جرى الحــادث المعجــز قــرب دمشق، « نحو الظهر » أي في وضح النهار، في نور « من السماء » يفــوق نــور النهــار، ويُعمي الأبصار. يشهد بولس بذلك أنه نور معجز. ومسيح القيامة الذي يشاهده بعينيه يســمي نفسه « يسوع الناصري »، رجل التاريخ والواقع.

وفي الرواية الثانية تفصيل لبعض تعابير الرواية الأولى. تقول الأولى: « أما الرجــال المسافرون معه فوقفوا مبهوتين »؛ وتفسّر الثانية سبب بهتتهم: « لقد رأى الذين كــانوا معــي النور ». وفي الأول: « يسمعون الصوت، ولا يرون أحداً »؛ بينما تفصّل الثانية: « إلاّ أنهــم لم يفقهوا صوت الذي يكلمني » أي يسمعون الصوت ولا يرون أحداً معه؛ يسمعون الصــوت ولا يفهمونه. فهم شهود الحادث المعجز، لا مشاهدوه؛ يرونه من خارج، ولا يعلمون ما يجري ذاتياً لبولس.

ثم إن الرواية الثانية تهمل رؤيا حنانيا للمسيح، وتقتصر على تفصيل حــديث حنانيــا وشاول الذي أوجزته الأولى بقولها: « وتمتلئ من الروح القدس »، أي بحسب الثانية « لتكون شاهداً عند جميع الناس بما شاهدت وسمعت ».

ففي الرواية الثانية تفصيل وتكميل للأولى، لا تعارض ولا تناقض، كما يحلو لمنكــري المعجزة أن يبطلوا تاريخيتها بتعارض روايتها. فالروايتان متكاملتان لا تتعارضان.

٣ ــ الرواية الثالثة، على لسان بولس أيضاً

يقول: « أيها الملك، لمّا انطلقت إلى دمشق، وأنا على ذلــك (الحنــق والاضــطهاد)، وبيدي سلطان وتفويض من رؤساء الكهنة، رأيتُ على الطريق، في منتصف النهار، نوراً مــن السماء يفوق لمعان الشمس قد أبرق

حولي وحول السائرين معي، فسقطنا جميعاً على الأرض. وسمعت صوتاً يقول لي باللغة العبرية: (شاول! شاول! لِمَ تضطهدني ــ إنه لصعب عليك أن ترفس المناخس! قلت: من أنت يا سيدي ــ قال الرب: « أنا يسوع الذي تضطهده أنت! لكن انهض وقف على قدميك. فإني **ظهرت لك لأقيمك خادماً لي وشاهداً بما شاهدت** وبما سأريك. ولقد فرزتك من الشعب، ومن الأمم الذين أنا مرسلك إليهم، لتفتح عيونهم، فيرجعوا من الظلمة إلى النور، ومن حوزة الشيطان إلى الله، وينالوا بالإيمان بي مغفرة الخطايا وقسمة ميراث مع القديسين » (أع ٢٦: ١٢ ــ ١٨).

ــ في هذه الرواية الثالثة زيادة إيضاحات: حديث يسوع مع بولس كان « بالعبرية » أي لغة العبران في ذلك الزمان، وهي الأرامية؛ وتقول: إن مرافقي بولس « قد سقطوا جميعاً على الأرض »، بينما الأولى تقول: « وقفوا مبهوتين » ــ ولا تعارض بين الروايتين، لأنه بعد سقوطهم جميعاً على الأرض، جاء أمر يسوع لبولس بالنهوض على قدميه، فنهضوا معه مثله، « ووقفوا مبهوتين، يسمعون الصوت ولا يرون أحداً » أي يسمعون، « ولا يفقهون صوت الذي يكلمني ».

وتقول الثانية: « ستكون لي شاهداً عند جميع الناس بما شاهدت وسمعت، وتفسّر الثالثة جامعةً كلام يسوع وكلام حنانيا، للإيجاز في الرواية: « فإني ظهرت لك لأقيمك خادماً لي وشاهداً بما شاهدت وبما سأريك ». وما تزيده الرواية الثالثة تعليق يقصد هداية الملك اغريبا الذي يسمعه. فلا تعارض ولا تناقض.

تلك هي الروايات الثلاث لهداية بولس. وهي مؤتلفة متكاملة، لا تعارض فيما بينها، كما أحب بعضهم أن يتوهموا ليوهموا الناس في صحة الحادث التاريخي المعجز، من التعارض الموهوم في رواياته. والجوهري الذي تجمع عليه الروايات الثلاث هو رؤية نور معجز من السماء، أبهى من نور الشمس في رابعة النهار، ومشاهدة يسوع الناصري في مجد قيامته يحفُّ به ذلك النور المعجز، والحوار بين يسوع وبولس بالحرف الواحد في الروايات الثلاث، مما يدل على أن هذا الحوار هو محور الحدث الكبير؛ « شاول!

شاول! لِمَ تضطهدني؟ ــ مَن أنت يا سيدي؟ ــ أنا يسوع الناصري الذي تضطهده أنت »! (أع ٩: ٤ ــ ٥؛ ٢٢: ٧ ــ ٨؛ ٢٦: ١٤ ــ ١٥).

فالمعجزة التاريخية التي في الواقع المشاهد أن بولس رأى ببصره يسوع الناصري المصلوب في مجد قيامته ونور الله، وفهم ببصيرته، بكشف ذاتي ينبعث من نور المسيح في نور الله أن يسوع هو ابن الله كما يقول: « **ارتضى الله أن يكشف ابنه فيّ، لكي أبشر به بين الأمميين** » (غلا ١: ١٦).

فكانت هداية بولس رؤية بالبصر، وكشفاً في البصيرة. وقد انطبع المشهد المعجز في نفسه حقيقةً تتحدّى كل شيء حتى الجهاد والاستشهاد. ومَن يبذل نفسه نيّفاً وثلاثين سنة بالمجاهدة والمكاشفة، بالجهاد والاستشهاد، في سبيل شهادته، لا يكون كاذباً ولا موهوماً، بل الخادم الأمين، والشاهد اليقين.

•

ثانياً: أسباب هداية بولس

بعد فشل المحاولات للطعن في تاريخية معجزة هداية بولس، من التوهّم والإيهام بتعارض رواياته؛ توسلوا لها أسباباً نفسية أو اجتماعية أو طبيعية تخرج الحادث عن اعجازه، وتجعله أمراً طبيعيّاً نتيجة تطور ذاتي وتصور شخصي.

والتكالب على تلك المحاولات الأولى والثانية أن إنجيل بولس (غلا ١: ١١) يقوم على مشاهدة ابن الله مسيح القيامة (غلا ١: ١٦). وإنجيل بولس في رسائله سبق تدوين الإنجيل بأحرفه الثلاثة المؤتلفة، وفصّل العقيدة المسيحية أكثر من الإنجيل. فالطعن في معجزة هداية بولس طعن في صحة الإنجيل نفسه الذي دُوّن بعده؛ وطعن في « إنجيل » بولس الذي فهم المسيح والمسيحية، في لمحة معجزة، أكثر من سائر الرسل الذين أكلوا وشربوا مع المسيح، مدة ثلاث سنوات (أع ١٠: ٤١). ولكن رسائله قائمة تشهد لمعجزة هدايته، وهي تعرّف به أكثر من جميع الأبطال الذين سبقوه في كل الآداب. ومعجزة هدايته قائمة تتحدّى كل التخرصات.

يقول بعضهم: إن هداية بولس كانت نتيجة **انهيار عصبي ووجداني**، بعد تعب السفر وحرّ الشمس، وتعب الضمير لما اقترفه بحق المسيحيين وخصوصاً اسطفان الذي أفتى معهم بقتله وشهده؛ فتوهم أنه رأى يسوع يظهر له ويوبخه. فكان ذلك صوت الوجدان والضمير المعذّب.

يقول آخرون: إن هداية بولس كانت نتيجة **اضطراب فكري** قائم على الشعور بعجز الشريعة عن التبرير كما يلمحون في (رو ٧: ١٤ ـ ٢٥) وبسبب جدال مدرسة اسطفان له، ورؤيته الوجدانية بمطابقة موقفهم لنبوآت الكتاب.

يقول غيرهم: إن هداية بولس كانت نتيجة **اضطراب نفساني** قائم على المبدإ الذي يعلنه في الحلال والحرام: « كل ما ليس عن عقيدة، فهو خطيئة » (رو ٧: ٢٣). فلم يكن بولس مقتنعاً بصحة اضطهاد النصارى، فرجع عنه وهو يتهيّب ما هو مقبل عليه بدمشق، وتحوّل إليهم ليعوّض عما فعل.

وكلها تفسيرات قد يكون لها بعض الأثر البعيد في وجدانه، لكن لا أساس لها في الواقع التاريخي المشهود: فإن بولس كان مقتنعاً بصحة تصفية المسيحية، بعد تصفية المسيح مؤسسها، لأن فيها، بنظر الرابي اليهودي، خطراً على التوحيد وعلى الشريعة وعلى اصطفاء القومية اليهودية، وهو خطر يستحق التكفير والاعدام شرعاً كما فعل باسطفان.

والانقلاب المفاجئ من الكفر إلى الإيمان، في لمحة بصر، كما جرى لبولس، لا وجود له في قوانين السيكولوجيا. والذي تفرض عليه عقيدته التوحيدية اضطهاد بدعة كافرة، لا ينقلب فجأة من الكفر بها إلى الإيمان بها، تحت تأثير انهيار عصبي ووجداني، أو اضطراب فكري، أو قلق ضميري، وهذا كله لا ينسجم مع الواقع المشهود.

لا يفسر هذا الانقلاب المفاجئ الجذري من الكفر إلى الإيمان إلاّ المعجزة التي تشهد بها مصادرنا، وتشهد بها سيرة بولس بعد هدايته. لقد رأى بولس، كما يشهد هو نفسه ــ ولا سند لاتهامه في شهادته ــ يسوع الناصري في مجد قيامته ونور الله، فآمن عن رؤية صادقة ووحي كاشف أنه

المسيح، ابن الله. لقد أعطته تلك المشاهدة العيان للمسيح في نور الله فهماً سامياً لسره في ذاته؛ فكان الشاهد الأمين لما شاهد ببصره وبصيرته، كما يقول هو نفسه: « لمّا ارتضى الله ــ الذي فرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته ــ أن يكشف فيّ ابنه، لأبشّر به بين الأمميين، للوقت لم أصغ إلى اللحم والدم » أي للاعتبارات البشرية (غلا ١: ١٥ ــ ١٦). فليس عند الرابي اليهودي المتعصّب للتوحيد التوراتي التلمودي من استعداد وجداني أو نفساني أو تفكيري لكي يقبل بنوّة في الله، خصوصاً في مسيح مصلوب، لكي يرى في يسوع الناصري المصلوب، الذي أعدمه السنهدرين لكفره، « الرب يسوع » « ابن الله الحي »؛ وقمة التناقض أن ينادي بذلك للحال في جامع اليهود بدمشق، هو الذي يحمل إليهم رسائل من السنهدرين لمحاربة البدعة الجديدة الكافرة (أع ٩: ٢٠)؛ فيثير عليه بحق، كما يعلم وينتظر، ثائرة بني قومه؛ ولا يفلت من الاغتيال إلاّ بالهرب سرّاً إلى « بلاد العرب »، ثم لما حاول مرة أخرى بالهرب بواسطة زنبيل من شباك في السور (٢ كو ١١: ٢٣ ــ ٣٣).

إن الواقع التاريخي المشهود هو، بحسب أصول علم النفس، المعجزة عينها. وبولس نفسه يصف هدايته المعجزة بأنها « **قبضة** » قادر، من المسيح في سلطان مجده (فيل ٣: ١٢). وبحسب رواية التاريخ، وروايته الشخصية الثنائية، لقد ظهر له الناصري « الرب يسوع » في مجده السماوي، بنور إلهي يفوق نور الشمس الشرقية في رابعة النهار، وصرعه على الأرض، فلم يستطع أن ينهض إلاّ بأمره، وأعمى عينيه فلم يُبصر إلاّ بأمره (أع ٢٦: ١٦). فقد أخذه « أخذ » عزيز مقتدر (فيل ٣: ١٢)، وهذه هي المعجزة الكبرى بكل ظروفها كما شعر هو نفسه: « إن الإله الذي قال: (ليشرق من الديجور نور) هو الذي أشرق في قلوبنا لتسطع فيها معرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦).

وهذا الانقلاب المفاجئ الشامل الكامل، من الكفر إلى الإيمان، هو برهان المعجزة، عند معاصريه كما كانوا يردّدون: « إن مَن كان يضطهدنا قبلاً يبشّر الآن بالإيمان الذي سعى بنفسه إلى تدميره » (غلا ١: ٢٣). وهذا الرأي العام المعاصر للمعجزة شاهد تاريخي على صحتها.

فشهادة الواقع التاريخي، وشهادة الرابي اليهودي لما جرى له، وشهادة الرأي العام المعاصر، كلها تشهد بصحة المعجزة في هداية بولس، مهما كان للعوامل الطبيعية من تأثير إعدادي لتلك المعجزة الخارقة.

•

ثالثاً: موضوع الرؤية المعجزة، في هداية بولس

نعرف من بولس نفسه موضوع رؤيته المعجزة: بالكشف الرباني الذي رافق الرؤية الحسية ليسوع في مجد قيامته ونور الله الذي يشع منه، « **ارتضى الله أن يكشف فيّ ابنه** » (غلا ١: ١٦). فقد فهم بكشف الله أن يسوع الذي يراه ويكلمه هو ابن الله.

ويرجع بولس في رسائله كلها إلى هذا الكشف الإلهي في هدايته: « فإن الإله الذي قال: (لِيُشرقَ من الديجور نور) هو الذي أشرق في قلوبنا لكي تسطع فيها **معرفة مجد الله على وجه المسيح** » (٢ كو ٤: ٦). هذا هو التحليل الصحيح لموضوع رؤية بولس وهدايته. وما أجمل التشبيه والمقارنة بين خلق النور في ظلمة الكون، وخلق الإيمان في ظلمة الكفر. لقد شاهد بولس مجد الله على وجه المسيح يسوع. والكشف الرباني، في الرؤية، هو الذي أشرق النور في نفس بولس.

لذلك يفخر بولس بأن « ما لم تره عين ولا سمعت به أذن ولا خطر على قلب بشر، ما أعده الله لأحبائه، قد أعلنه لنا الله بروحه » (١ كو ٢: ٩ ـ ١٠). فيعتبر نفسه منذئذٍ « الوكيل على أسرار الله » (١ كو ٤: ١).

فكانت رؤية المسيح في نور قيامته كشفاً ربانيّاً لبنوّته الذاتية من الله! وهذا الكشف هو « السر المصون في حكمة الله... وقد أعلنه لنا الله بروحه » (١ كو ٢: ٧ و١٠).

وبعد رؤيته وهدايته بثلاثة أيام في الصوم والصلاة، اقتبل بولس من حنانيا سر العماد والروح القدس. ولا شك أن **حنانيا سلمه قبل العماد** « **صيغة التعليم** » (رو ٦: ١٧) التي كان الرسل يسلمونها لكل

معمود؛ وذلك بحسب أمر المسيح لبولس: « فقال له: قم وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل » (أع ٩: ٦).

وفي الواقع نادى بولس بيسوع أنه المسيح ابن الله، في جامع اليهود بدمشق (أع ٩: ٢٠ ــ ٢٢) فأثار ثائرة بني قومه عليه فحاولوا اغتياله مرتين.

فموضوع الرؤية المعجزة في هداية بولس أن يسوع هو المسيح ابن الله. وقد عملت الرؤية المعجزة في نفس بولس، بلمحة بصر وبصيرة، ما لم يفعله تعليم المسيح مدة ثلاث سنوات في رسله وصحابته؛ ولم يفهموا سر المسيح والمسيحية حتى رأوا المسيح في نور قيامته وارتفاعه إلى السماء، وحتى حلَّ الروح القدس عليهم.

فخرج بولس من تجربته الصوفية « **خليقة جديدة** » كما يشهد هو نفسه لكل معمود (٢ كو ٥: ١٧). وهذا الانقلاب في عقيدته وحياته شاهد حي على صحة رؤيته، وعلى صحة موضوعها: « أن يكشف ابنه فيّ »؛ « فرأى مجد الله على وجه المسيح ».

●

رابعاً: من الشهادة إلى الرسالة في الدعوة للمسيح

إن هداية بولس وعماده خلقا منه شاهداً للمسيح، كما أخذ للحال يشهد في جامع دمشق بما شاهد (أع ٩: ٢٠ ــ ٢٢).

ولكن هذه الشهادة للمسيح هل تتضمن معنى الرسالة حصراً؟

يظهر من تصريحه أن الهداية والشهادة والرسالة كانت نتيجة رؤيته للمسيح: « أيها الأخوة، أعلمكم أن الإنجيل الذي بشرتُ به ليس بحسب إنسان، لأني لم أقبله من إنسان ولا عُلّمته، بل بكشف يسوع المسيح... ولمّا ارتضى الله ــ الذي فرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته ــ أن يكشف ابنه فيّ لأبشّر به بين الأمميّين »... (غلا ١: ١١ ــ ١٦). مظاهر التعبير تربط الشهادة والرسالة بالهداية؛ لكن بما أن بولس يرجعها جميعاً إلى « فرزه

من جوف أمه » فهذا دليل على أنها نظرة جامعة تتخطّى الفوارق الزمنية؛ فلا يقطع هذا التصريح بربط الرسالة بالهداية.

وهذا ما يؤكده تمييز بولس نفسه ثلاثة عهود بعد هدايته: « **قد أقمتُ إنجيليّاً ورسولاً ومعلّماً** » (٢ تيم ١: ١١)؛ فهو يعتبر نفسه « إنجيليّاً » قبل التكليف الرسمي بالرسالة.

ويميّز أيضاً بين **عهد النعمة وعهد الرسالة**، في أمّ رسائله كلها: « من بولس عبد يسوع المسيح، المدعو ليكون رسولاً، المفروز لإنجيل الله في ابنه... الذي به نلنا النعمة والرسالة » (رو ١: ١ ـ ٥). فهو يميز بين عهد النعمة في هدايته، وعهد الرسالة حين « فرزه لإنجيل الله في ابنه ». وفي الرسالة عينها يربط بين مباشرة الرسالة وكهنوته: لقد نلتُ النعمة « لأكون خادماً ليسوع المسيح في سبيل الأمميين. **مباشراً لإنجيل الله ككاهن** ليكون قربان الأمم مقبولاً مقدّساً بالروح القدس » (رو ١٥: ١٦). فالكهنوت شرط للرسالة الرسمية للمسيح.

وهذا ما يفصّله لوقا فيميّز أيضاً بين عهد الشهادة بعد الهداية والعماد (أع ٩: ١٧ ـ ٢٠)، وعهد الرسالة بعد الرسامة الأسقفيّة (أع ١٣: ١ ـ ٣)؛ ويفصل بين العهدين بعزلة ثلاث سنوات في « العربية » وعزلة خمس سنوات في طرسوس، ثم بالتدريب على الدعوة لدى الأمميين في أنطاكية مدة أربع سنوات. يقول لوقا في مطلع دعوته بأنطاكية مع برنابا: « فقُبلا في الكنيسة سنة كاملة، وعلّما جمعاً غفيراً » (أع ١١: ٢٦) ـ والرسول لا « يُقبَل » في الكنيسة، بل « يَقبَل » فيها. ويختمها بحشد بولس بين « الأنبياء والمعلمين » قبل فرزه للرسالة برسامة أسقفية (أع ١٣: ١ ـ ٤).

ويميز أيضاً لوقا بين عهد الشهادة وعهد الرسالة، على لسان بولس نفسه. فعندما قدم إلى أورشليم لأول مرة بعد هدايته، وأخذ يدعو فيها بني قومه، ثاروا عليه؛ « وإذ رجعت إلى أورشليم، وكنت أصلّي في الهيكل، حدث لي

انجذاب[١] ورأيت الرب. قال لي: أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك لي. قلت: يا رب، إنهم يعلمون إني كنت أحبس وأضرب بالعصي في الجوامع الذين يؤمنون بك؛ وحين هُدر دم اسطفان شهيدك كنت حاضراً أنا أيضاً أؤيّد قاتليه وأحفظ ثيابهم. فقال لي: **امضِ فإني سأرسلك إلى بعيد، إلى الأمميين** » (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١). فعهد الرسالة لم يأتِ قبل الفرز لها بدعوة خاصة ورسامة أسقفية خاصة (أع ١٣: ١ ــ ٤).

ففي دعوة بولس للمسيح عهدان: **عهد الشهادة** « **كإنجيلي** » منذ هدايته عام ٣٤؛ وعهد الرسالة « كرسول »، بعد اثني عشر عاماً من هدايته أي سنة ٤٦. حينئذ بدعوة خاصة، ورسامة أسقفية (أع ١٣: ١ ــ ٤) أصبح رسولاً، وباشر الرسالة الرسمية برحلاته الرسولية، للدعوة للمسيح، وتأسيس الكنائس. وإلى عهد الرسالة زاد عهد « المعلّم » برسائله الخالدة.

۞ ۞ ۞

بحث ثالث

بولس « إنجيلي » (٣٤ ــ ٤٥)

توطئة: صورتان متكاملتان لسيرة بولس في هذه الفترة

لقد رضي السيد المسيح أن يقضي بولس، بعد هدايته عام ٣٤، فترة **اثنتي عشرة** سنة (٣٤ ــ ٤٥) ما بين العزلة والشهادة « كإنجيلي » من « الأنبياء والمعلمين » استعداداً للرسالة الكبرى لدى الأمميين.

---

(١) لاحظ فرق التعبير في هذه الرؤيا الروحية التي يسميها « انجذاباً »، وبين الرؤية الحسية على أبواب دمشق التي يسميها « رؤية » جعلت منه شاهداً بقيامة المسيح.

لهذه الفترة لدينا صورتان متكاملتان لسيرة بولس:

١ ــ الصورة الأولى من لوقا:

إن بولس « مكث أياماً مع التلاميذ الذين بدمشق؛ وأخذ للحال يدعو في الجوامع بيسوع أنه ابن الله » (أع ٩: ١٩)؛ وبعد أيام غير قليلة ائتمر اليهود لكي يقتلوه » (أع ٩: ٢٣) فأخذه التلاميذ ليلاً وهرّبوه في زنبيل من شباك في السور. « فأتى أورشليم (واتصل بالرسل بواسطة برنابا). وأخذ يذهب ويجيء معهم، ويبشر باسم الرب بجرأة. وكان يحاور الهلّينيّين ويباحثهم. فأخذوا يلتمسون قتله. فلمّا علم الأخوة بذلك أحدروه إلى قيصرية، ثم أرسلوه إلى طرسوس » (أع ٩: ١٨ ــ ٣٠).

إن لوقا لا يذكر **عزلة بولس في** « **ديار العرب** » ما بين الدعوتين العابرتين بدمشق، لكنه يشير من طرف خفي إلى ذلك، بذكر الدعوتين في دمشق « أياماً » (أع ٩: ١٩) و« أياماً غير قليلة » (أع ٩: ٢٣)، كأن لوقا لا يريد أن يبتعد ببولس عن العالم الهلنستي، ثم يتركه في خلوته بطرسوس حتى يحضر برنابا ويأخذه لمساعدته بالتعليم المسيحي والشهادة للأمميين في أنطاكية (أع ١١: ٢٥، ٢٦)، مدة أربع سنوات.

فإقامة بولس مرتين بدمشق، ومرة أولى بأورشليم، كانت عابرة، وشهادته في العاصمتين لليهود مرفوضة. هذا ما يؤكده له المسيح برؤيا في الهيكل (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١).

٢ ــ الصورة الثانية من بولس نفسه:

يقول: « لما ارتضى الله... أن يكشف فيّ ابنه لأبشر به بين الأمميين، للوقت لم أصغ إلى اللحم والدم، ولا صعدت إلى الذين هم رسل قبلي. بل سرت إلى بلاد العرب، ثم رجعت إلى دمشق. وبعد ثلاث سنوات صعدتُ إلى أورشليم لأزور كيفا، وأقمتُ عنده خمسة عشر يوماً، ولم أرَ غيره من الرسل، إلاّ يعقوب أخ الرب... ثم جئت إلى أقاليم سورية وكليكية »

(غلا ١: ١٥ ـ ٢٢) ثم يقفز بولس إلى ذكر زيارته لأورشليم بمناسبة مؤتمر الرسل فيها، للبت في تحرير المسيحية من الموسوية (غلا ٢: ١ ـ ١٠).

إن بولس، في روايته الشخصية، يفصّل ويحدّد الأزمان. ويذكر عزلته في « بلاد العرب »، لإظهار استقلاله في دعوة الإنجيل، بناء على اصطفاء الرب له وكشف الإنجيل له مباشرة. لكنه يقفز على ذكر دعوته الأولى والثانية بدمشق، وعلى دعوته في أورشليم لدى « الهلّينيين »، وعلى دعوته مع برنابا في أنطاكية لدى الأمميّين، ونقل تبرعات أنطاكية إلى فقراء النصارى بأورشليم، ليصل مباشرة إلى زيارته الخطيرة لأورشليم، حيث قرّر الرسل في مؤتمرهم تحرير المسيحية من الموسوية بحسب دعوة بولس، والاعتراف برسولية بولس ورسالته (غلا ٢: ١ ـ ٢).

فبولس يروي سيرته من زاوية شخصية، لهدف معيّن، وهو تبيان اصطفائه للرسالة من قبل المسيح مباشرة، وعلى قدم المساواة مع الاثني عشر، خصوصاً أعمدتهم بطرس ويوحنا، مع يعقوب زعيم آل البيت؛ وذلك بناءً على رؤية مسيح القيامة مثلهم، وتلقي الإنجيل منه والرسالة مباشرة: وعلى اعتراف مؤتمر الرسل وأعمدتهم برسوليته ورسالته. أما لوقا فإنه يكتب تاريخاً يفصل فيه ما يراه مناسباً لبيان سير الدعوة المسيحية وفضل بولس عليها.

فاختلاف أهداف الروايتين التاريخية والذاتية يفسّر ما فيهما من نشر أو قصر. لكنهما في الموضوع **متكاملتان، لا تتعارضان**، مع اجمال عند لوقا، وتفصيل عند بولس.

وهذا التكامل في الروايتين يظهر بأن « السنوات الثلاث » تشمل الفترة من هدايته إلى زيارته الأولى لأورشليم لزيارة كيفا ـ بطرس، وتحديد لوقا لدعوة بولس في دمشق أولاً وثانياً (أع ٩: ١٩ ثم ٩: ٢٣) يرينا أن « السنوات الثلاث » قضاها بولس في « بلاد العرب »، لا في دمشق، إلاّ « أيّاماً » ثم « أياماً غير قليلة ».

فالصورتان لسيرة بولس، في هذه الفترة، متكاملتان. ومن تكاملهما

نوجز سيرته مدة اثنتي عشرة سنة « كإنجيلي ». قبل الاصطفاء الرسمي للرسالة لدى الأمميين.

•

أولاً: دعوة بولس الأولى بدمشق « أياماً » عام ٣٤

نعرف من لوقا أن بولس بعد رؤيته المعجزة دخل دمشق واعتمد، « ومكث أياماً مع التلاميذ الذين بدمشق » (أع ٩: ١٩). وكانت دعوته مع اليهود « الهلينيين » أن يسوع « هو ابن الله »، ودعوته « لدى اليهود القاطنين بدمشق أن يسوع « هو المسيح » (أع ٩: ٢٠ و٢٢). وهو يفحم بني قومه بالبراهين الكتابية من التوراة والنبيين والزبور، ذلك الأسلوب البدهي في بيئة إسرائيلية.

ثم « انطلقت إلى البلاد العربيّة » (غلا ١: ١٧). ولا يذكر بولس، ولا لوقا سبب هذه العزلة. فهل شعر بتململ واشمئزاز بني قومه من هدايته ودعوته؟ لا شك في ذلك. إنما شعر بحاجة إلى الخلوة والتأمل ليتملّى الحقيقة التي تجلت له.

فتكون **دمشق أول مدينة سمعت بالدعوة ليسوع بأنه** « **ابن الله** ». وبولس، بعد المسيح، كان **أول من نادى بيسوع المسيح أنه** « **ابن الله** ». وظل حتى النهاية يعتز بأنه « بشّر الذين بدمشق أولاً » (أع ٢٦: ٢٠). فكانت دعوة بولس الأولى بدمشق.

•

ثانياً: بولس في « العربية » نحو ثلاث سنوات (٣٤ ـ ٣٧)

نعرف من بولس نفسه أنه بعد دعوته الأولى بدمشق « انطلق إلى **العربية** » (غلا ١: ١٧)، في دولة الأنباط التي كانت تمتد من الأردن إلى الفرات، وصارت فيما بعد « العربية الرومانية ».

فأقام فيها نحو « ثلاث سنوات » (غلا ١: ١٨): **فهل كان ناسكاً أم مرسلاً؟**

لا شيء في المصادر يسمح بالاختيار. ونرى أنه كان ناسكاً ومرسلاً معاً. لقد اعتزل ليتأمل في ما جرى له، ويشكر الله على نعمته ودعوته. وعلى هدى رؤيته والكشف الرباني بأن يسوع الناصري الذي شاهده هو المسيح، ابن الله، أخذ يقرأ الكتاب القدسي، بنور جديد، ويكتشف فيه، كما قال بطرس، « إن الله قد تمّم هكذا ما سبق فأنبأ به، على لسان جميع الأنبياء، من أن مسيحه سيتألم... هو الذي ينبغي أن تقبله السماء إلى عهد تجديد كل شيء، والذي تكلم عنه الله، منذ القديم، على ألسنة أنبيائه القديسيين » (أع ٣: ١٨ ــ ٢١). وفي نسكه وعزلته تجلت له الحقيقة المسيحية كلها « في رؤى الله وإيحاءاته » (٢ كو ١٢: ١).

والنسك شهادة بالسيرة الحسنة لمن حوله. ولا شك أن بولس بشر من حين إلى حين بالمسيح عرب الشمال: فمن باغت يهود دمشق بدعوته، أيسكت بين العرب! واللغة الأنباطية شقيقة الأرامية، فلا شك أنه خاطب العرب الأنباط، والعرب العدنانيين الوافدين، بلغتهم.

فكان بولس **أول ناسك في المسيحية.**

وكان **أول داعية للمسيح بين العرب.**

●

ثالثاً: دعوة بولس الثانية بدمشق، عام ٣٧

بعد خلوة « ثلاث سنوات » تقريباً في « بلاد العرب »، رجع بولس إلى دمشق ثانيةً. جرّأه على ذلك تبدّل الأحوال السياسية في المنطقة. كان الحارث الرابع الأنباطي خصماً لرومة يغير بعربه على ولاية سوريا. لكن ارتقاء القيصر كليجولا عرش رومة (٣٧ ــ ٤١) بدّل الأوضاع، فقد عوّل في أوائل حكمه أن يعيد إلى شعوب الشرق استقلالهم وملوكهم تحت التاج الروماني. فسلّم مدينة دمشق إلى الحارث أمير الأنباط في البتراء. وكان ذلك عام ٣٧.

استبشر بولس خيراً ورجع إلى دمشق يدعو فيها ليسوع أنه المسيح، ابن

الله. يقول بولس: « ثم رجعت أيضاً إلى دمشق. ثم بعد ثلاث سنوات صعدت إلى أورشليم » (غلا ١: ١٧ ــ ١٨). وظاهر التعبير حمل بعضهم على القول بأن بولس دعا في دمشق نحو ثلاث سنوات. لكن بولس يحدد الأزمنة لسيرته المسيحية منذ هدايته. ونعرف من لوقا أنه « لما تمت أيام غير قليلة » ائتمر اليهود به ليقتلوه، بمعرفة ومساعدة والي الحارث على دمشق فكانت دعوة بولس الثانية بدمشق، مثل الأولى، عابرة. ونفهم جيداً ألاّ يطيق اليهود الدعوة ليسوع الناصرى المصلوب أنه المسيح، وخصوصاً أنه ابن الله: فطبيعة الدعوة تجعلها عابرة مثيرة، كما سنتحقق ذلك من سيرة بولس كلها. فضاقت السبل بوجه بولس.

يقترن هربه من دمشق بذكر والي الحارث الرابع الأنباطي الذي اشترك مع اليهود بالمؤامرة لاغتيال بولس. ولا يمكن أن يتخطى ذلك سنة ٣٧، بدء ولاية الحارث الأنباطي على دمشق. فتكون هداية بولس قبل « ثلاث سنوات » عام ٣٤.

وبسبب الموالاة الجديدة بين ملك الأنباط واليهود والرومان، لم يكن لبولس من مجال سوى الهرب إلى أورشليم. ويتفق لوقا وبولس في كيفية هربه المضحك المبكي من دمشق. يقول لوقا: « فأتمر اليهود لكي يقتلوه. فعلم شاول بمكيدتهم. وكانوا يرصدون الأبواب نهاراً وليلاً لاغتياله. فأخذه التلاميذ ليلاً ودلّوه من السور في زنبيل فأتى أورشليم » (أع ٩: ٢٣ ــ ٢٦). وبولس لا يضيف سوى ذكر والي الحارث بدمشق: « يعلم الله أبو ربنا يسوع المسيح المبارك مدى الدهور أني لا أكذب: إن والي الملك الحارث بدمشق كان يحرس مدينة الدمشقيين للقبض عليّ؛ فدُلّيتُ في زنبيل، من نافذة في السور، وأفلتّ من يديه » (٢ كو ١١: ٣١ ــ ٣٣).

لقد اختار بولس، في هربه الثاني من دمشق، أهون الشرين، فأتى أورشليم. وحمله على ذلك أيضاً رغبتُه في زيارة زعيم الرسل وزعيم آل البيت (غلا ١: ١٨).

●

رابعاً: بولس يزور بطرس في أورشليم، عام ٣٧

دخل بولس أورشليم متخفيّاً، واتصل بالنصارى بجوار برنابا، الذي قد تربطه به زمالة العلم في أروقة الهيكل، « لدى أقدام جمالئيل ».

١ ــ لدينا روايتان لتلك الإقامة الأولى، بعد هدايته، في المدينة المقدسة.

يقول لوقا في تاريخه: « فأتى أورشليم. وحاول أن يتصل بالتلاميذ. فكانوا كلهم يخافون منه غير مصدقين أنه تلميذ. فأخذه برنابا وجاء به الرسل وقصّ عليهم كيف رأى الرب في الطريق، وقد كلمه؛ وكيف بشر في دمشق باسم الرب بجرأة. فأخذ يذهب ويجيء معهم في أورشليم، ويبشر باسم الرب بجرأة. وكان أيضاً يحاور الهلّينيين ويباحثهم. فأخذوا يلتمسون قتله. فلمّا علم الأخوة بذلك، أحدروه إلى قيصرية، ثم أرسلوه إلى طرسوس » (أع ٩: ٢٦ ــ ٣٠).

لقد جدّد بولس دور اسطفان، وتعرّض لمثل استشهاده.

ويقول بولس في مذكراته الشخصية: « وبعد ثلاث سنوات صعدتُ إلى أورشليم لأزور كيفا، وأقمت عنده خمسة عشر يوماً؛ ولم أرَ غيره من الرسل، إلاّ يعقوب أخا الرب. ما أكتب به إليكم إنما هو بحضرة الرب، فلا أكذب » (غلا ١: ١٨ ــ ٢٠).

٢ ــ إن الروايتين من المختلف المؤتلف الذي يشهد باستقلالهما وصحتهما.

ففي الروايتين **خلاف ظاهر** يزول بمعرفة اختلاف وجهات النظر. فبولس يكتب شهادة شخصية عن نيته في الزيارة، ويحدّد مدّتها « بخمسة عشر يوماً » ليشعر بأنه لم يتعلم الإنجيل الذي يدعو به من أحد، « بل بكشف يسوع المسيح » (غلا ١: ١١ ــ ١٢)، فلا داعي لذكر التفاصيل في رواية لوقا التاريخية، من وساطة برنابا، إلى دعوة بولس بين الهلينيين المقيمين بأورشليم واليهودية.

وظاهر الخلاف أن لوقا ينسب إلى « الرسل » جملة، ما يخصه بولس ببطرس زعيم الرسل، ويعقوب زعيم آل البيت وأسقف أورشليم. فليس في

التخصيص عند بولس من تعارض مع التعميم عند لوقا، لأن الزعيمين يمثلان الرسل وآل البيت.

ثم إن بولس لا يذكر دعوته في أورشليم التي كانت سبباً للمؤامرة لاغتياله. ولوقا يذكر هذا السبب، وهو « دعوته باسم الرب بجرأة بين اليهود الهلّينيين الذين في أورشليم واليهودية »، ممّا أثارهم عليه. فما بين الروايتين تكامل، لا تعارض. وبولس نفسه في ظرف آخر يؤكّد هذه الدعوة بأورشليم واليهودية: « أيها الملك اغريبا، من ثمّ لم أعاند الرؤيا السماوية، بل بشرت الذين في دمشق أولاً، ثم الذين في أورشليم وجميع منطقة اليهودية، ثم الأمميين » (أع ٢٦: ١٩ ــ ٢٠). وهذا دليل على أن الافصاح، أو السكوت، عن حادث، في رواية، دليلاً على الاختلاف. والتعميم في موطن التخصيص أسلوب بياني مشهور.

٣ ــ فكانت إقامة بولس في أورشليم قصيرة، ودعوته فيها عابرة.

ينص بولس أنها كانت مدة « خمسة عشر يوماً » (غلا ١: ١٨)؛ ولوقا بأنها « أيام غير قليلة » (أع ٩: ٢٣). فأين أقام بولس؟ يقول: « وأقمت عنده (كيفا) خمسة عشر يوماً » (غلا ١: ١٨). فقد استضاف بطرس. ولا شك أنه تردد على دار يعقوب (غلا ١: ١٨)؛ وعلى بيت أخته المتزوجة في أورشليم، والتي نعرف ابنها بمناسبة توقيف خاله (أع ٢٣: ١٦ ــ ٢٢).

وأثناء تلك الإقامة القصيرة، قام بالشهادة والدعوة بين اليهود، خصوصاً « الهلينيين » منهم. فقام قائمهم عليه، وعوّلوا على اغتياله. لكن بولس سكت عن هذه الدعوة في رسالته ليصير إلى غايته من سفره، زيارة كيفا القصيرة التي لا تكفي لتعلّم الإنجيل، الذي تسلمه « بكشف يسوع المسيح » (غلا ١: ١١). وممّا لا ريب فيه أن خلواتهما كانت تدور على الحديث في دعوة المسيح، وخصوصاً في قيامته وارتفاعه إلى السماء، كما أوجز ذلك مرقس، ترجمان بطرس، فيما بعد، عند تدوين الإنجيل. لكن رواية

الواقع التي لا تعني « حكمة الإنجيل » كما يفصلها بولس، « بكشف يسوع المسيح ».

كذلك لا يذكر بولس سبب مغادرته المفاجئة لأورشليم. فهذا لا يعينه في دفاعه الشخصي عن رسولية رسالته ودعوته. لكن في مناسبة أخرى يذكر أن الرب يسوع ظهر له برؤيا في الهيكل، وأمره بالابتعاد عن أورشليم لأن اليهود لا يقبلون شهادته، ولأنه سوف يرسله « إلى بعيد، إلى الأمميين » (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢٠). بينما يروي لوقا كمؤرخ أن دعوته للرب يسوع « بجرأة » كانت سبب ثورة اليهود الهلّينيين عليه؛ فرأى التلاميذ أن يغادر بولس المدينة المقدسة، فسقّروه إلى قيصرية، ومنها ذهب إلى طرسوس مسقط رأسه (أع ٩: ٣٠)، وأيدت الرؤيا رأي التلاميذ.

لقد حاول بولس الدعوة مرتين بدمشق، ثم مرة في أورشليم، بين اليهود، خصوصاً « الهلينيين » منهم. فردّوه رداً غير جميل. حينئذٍ اتعظ وترك الدعوة بينهم، بأمر الرب في رؤيا الهيكل (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢٠)، وأخلد إلى العزلة من جديد في طرسوس، ينتظر إشارة الرب، كما وعده بالرؤيا.

فكانت رؤية الرب على أبواب دمشق، وتنزيل الإنجيل على قلبه، فاتحة عزلته الأولى في « بلاد العرب »؛ وجاءت رؤيا الرب في هيكل أورشليم وتحديد ميدان رسالته فاتحة عزلته الثانية في طرسوس.

ذاك ما حدث لبولس في زيارته لبطرس في أورشليم. وجعل هدف العمْرة إلى المدينة المقدسة، « زيارة كيفا » (غلا ١: ١٨)، شهادة ناطقة على اعتراف بولس بزعامة بطرس من قِبَل المسيح على المسيحية. وكانت نتيجتها اعتراف بطرس بصحة هداية بولس، وصحة دعوة المسيح المعجزة له.

•

خامساً: عزلة خمس سنوات في طرسوس

إن لوقا لا يذكر شيئاً عن هذه العزلة؛ إنما يشير إلى بدئها (أع ٩: ٣٠) وإلى انتهائها (أع ١١: ٢٥ ــ ٢٦).

وبولس يصف رحلته إلى طرسوس بقوله: « ثم جئت إلى أقاليم سوريا وكيليكية. وكنت مجهولاً بالوجه لدى الكنائس اليهودية التي في المسيح؛ بيد أنهم كانوا يسمعون: إن مَن كان يضطهدنا قبلاً يبشّر الآن بالإيمان الذي سعى بنفسه من قبل لتدميره. وكانوا يمجدون الله فيّ » (غلا ١: ٢١ ــ ٢٤) فالتبشير بالإيمان كان « لدى الكنائس اليهودية التي في المسيح »، لا في أقاليم سوريا وكيليكية حيث طرسوس. فلا تشير النصوص إلى دعوة لبولس في طرسوس ومنطقتها. فقد كانت إقامته في بلدته عزلة للدرس والتأمل.

وفي قول الرب له في رؤيا الهيكل بأورشليم: « أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم، فإنهم لا يقبلون شهادتك لي... امض فإني سأرسلك إلى بعيد، إلى الأمميين » (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١) دليل على أن الرب منعه من الدعوة الآن، ووعده بإرساله إلى الأمميين. فأخلد إلى الخلوة والتأمل، ينتظر ساعة الرب. لكن كما في عزلته الأولى « بالعربية »، كانت دعوته بمثله وإيمانه، وأحياناً بحديثه مع الأفراد الذين يقصدونه.

والمرارة الكبرى التي لاقاها في طرسوس كانت في لقائه مع والده الفريسي العتيق. فكانت هداية بولس إلى المسيحية صدمة قوية لأبيه. ولا شك أنه في تعصبه لمذهبه قد حرم ابنه بولس من ماله ومن وراثته، فإننا نرى بولس في أسفاره يعيش من صناعته في حياكة الشعر للخيام، وتبرعات المؤمنين. وفي سكوت المصادر عن والده وعائلته، دليل على تبرّئها منه. فوجد بولس عزاءَه في إيمانه وفي حبه للمسيح.

فقضى بولس خمس سنوات في العزلة والتأمل، يعمل بيديه ليعيش. وفي خلواته يتلو الكتاب على ضوء الإنجيل؛ فيرى « أن غاية الشريعة المسيح ». وفي اتصالاته، بمدينته الجامعية، كان يقارن المسيحية بالتيارات الفكرية التي تعج فيها. فلما أتت ساعة الرب وخرج من عزلته الطويلة كانت « حكمة

الإنجيل » قد تأصلت وتفصّلت في عقله وقلبه الكبيرين، مع « رؤى الرب وإيحاءاته ».

●

سادساً: بولس في أنطاكية العظمى مدة أربع سنوات

كانت مدن عديدة تحمل اسم أنطاكية؛ لكن عاصمة سوريا كانت « أنطاكية العظمى ». وكانت، بعد رومة والاسكندرية، المدينة الثالثة الكبرى في الإمبراطورية الرومانية.

دخلتها المسيحية مع اللاجئين إليها بعد استشهاد اسطفان عام ٣٤. وسرعان ما انتقلت فيها الدعوة من أهل الكتاب إلى الأمميين (أع ١١: ١٩ ـ ٢١). فأوفدت الكنيسة الأم في أورشليم برنابا يتزعم الدعوة فيها (أع ١١: ٢٢ ـ ٢٤).

وشعر برنابا بالحاجة إلى معلّم للمسيحية يكون على مستوى العاصمة. فذكر صديقه بولس وطول باعه في حوار اليهود والأمميين؛ « فانطلق برنابا إلى طرسوس في طلب شاول، ولمّا وجده جاءَ به إلى أنطاكية » (أع ١١: ٢٥).

١ ـ « فقبلا في الكنيسة سنة كاملة، وعلّما جمعاً غفيراً » (أع ١١: ٢٦). فنجحت الدعوة في أنطاكية وانتشرت بين الأمميين فيها حتى « **دُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية أولاً** » (أع ١١: ٢٦). فالاسم المسيحي ظهر في أنطاكية؛ **وظهوره مقرون بدعوة بولس فيها.**

ولا يُجحد دور برنابا. فقد دخل بولس الكنيسة في أورشليم بجوار برنابا؛ ويدعو في أنطاكية تحت رعاية برنابا؛ ويقوم برحلته الأولى تحت قيادة برنابا؛ إلى أن اعترف به الرسل رسميّاً في مجمع أورشليم عام ٤٩ رسولاً، فاستقلّ بالرسالة.

فمتى كانت « السنة الكاملة » من الدعوة في أنطاكية؟ من المعروف أن الملك هيرود اغريبا، مضطهد كنيسة أورشليم، قد مات عام ٤٤.

ولوقا يقص قبل هلاكه خبرين: خبر المجاعة التي وقعت « في أيام كلوديوس » (أع ١١: ٢٧ ــ ٣٠) الذي حكم سنة ٤١ ــ ٥٤؛ وخبر اضطهاد الملك اغريبا لكنيسة أورشليم (أع ١٢). فيكون الاضطهاد والمجاعة قد اجتمعا سنة ٤٣؛ وسنة الدعوة في أنطاكية عام ٤٢، وفي هذه السنة ظهر الاسم المسيحي.

٢ ــ ففي العام ٤٣ كانت المجاعة والاضطهاد في أورشليم، وبهذه المناسبة المزدوجة، كان **التبرّع العالمي الأول في المسيحية**، « فعزم التلاميذ (في أنطاكية) أن يرسلوا بحسب ما تيسّر لكل واحد منهم مدداً للإخوة الساكنين في اليهودية. ففعلوا ذلك، وبعثوا إلى الكهنة على أيدي برنابا وشاول » (أع ١١: ٢٩ ــ ٣٠)، فكانت هذه مبرّة بولس الأولى، **والإحسان الأوّل** في المسيحية العالمية على يد بولس. فكافأه الرب على عمله بما لم يحلم به بشر.

٣ ــ بمناسبة زيارة التبرعات الأنطاكية لأورشليم، هل قام بولس **بدعوة في اليهودية؟** في دفاعه أمام أغريبا يقول بولس: « فمن ثمّ، أيها الملك أغريبا، لم أعاند الرؤيا السماوية، بل دعوت الذين بدمشق أولاً، ثم الذين في أورشليم وجميع بقعة اليهودية، ثم الأمميين » (أع ٢٦: ١٩ ــ ٢٠). فبولس يضع دعوة له « في أورشليم وجميع بقعة اليهودية » قبل رسالته بين الأمميين. فمتى كان ذلك؟ لا نعرف لبولس في هذا الوقت سوى رحلتين إلى أورشليم؛ في الأولى، ثلاث سنوات بعد هدايته، زار كيفا « وأقام عنده خمسة عشر يوماً » (غلا ١: ١٨) فلم يتجوّل في اليهودية. بقي أن دعوة بولس في اليهودية كانت بمناسبة زيارة التبرعات الأنطاكية سنة ٤٣. في تلك المناسبة تجوّل في اليهودية كمحسن لبني قومه، فسكت عنه القوم؛ وبشّر بالرب يسوع، لكن بتحفّظ، لئلا يثير القوم كما أثارهم عليه أول مرة، وعملاً بأمر الرب في رؤيا الهيكل التي منعته من الدعوة بين أهل اليهودية « فإنهم لا يقبلون شهادتك لي » (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١).

٤ ــ فبينما كان بولس في أورشليم عام ٤٣ **جرى إسراؤه في السماء**، في الهيكل، قرب الصخرة المقدسة للضحايا.

ففي رسالته الثانية إلى الكورنثيين، وهي من العام ٥٧، يشهد بولس:

« أعرف رجلاً في المسيح، قبل أربع عشرة سنة... اختُطف إلى السماء الثالثة... اختُطف إلى الفردوس حيث سمع كلمات معجزة لا يسوّغ لأحد أن يبوح بها » (١٢: ١ ــ ٥) فيكون إسراء بولس إلى الفردوس في السماء الثالثة[1] قد جرى عام ٤٣، في هيكل أورشليم، الصخرة المقدسة، بعد « أربع عشرة سنة » من هدايته (أي ٥٧ – ١٤ = ٤٣).

بهذا الإسراء الفريد إلى المكاشفة الربانية، وضع الله ختمه على الشاهد وشهادته، ثم على الرسول ورسالته. ففي الكشف الأول، على طريق دمشق، نزل المسيح إلى بولس على الأرض؛ وفي هذا الكشف الثاني اختطف المسيح بولس إلى السماء، فرأى من آيات ربه الكبرى.

لقد اكتمل في بولس الرجل والمسيحي ومعلّم الكلام والصوفي، وصار أهلاً للرسالة الكبرى التي سيفتح بها العالم الهلنستي للمسيح، بسلطان الدعوة وإعجاز الكلمة ــ فسبحان الذي أسرى بعبده بولس من المسجد الأقصى إلى الفردوس، ليكاشف الحق، ويُظهر حكمة التنزيل في تفصيل الإنجيل.

لقد تواتر على بولس الوحي والكشف والإسراء حتى أدرك سر المسيح في سر الله وسر الكون وسر الإنسان؛ وصار قادراً على تبليغه برسالاته ورسائله.

٥ ــ « ورجع برنابا وشاول من أورشليم (إلى أنطاكية) بعد ما أتما الخدمة، وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس »، ابن أخت برنابا (أع ١٢: ٢٤). يذكر لوقا ذلك في ختام الفصل الذي يقص فيه خبر اضطهاد اغريبا للكنيسة، وحبس بطرس على عيد الفصح، ونجاته من السجن بمعجزة، وفراره «إلى موضع آخر »؛ ثم خبر موت الطاغية شر ميتة (ف١٢). والمعروف أن الملك هيرود أغريبا الأول هلك عام ٤٤. فلا يُعقل أن تدوم إقامة بولس في أورشليم سنتين، وهو موضوع سخط أهلها. فيكون ذكر رجوع بولس مع برنابا ومرقس إلى أنطاكية في ختام الفصل (١٢) ليس للتاريخ، بل للاستطراد البياني لاصطفائهما للرسالة بين الأمميين في الفصل (١٣)

---

(١) يعتبر المسيحيون على آثار اليهود أن هناك ثلاث سموات: سماء الأرض، وسماء النجوم، وسماء الله أي الفردوس. بينما النصارى من بني إسرائيل وعلى آثارهم المسلمون، يعتبرون السماوات سبعاً، نقلا عن أهل الغنوص.

فقد رجع بولس على أنطاكية عام ٤٣. وعام ٤٤. أثناء الفصح، نجا بطرس بمعجزة من السجن، « وذهب إلى موضع آخر » (أع ١٢: ١٧) أي بحسب السُنّة المتواترة إلى أنطاكية، حيث رأس الدعوة المسيحية فيها سبع سنوات، **فكانت أنطاكية كرسي بطرس الأول.**

ولوقا، إذ يذكر برنابا وشاول بين « الأنبياء والمعلمين » (أع ١٣: ١) في أنطاكية، يشير من طرف خفي إلى أن برنابا لم يعد رئيس الدعوة فيها؛ وهذا يوحي أيضاً بوجود بطرس فيها على رأس الكنيسة.

وهكذا قضى بولس « إنجيلياً »، « بين الأنبياء والمعلمين » نحو أربع سنوات في أنطاكية. فإن لوقا يذكر ذلك، بعد هلاك الطاغية اغريبا في آخر العام ٤٤. فتكون السنة الرابعة من دعوة بولس في أنطاكية. بدأ دعوته فيها برعاية برنابا، وختمها برئاسة بطرس.

٦ ــ وفي صيام العام ٤٦ **اصطفى الله بولس للرسالة الرسمية لدى الأمميين.** يقول لوقا: « وفيما كانوا يقيمون ليترجيا الرب ويصومون، قال الروح القدس: افرزوا لي شاول وبرنابا للعمل الذي دعوتهما إليه. فصاموا حينئذٍ وصلوا، ووضعوا أيديهم عليهما، وصرفوهما » (أع ١٣: ٢ ــ ٣). وظاهر التعبير أنه اصطفاء خاص للرسالة الرسمية، وكان التكريس لها بوضع الأيدي، أي برسامة أسقفية، بواسطة السلطة الكنسية. فهل كان بطرس هو الذي رسم بولس أسقفاً للرسالة الخاصة؟

وببعثة بولس وبرنابا للرسالة في العالم الهلنستي، تكون **أنطاكية العظمى زعيمة الدعوة المسيحية في العالم الهلنستي.** فانتقل مركز الثقل في الدعوة المسيحية من أورشليم إلى أنطاكية. وكان بولس، في ختام كل رحلة رسولية، يعود إلى أنطاكية، ويقدم فيها تقريراً عن رحلته. فكانت أورشليم عاصمة « النصرانية » الإسرائيلية؛ وصارت أنطاكية عاصمة المسيحية.

فها قد قضى بولس نحو اثنتي عشرة سنة، ما بين هدايته عام ٣٤، واصطفائه للرسالة عام ٤٦، في عزلة ثمان سنوات، ودعوة أربع، كان فيها « إنجيلياً » أي شاهداً للمسيح « كنبي ومعلم » للإنجيل. ولما اصطفاه الله

بدعوة خاصة ورسامة أسقفية ليكون « رسول الأمميين »، كان له من العمر نحو أربعين سنة. اليوم تم وعد المسيح له (أع ٢٢: ٢١)؛ فقد تمّت تهيئة بولس ليفتح العالم الهلنستي للمسيح.

۞ ۞ ۞

بحث رابع

بولس « رسول الأمميين » (رو ١١: ١٣)

توطئة: الاصطفاء للرسالة، برسامة أسقفية

هداية... فرسالة.

عماد مع الهداية، وكهنوت مع الرسالة.

وبعد الهداية شهادة، وبعد الرسالة دعوة.

ذلكما هما العهدان في سيرة بولس: عهد يشهد فيه « كإنجيلي » بين « الأنبياء والمعلمين »؛ وعهد يدعو فيه « كرسول الأمميين ».

دام العهد الأول نحو اثنتي عشرة سنة، من عام ٣٤ ـ ٤٦. وسيدوم العهد الثاني، عهد الرسالات والرسائل، نحو إحدى وعشرين سنة (٤٦ ـ ٦٧).

لوقا يميّز صراحة بين الهداية والشهادة (أع ٩: ١ ـ ٩) والرسالة والدعوة الرسمية (أع ١٣: ١ ـ ٤). وبولس يسميهما عهدي « النعمة والرسالة » (رو ١: ٥). والفارق الجوهري بينهما الاصطفاء الخاص للرسالة، والرسامة الكهنوتية الأسقفية. هذا ما تؤيّده شهادة لوقا وبولس.

فيشهد لوقا أن اصطفاء بولس للرسالة قد تمّ بدعوة خاصة من الروح القدس، « وهم يقيمون ليترجيا الرب »، مدة الصيام سنة ٤٦ (أع ١٣: ١ ـ ٤)؛ أمّا التكريس لها « بوضع الأيدي » فكان برسامة كنسية أسقفية.

فالكهنوت، في تأسيس المسيح بالعشاء السري، وفي نظر كنيسة الرسل، هو عنصر تكويني للرسالة الرسمية في المسيحية. وشرط الرسالة التأسيسية مع الاثني عشر هو رؤية المسيح في مجد قيامته، « ليكون شاهداً معنا بقيامته » (أع ١: ٢٢). ففي هداية بولس تمّ الشرط المحتوم، وفي اصطفائه بدعوة خاصة للرسالة وبرسامة أسقفية تم العنصر التكويني المختوم. فليس « وضع الأيدي » المذكور في دعوة بولس للرسالة (أع ١: ٣) كناية عن بركة، إنما هو حصراً رسامة كهنوتية أسقفية تتم في « ليترجيا الرب » كما تفعل الكنيسة المسيحية إلى اليوم.

وبولس يشهد الشهادة عينها. ففي رسالته التي كتبها إلى التسالونيكيين يقول: « نتكلم كمن اختبرهم الله قبل أن يأتمنهم على الإنجيل » (١ تس ٢: ٤)، فهو يميّز صريحاً بين عهد الهداية وبين عهد الرسالة بالإنجيل. وفي رسالته الكبرى إلى الرومانيين، وبواسطتهم إلى « المسكونة » كلها، حيث يعتبر نفسه « رسول الأمميين » (رو ٨: ١٣)، يصف رسالته **وصفاً كهنوتياً**: « **لأكون حبراً للمسيح يسوع، وأقوم بالخدمة المقدسة** لإنجيل الله، حتى يكون قربان الأمميين مرضيّاً، قدسه الروح القدس » (رو ١٥: ١٦). لقد اتخذت دعوة بولس صفة الرسالة الرسمية، مثل الاثني عشر، لمّا ختُمت بالكهنوت. ويؤيّد ذلك أن بولس، لما أناب عنه تيموتاوس في أفسس، وتيطس في كريت، رسمهما أسقفين، وفوّض إليهما رسامة كهنة لمواصلة الدعوة الإنجيلية والسهر على الحياة المسيحية.

فبشهادة بولس ولوقا، أصبح بولس « رسولاً مفرزاً لإنجيل الله » (رو ١: ١) بالمعنى الحصري، منذ اصطفائه للرسالة في رسامة أسقفية؛ لا منذ هدايته، كما يتوهم بعضهم. فلو كان رسولاً منذ هدايته، لمَا احتاج إلى دعوة خاصة ورسامة كهنوتية « بوضع الأيدي »، إذ لا شك أن الرسول

يبارك الأدنى، لا الأدنى يبارك الرسول؛ والنص يذكره آخر « المعلمين والأنبياء » ثم للحـال أول المفروزين للرسالة (أع ١٣: ١ و٢).

وعند مباشرة الرسالة يشير النص إلى أن « شاول هو المدعو أيضاً بولس » (أع ١٣: ٩). فاسمه الروماني « بولس » الذي أحب أن يُعرف به وحده في عهده الجديد ــ وقـد كـان يحمله مع اسم شاول منذ مولده ــ دليل أيضاً على تغيير وضعه.

فكما أن هداية بولس المعجزة تكرست بالعماد على يد حنانيا بدمشق؛ كذلك اصـطفاءَ بولس بوحي خاص في « ليترجيا الرب » تكرّس « بوضع الأيدي » أي بالكهنوت، ربما على يد بطرس ومجلس الأساقفة في أنطاكية.

فبعد هدايته عام ٣٤ كان عهد الشهادة للمسيح؛ وبعد اصطفائه للرسالة مثـل الاثنـي عشر، جاء عهد الدعوة الرسمية للمسيح والمسيحية: « وإن هذين (برنابا وبولس)، إذ أرسلهما الروح القدس » باشرا للحال الرسالة والدعوة.

●

أولاً: الرحلة الرسولية الأولى، ثلاثة أعوام في الأناضول

يظهر أن الرسالة تقوم باسم كنيسة أنطاكية العظمى؛ وبرنابا هو قائد الحملة الرسـولية الأولى، بينما بولس خطيبها. فقد تحوّل محور الرسالة المسيحية، من أورشليم إلى أنطاكية، لمّا جعل بطرس كرسيه فيها.

دامت الرحلة ثلاث سنوات كاملة، منذ ربيع العام ٤٦، إلى ربيع العام ٤٩.

كان الإسكندر الكبير قد فتح الشرق بالسيف، وأعطاه الثقافة اليونانية، فـتهلّن العـالم. وها الشرق، بواسطة بولس الكبير، يفتح الغرب بالإنجيل فيصير العالم مسيحياً. الغرب أعطـى الشرق الإسكندر والثقافة اليونانية؛ والشرق يعطي الغرب بولس والثقافة المسـيحية، بواسـطة الإنجيل والروح.

١ ـ المحطة الأولى: في جزيرة قبرص (أع ١٣: ٤ ـ ١٢):

أقلع الرسل، برنابا وبولس مع مرقس، من سلوقية (سويدية اليوم)، ثغر أنطاكية، إلى قبرص. ونزلوا إلى اليابسة في سلامينا، مسقط رأس برنابا. فبشروا فيها بالمسيح. ثم اجتازوا الجزيرة كلها، يطلون على مدنها الخمس عشرة، حتى وصلوا، على مسافة ١٥٠ كم إلى العاصمة بافس، مركز الوالي الروماني في أعلى الشاطئ الغربي.

لا ينقل لنا لوقا إلاّ هداية الوالي الروماني، سرجيوس بولس، رمزاً إلى نجاح الرسالة الباهر، ويشير إلى صراع بولس وساحر يهودي أمام الوالي ليكسبه كل منهما إلى إيمانه. فبمعجزة ضرب بولس الساحر بالعمى، فاهتدى الوالي.

فكان افتتاح الرحلة نصراً مبيناً.

٢ ـ المحطة الثانية: في أنطاكية بسيذية (أع ١٣: ١٣ ـ ٤٣).

ثم أقلع الرسل إلى الأناضول، وحطوا على شاطئ كيليكية، ومخروا نهر كيدنوس إلى طرسوس، مسقط رأس بولس، فمروا بها مرور الكرام. وعبروا مروج منطقة بمفيلية المجاورة، إلى مدينة بَرْجة. هنا ترك مرقس الرسولين ورجع إلى أورشليم (أع ١٣: ١٣). ـــ فهل كان ذلك تحسباً لأخطار السفر، أم تحسّباً من تعليم بولس؟

وفي خمسة أيام قطع الرسولان جبال طورس إلى هضاب بسيذية، وقصدا رأساً إلى عاصمتها أنطاكية. وفي السبت الأول كان **خطاب بولس الأول لليهود** والمتقين من الأمميين، في البيئة الهلنستية. وهو يشبه خطاب اسطفان في محفل أورشليم، وخطاب بطرس في بيت كرنيليوس: فالأسلوب واحد في دعوة اليهود والمتّقين، إلى التوحيد والمسيح الموعود.

في قسم أول (١٣: ١٦ـ ٢٣) يعطي موجزاً لتاريخ إسرائيل ينتهي بالمسيح.

وفي قسم ثان (١٣: ٢٤ ــ ٢٥) يأتي ذكر المعمدان فاصلاً بين عهدين، تهيئةً للمسيح.

وفي قسم ثالث (١٣: ٢٦ ــ ٣٩) الدعوة ليسوع المصلوب والحي بقيامته ورفعه إلى السماء: فهو المسيح بحسب شهادة الأنبياء؛ عنده الخلاص (٢٦) والبر بالإيمان (٣٩) ــ وهاتان الكلمتان ستكونان محور إنجيل بولس وكلامه.

في الخاتمة توجيه إنذار للمترددين في الإيمان (١٣: ٤٠ ــ ٤١).

فاشتعلت المدينة بالدعوة. وفي السبت الثاني كان إقبال الأمميين على دعوة بولس حماسيّاً. حينئذ قامت قائمة اليهود على الرسولين، فاعتزلوهما مع المهتدين. « وانتشرت كلمة الرب » في الناحية كلها (١٣: ٤٤ ــ ٤٥).

مكث الرسولان في أنطاكية بسيذية طويلاً حتى خريف ٤٦؛ حينئذٍ أثار اليهود عليهما ثورة، بواسطة النبيلات والأعيان، فطردوا الرسولين (١٣: ٥٠ ــ ٥٢).

٣ ــ المحطة الثالثة: في أيقونية من مقاطعة غلاطية الجنوبية (أع ١٤: ١ ــ ٥)

توجه الرسولان شرقاً في بلاد الغلاطيين نحو ١٢٠ كم، ووصلا إلى أيقونية، مدينة رومانية يقطنها الغاليون وقدماء المحاربين الرومان، وهم على عوائد اليونان. وتقع المستعمرة على شاطئ بحيرة.

فكانت الدعوة ناجحة قسمت أيقونية قسمين، مع الرسولين ومع اليهود.

وفي أيقونية تمت هداية القديسة تقلا[١] نحو العام ٤٧. وكانت بتولاً من

(١) لا يذكرها سفر الأعمال. ونعرف من ترتليان أن الكاهن الذي وضع في القرن الثاني قصة هدايتها مع بولس واستشهادها قد مزج الحقيقة بالخيال فحرم من الخدمة الكهنوتية. بيد أن الآباء اليونان لا سيما الفم الذهبي قد تواتروا على القول بالصحة الجوهرية في تاريخيتها. وماتت تقلا شهيدة إيمانها وبتوليتها في بلدتها أيقونية.

النبلاء. فهاج الشعب، وجلد الشرط بولس؛ وحيكت مؤامرة لاغتيال الرسولين، فاجتازا الحدود إلى الجنوب، وهربا إلى مقاطعة ليكأونية.

ربما مكث الرسولان في بلدة القديسة تقلا أكثر العام ٤٧ ــ

٤ ــ المحطة الرابعة: في لسترة من مقاطعة ليكأونية (أع ١٤: ٦ ــ ٢١).

عبر الرسولان الحدود، وعلى بعد ٣٠ كم وصلا إلى مدينة لسترة، حاضرة مقاطعة ليكأونية. وكان نجاح الدعوة منقطع النظير. فبعد معجزة بولس، شفاء مقعد من بطن أمه، هاجت المدينة ونادت بتأليه الرسولين (١٤: ٨ ــ ١٤).

فجابههم بولس **بالخطاب الأول للوثنيين** (١٤: ١٥ ــ ١٧)، وهو دعوة للتوحيد أولاً، على طريقة أهل التلمود، يتدرج فيها إلى ذكر المسيح.

وكانت الدرة اليتيمة في لسترة عائلة تيموتاوس. كان أبوه رومانياً على الوثنية، وأمه إيفنكي، وجدته لأمه، لويدا، من بنات إسرائيل. وقد حفظ بولس من استضافتهما الذكر العاطر (٢ تيم ١: ٧). فإنهما أنشأا الفتى على اليهودية لكن بدون ختان، مراعاةً لشعور والده. فاستخص بولس لنفسه تيموتاوس كابنه البار في الإيمان.

لكن ما عتّم أن اندس في لسترة يهود من أنطاكية القريبة وأيقونية، وظلوا يتآمرون حتى حملوا أهل لسترة على رجم بولس (١٤: ١٩ ــ ٢٠). لا شكّ أن بولس تذكر وهو يُرجم رجم اسطفان، وقبل الرجم تكفيراً. وبعد نحو عشرين سنة كتب بولس إلى تيموتاوس يذكّره بذلك اليوم المشهود (٢ تيم ٣: ١١). وظلت سمات الرجم، حتى الممات، على وجه بولس (غلا ٦: ١٧).

تلك هي صورة البطل العظيم: **ما بين التأليه والرجم!**

٤ ــ المحطة الخامسة: في دربه (أع ١٤: ٢١ ــ ٢٣).

حمل برنابا وتيموتاوس وبعض المهتدين بولس المرجوم، واجتازوا به

الحدود، على بعد ٤٠ كم في أطراف جبال غلاطية، حيث لا يلحق به اليهود، إلى دربة، على حدود غلاطية الجنوبية: « فبشرا تلك المدينة وتلمذا كثيرين ».

وكان زهرة آلام بولس تلمذ في دربة، ورفيق أسفاره فيما بعد، غايوس. ولا شك أن الرسولين استضافاه مدة مرض بولس من رجمه.

قضى بولس وبرنابا، ما بين لسترة ودربة، عام ٤٨ تقريباً. وقد حفظ بولس أنه ولد الغلاطيين بأوجاع الأمومة حتى تصوّر المسيح فيهم. وابن الأوجاع يظل عزيزاً على والده (غلا ٤: ١٩). ونرى انفعال الوالد، ما بين العنف الشديد، واللطف الشديد، في رسالة بولس إلى الغلاطيين، الذين كانوا كلهم من الوثنيين المهتدين.

وهكذا زرع بولس المسيحية بمدة ثلاث سنوات، في أربع مقاطعات من « المشرق »، الأناضول.

٦ ــ المحطة السادسة: في بَرْجة من مقاطعة بمفيلية، على طريق العودة.

لمّا أبلّ بولس من أوجاعه، في دربة، قرّر العودة إلى أنطاكية العظمى. فرجع الرسولان على أعقابهما يثبتان الكنائس التي أسساها.

ومن عبقرية بولس في التأسيس، أنهما « **رَسَما لهم كهنة في كل كنيسة** » **من أهلها** (أع ١٤: ٢٣)، تسلموا منهما الإنجيل، وسلطان الدعوة والحياة المسيحية.

ثم عبرا جبال طوروس من جديد إلى مقاطعة بمفيلية.

وكانت لهما دعوة عابرة في برجة، على ساحل البحر (١٤: ٢٥).

« ثم نزلا إلى آتالية. ومن هناك سافرا في البحر إلى أنطاكية، حيث كانا قد أودعا إلى نعمة الله، للعمل الذي أكملاه » (٤: ٢٥ ــ ٢٦).

فكم كان فرح الكنيسة الأم عظيماً، لدى سماع الرسولين يقصان على الجماعة إقامة سبع كنائس، في ست مقاطعات، وذلك مدة ثلاث سنوات

كاملة: « ولمـــا حضرا وجمعا الكنيسة، أخبرا بكل ما صنع الله معهما، وأنه **فــتح للأمميــين باب الإيمان** » (١٤: ٢٧) فكانت نشوة عارمة في كنيسة المسيح. وأيّد الله بالمعجزة والـــدعوة « إنجيل بولس »، « برجوع الأمميين (إلى الله)، فسبّب ذلك سروراً عظيماً لجميع الأخـــوة » الذين سمعوا به (أع ١٥: ٣).

وأقام بولس وبرنابا في أنطاكية العظمى « زماناً ليس بقليل مع التلاميــذ » (١٤: ٢٨) في ربيع العام ٤٩.

●

ثانياً: المسيحية على مفترق الطرق، عام ٤٩ ــ ٥٠

إن سنة ٤٩ كانت عام **الجهاد البولسي الأكبر**، لتحرير المســيحية مــن الموســوية، الشريعة والختان، ذلك التحرير الذي ينقلها من القومية إلى العالمية، ومن حرفية الطقوس إلـــى حرية الروح، بحسب إرادة المسيح نفسه.

فمن جدال مع النصارى من بني إسرائيل في أنطاكية، إلى مؤتمر عام للرسل والكهنـــة في أورشليم، إلى نزاع مع بطرس بأنطاكية في كيفية تطبيق شرعة المؤتمر، ظل بولس يجاهد حتى اعترف الرسل نظريّاً وعمليّاً بتحرير المسيحيين من الأمميين من الشـــريعة الموســـوية، وبصحة رسولية بولس وإنجيله، وحقه بالاستقلال في الرسالة لدى الأمميين.

١ ــ الجدل الأكبر بين مسيحية بولس ونصرانية بني إسرائيل في أنطاكية

ما وصلت أخبار بدء الفتح البولسي للعالم الوثني الهلنستي إلى مسامع أورشليم، حتـــى تغلغل قوم من الفريسيين بين النصارى من بني إسرائيل، « واندسّوا خلسة فيما بيننا ليتجسّسوا حريتنا، التي لنا في المسيح يسوع، بقصد أن يستعبدونا » لشريعة موسى وختانهـــا (غـــلا ٢: ٤). هذا حكم رهيب من بولس في « تنصر » بعض الفريسيين. فقد دخلوا المسيحية ليفتنوهـــا من داخل، كما سيكون دأب قومهم الدائم عبر التاريخ. وبولس أدرى الناس بهم.

فتألبوا حول يعقوب، أخي الرب، وزعيم آل البيت، وأسقف المدينة المقدسة، ليعملوا باسمه، وباسم آل البيت. وستنجح محاولتهم في شق أتباع المسيح إلى شيعة النصارى من بني إسرائيل، وسُنّة المسيحيين من الأمميين الذين يتبعون سنّة الرسل بمؤتمرهم.

ويؤيّد لوقا فراسة بولس. فهبط وفد من قبلهم إلى أنطاكية وأعلنوا شعارهم للمسيحيين من الأمميين: « إذا لم تختتنوا بحسب شريعة موسى، فلا تستطيعون أن تخلصوا » (أع ١٥: ١).

واشتعل الجدل بين وفد النصارى، وجماعة بولس المسيحية. وحملوا على بولس وبرنابا خصيصاً (أع ١٥: ٢). ونرى أن هؤلاء « الأخوة الكذبة » كما يسميهم بولس في رسائله (غلا ٢: ٤) كانوا يركزون حملتهم المتواصلة على ثلاثة أسس! فهم يطعنون:

بصحة مسيحية المسيحيين من الأمميين، إذا لم يقيموا التوراة مع الإنجيل.

وبصحة دعوة بولس لتحرير المسيحية من الموسوية، الشريعة والختان شعارها.

وبصحة رسولية بولس الذي لم يكن كبطرس من الاثني عشر، ولا كيعقوب من آل البيت: فهو دخيل مرتد!

ولما تفاقم الخلاف اتفق الفريقان على رفع القضية إلى مجلس الرسل والكهنة في أورشليم. وظن فريق النصارى من بني إسرائيل أن في نقل الجدال إلى موطنهم ضمانة لنصرهم، في جوار آل البيت.

لكن في زحف بولس المقدس، يروي في فينيقية والسامرة أخبار هداية الأمميين إلى الإنجيل، تهيئة لانتصار وجهة نظر المسيحية على النصرانية الإسرائيلية (أع ١٥: ٣)، في مجمع الرسل والكهنة بأورشليم.

•

٢ ـ مجمع الرسل والكهنة بأورشليم، في خريف العام ٤٩

لنا عن هذا المجمع روايتان، تختلفان شكلاً، وتأتلفان موضوعاً: رواية لوقا التاريخية، ورواية بولس الشخصية. فلوقا يؤرخ من زاوية الحدث نفسه، وبولس يُبرز دوره الدبلوماسي الناجح في القضية.

١) مجمع أورشليم بحسب رواية لوقا

يظهر من تقرير لوقا أن الجماعة عقدت ثلاث جلسات.

الجلسة الأولى. كانت افتتاحية، عند وصول الوفد من أنطاكية. فكان عرض انتشار الإيمان المسيحي بين الأمميين كافياً لترجيح نظرية بولس بتحرير المسيحية من الموسوية (أع ١٥: ٤).

الجلسة الثانية. حينئذٍ تدخّل الفريسيون المتنصّرون وفتحوا النقاش، « وقالوا: يجب أن يختتنوا (المسيحيون)، وأن يؤمروا بحفظ شريعة موسى » (١٥: ٥)، إذ لا تصح مسيحية أحد ما لم يتهوّد: فعليه أن يقيم التوراة والإنجيل معاً، وأن يمارس الختان والعماد معاً. « فاجتمع الرسل والكهنة لينظروا في هذا الأمر » (١٥: ٦).

« فحصلت مباحثة كثيرة » (١٥: ٧). حينئذٍ قام بطرس، زعيم الرسل، وحسم النزاع بسلطانه السامي، في خطاب جامع مانع، مبني على خبرته الشخصية في تدخل الله مباشرة لصالح المسيحيين من الأمميين « معطياً لهم الروح القدس كما لنا » بدون ختان ولا شريعة؛ « **فسكت الجمهور كله** » (١٥: ١٢). فيظهر من مؤتمر الرسل الأول أن القول الفصل في قضايا الإيمان هو لبطرس، مع إجماع الرسل. وانتهت الجلسة الخطيرة في تاريخ المسيحية بسماع الجمهور « لبرنابا وبولس يخبران بجميع ما أجرى الله على أيديهما من الآيات والمعجزات بين الأمميين » (١٥: ١٢). وهذا برهان الله على صحة التفسير المسيحي الرسمي للإنجيل.

الجلسة الثالثة. حينئذٍ لجأ المعارضون إلى يعقوب، زعيم آل البيت، وخليفة المسيح في نظر أولئك النصارى من بني إسرائيل، وهو المحافظ المثالي

في سلوكه على الشريعة والصلاة في الهيكل. فرجعت الجماعة إلى الاجتماع. وجـاء يعقـوب بحل عملي وسط: إن المسيحيين من الأمميين معتقون من شريعة موسى، كما قـال بطـرس؛ لكن يحسن، للتعايش السلمي بين النصارى من بني إسرائيل والمسيحيين من الأمميين، الأخـذ بأربعة أحكام توراتية تجمع ولا تفرّق: الامتناع عن الذبائح للأوثان وعن المخنوق وعن الـدم وعن الفاحشة (الزيجات الممنوعة بالتوراة) (١٥: ١٣ ــ ٢١).

فأجمع المجمع على هذا الوسط العملي الذي لا يمس تحرير المسيحية من الموسـوية، ويساعد على التعايش السلمي بين النصارى والمسيحيين. واتخذوا فيه قراراً « باسمهم واسـم الروح القدس » (١٥: ٢٢ ــ ٢٩).

فكان **أول قرار مسكوني** في الكنيسة.

وربما كان **أول رسالة مسيحية، وأقدم مخطوطة مسيحية.**

مع ذلك يظهر أن قرار المجمع كان شفاهاً، بسبب إيفاد برسابا وسيلا لإبـلاغ القـرار إلى أنطاكية والكنائس التابعة لها (١٥: ٢٢ و٢٧). ففي عام ٥٧ قبل توقيـف بـولس، نـرى يعقوب يخبره بأنهم كتبوا بذلك إلى الكنائس، كأن بولس يجهل ذلـك (أع ٢١: ٢٥). فالرسـالة الخطية (أع ١٥: ٢٣ ــ ٢٩) قد تكون مقحمة عند نشر سفر الأعمال، لإتمام الفائدة؛ والإقحام ظاهر بين الآيتين[1] (٢٣ و٣٠).

---

(١) مشكل عارض: المجمع الرسول وقرار كنيسة أورشليم (أع ١٥: ٢٣ ــ ٢٩).
إن إقحام القرار المكتوب على أعمال المجمع الرسولي هو من لوقا نفسه الذي جمعـه إلـى أعمـال المجمع، لاستكمال المصادر التاريخية في قصة تحرير المسيحية من الموسوية. وترك إقحام القرار ظاهراً في سياقه ليدل على إدغام وثيقته بوثيقة المجمع. فكان هذا الإقحام سبب تشويش في النص: ١) فإن يعقوب وافـق بطرس في المجمع موافقة مطلقة (أع ١٥: ١٩)؛ وهذا يتعارض مع الاستثناءات الأربعة التي تخـتم خطابـه كحل وسط (١٥: ٢٠ ــ ٢١)، وهي التي بني عليها قرار كنيسة أورشـليم (١٥: ٢٣ ــ ٢٩) ٢) لـو كـان الكتاب الرسولي (١٥: ٢٣ ــ ٢٩) من الرسل في المجمع، لما احتاج إلى وفد يخبر به شفاهاً (١٥: ٢٧). ٣) ويظهر فيما بعد أن بولس يعرف أمر القرار من يعقوب، عام ٥٧، قبـل أسـره (أع ٢١: ١٥ ــ ٢٥) وهـذا يوحي بأن لوقا أقحم موقف يعقوب الثاني مع القرار الأورشليمي على قصة المجمع. ٤) يؤكد ذلك أن بـولس لا يذكر أبداً تلك الاستثناءات؛ وعندما يمنع بولس أكل ذبائح الأوثان (١ كو

ورجع بولس ظافراً يحمل قرار المجمع بتحرير المسيحية من الموسوية، يؤيده في ذلك شهادة وفد المجمع. فهدأ البلبال في كنيسة أنطاكية وعادت إليها السكينة (١٥: ٣٠ ــ ٣٣).

٢) مجمع أورشليم بحسب رواية بولس

تلك هي الرواية التاريخية لأحداث أول أزمة في المسيحية وأخطرها. وبولس يعطينا **رواية تكميلية** يظهر فيها **دوره الدبلوماسي** بالقضية، فنعرف كيف ربحها.

يقول: « ثم بعد أربع عشرة سنة (من هدايته) صعدت من جديد إلى أورشليم مع برنابا، مستصحباً تيطس أيضاً. وكان صعودي عن وحي. فعرضت عليهم الإنجيل الذي أدعو به بين الأمميين، **مفاوضاً على حدة الوجوه بينهم**... لتدوم لكم حقيقة الإنجيل » (غلا ٢: ١ ــ ٦).

تلك المفاوضات على حدة قبل جلسة المؤتمر هيأت بطرس ويعقوب زعيمي الرسل وآل البيت لتبنّي وجهة نظر بولس. وهذا ما ظهر في المجمع. فما قام الجدال على دعوة بولس حتى حسمه بطرس بسلطانه، وأيده يعقوب تأييداً مطلقاً (أع ١٥: ٧ ــ ١٩). واعترف الوجوه والأعمدة، يعقوب وكيفا ويوحنا برسولية بولس وصحة الإنجيل الذي يدعو به؛ واتفقوا على اختصاصه بالدعوة لدى الأمميين، « إذ رأوا أني اؤتمنت على الإنجيل القلف » (غلا ٢: ٦ ــ ١١).

فبدوره الدبلوماسي العظيم، حتى التمثيل باصطحاب تيطس المهتدي غير المختون (غلا ٢: ٢)، ربح بولس قضية تحرير المسيحية من الموسوية، وكان له الفضل بإقامة « حقيقة الإنجيل ».

وكانت **المسألة أول مشكلة وأخطر قضية** يمكن أن تواجه المسيحية في

٨: ٤ ــ ١٣) لا يمنعها مطلقاً كما في القرار، بل بالنسبة إلى ضمير الضعفاء ٥) يؤكد ذلك أخيراً أن كنائس بولس لم تحفظ تلك الاستثناءات. وفي أسلوب لوقا كثير من هذا الجمع للإيجاز والاستكمال في رواية التاريخ.

نشأتها. فلولا تحرير المسيحية من الموسوية، لظلت ديناً قومياً، وفرقة إسرائيلية، وما اتصفت بالعالميّة كما يريدها المسيح. وهذا ما جرى للنصارى من بني إسرائيل الذين لم يتعرّض المجمع الرسولي لهم، فظلوا يقيمون التوراة والإنجيل معاً، والعماد والختان معاً، فتشيعوا للتوراة ولآل البيت، واعتزلوا على أنفسهم حتى انعزلوا عن العالم المسيحي، وهاجروا إلى الحجاز وذابوا في الإسلام.

وهكذا تمّ الاعتراف الرسولي رسمياً بالإجماع بصحة رسولية بولس، وبصحة رسالته، وبصحة الإنجيل الذي يدعو به، « بعد أربع عشرة سنة » من هدايته.

حينئذٍ أصبح بولس « رسول الأمميين » يقدر أن يستقل بالرسالة والدعوة.

٣ ــ خلاف بولس وبطرس في أنطاكية العظمى (غلا ٢: ١١ ــ ٢١)

إن بولس، بعد روايته الشخصية للمجمع الرسولي بأورشليم (غلا ٢: ١ ــ ١٠)، يذكر قصة خلافه مع بطرس في أنطاكية العظمى (غلا ٢: ١١ ــ ٢١) بسبب سلوكه المخالف لعقيدة المجمع. وهذا الخلاف لا ذكر له عند لوقا.

١) فمتى وقع الخلاف؟

هناك **ثلاثة أحداث** مترابطة يتساءلون عن **حقيقة تسلسلها:** المجمع الرسولي، وخلاف بطرس وبولس، وقرار كنيسة أورشليم بإخضاع المسيحيين لأربعة أحكام توراتية لأجل التعايش السلمي بين النصارى والمسيحيين.

وهناك **ثلاثة حلول**. يقول بعضهم: إن قرار كنيسة أورشليم سابق للمجمع وللخلاف بين بولس وبطرس، لذلك ألحقه لوقا بأعمال المجمع، وختم على القصة. لكن هذا الحل لا يفسّر الصراع الذي ظل قائماً بين بولس وجماعة يعقوب، « الأخوة الكذبة »، حتى النهاية. وبعضهم يقول: إن القرار صدر بعد المجمع الرسولي، وقبل الخلاف بين الرسولين، فكان سبب التباين بين سلوك بطرس في أنطاكية وعقيدته في المجمع، ولا يعقل

لولاه أن يختلف الرسولان بعد الإجماع في المجمع. لكن هذا الحلّ لا يفسر بقاء الصراع بين بولس وجماعة يعقوب.

ونحن مع القول الثالث الذي يرى أن قرار كنيسة أورشليم ليس قرار الرسل بالإجماع، وقد انفرد به جماعة يعقوب، فجاء بعد المجمع وبعد خلاف بطرس وبولس بمدة طويلة. وذلك لأن بولس لا يعرف به إلاّ بعد فترة طويلة، ولا يشير إليه في رسائله (أع ٢١: ١٧ ــ ٢٥)؛ أما الخلاف فلاحق للمجمع، كما يظهر من سياق بولس في روايته، وهو غير الخلاف الذي قام قبل المجمع بين جماعة يعقوب وجماعة بولس (أع ١٥: ١ ــ ٤). وما كان بولس ليجرأ على « مقاومة بطرس وجهاً لوجه » أمام الكنيسة كلها، لولا تسلحه بعقيدة المجمع. أما سلوك بطرس المتردّد في أنطاكية، فلا يخالف عقيدته في المجمع، فقد تختلف العقيدة عن السياسة التي تحرص على مؤآلفة فريقين مختلفين؛ وما كان التردد في السلوك العملي لمصلحة المتخاصمين ليغيّر شيئاً من حقيقة العقيدة.

وهذا هو **منطق وتسلسل الأحداث:** رحلة بولس الرسولية الأولى التي فتحت باب المسيحية للأمميين فأثارت غيرة النصارى من بني إسرائيل؛ ثم خلاف جماعة يعقوب وجماعة بولس بأنطاكية، فكان سبب المجمع الرسولي، مجمع الرسل والكهنة، لتقرير العقيدة المسيحية بتحريرها من الشريعة الموسوية؛ ثم خلاف بطرس وبولس على السلوك مع المسيحيين من الأمميين بضغط من جماعة يعقوب الذين لم يقبلوا سُنّة الرسل بمؤتمرهم، كما ظهر في تاريخهم؛ أخيراً قرار كنيسة أورشليم بحلّ وسط فرضه يعقوب للتعايش السلمي بين النصارى المتشيعين للتوراة، والمسيحيين المتحررين منها بدعوة بولس وسُنة الرسل بالمجمع الرسولي.

وهذا ما يفسر تجاهل بولس للقرار الأورشليمي في رسائله، ودوام الصراع بين جماعة يعقوب وبولس، بعد تفاهم بطرس وبولس في أنطاكية.

٢) لكن ما هو موضوع الخلاف بين بطرس وبولس، في أنطاكية؟

ليس الخلاف على العقيدة في تحرير المسيحية من الموسوية، **إنما الخلاف**

كان **على السلوك** مع المسيحيين من الأمميين. فهل كان على المخالطة في إقامة عشاء الرب؟ أم على مؤاكلة النصارى للمسيحيين؟ أم على العلاقات العامة كلها، بحسب الشرع التوراتي: إنما المشركون نجس قبل ختانهم؟ يظهر من رواية بولس أنه على مخالطة ومؤاكلة المسيحيين من الأمميين.

٣) يروي بولس، بعد قصة المجمع، أن بطرس حضر إلى أنطاكية؛ « وقبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمميين » فوصل الخبر إلى أورشليم. فأرسل جماعة يعقوب أناساً من قبلهم يستطلعون الخبر. « ولمّا قدموا أخذ بطرس ينسل ويتنحّى، خوفاً من أهل الختان. وتظاهر معه سائر اليهود (النصارى) أيضاً، بل برنابا نفسه انجرّ لتظاهرهم. فلما رأيت أنهم لا يسيرون على الصراط المستقيم، بحسب حقيقة الإنجيل (التي حدّدها المجمع الرسولي)، قلت لكيفا أمام الجميع: إن كنت أنت اليهودي تعيش كالأمميّين، لا كاليهود، فلمَ تلزم الأمميّين أن يتهوّدوا »؟ (غلا ٢: ١١ ــ ١٤).

وفي خطاب جامع مانع في الكنيسة، يوجزه بولس في رسالته (غلا ٢: ١٥ ــ ٢١) انتصر بولس مرة أخرى على الفتنة التي كادت تقضي على المسيحية في مهدها. وأذعن بطرس لصحة موقف بولس.

ونرى أن « بولس وبرنابا قد أقاما في أنطاكية يعلّمان ويبشران مع آخرين كثيرين أيضاً بكلمة الرب » (أع ١٥: ٢٤)، بينما بطرس يرأس الكنيسة فيها.

فكان خلاف الرسولين على السلوك، لا على العقيدة؛ ولم يكن منافسة شخصية على الزعامة التي ظل بولس يعترف بها لبطرس (١ كو ٩: ٥). وظل بطرس حافظاً مودته لبولس الذي يسميه « أخانا الحبيب بولس » (٢ بطر ٣: ١٥ ــ ١٦) ويقدر فضل رسائله على المسيحية.

فلبولس **الفضل الأكبر في تحرير المسيحية من الموسوية** بالدور الحكيم العظيم الذي قام به في أورشليم وفي أنطاكية. ولولاه لبقيت المسيحية « شيعة النصارى » كما كان يراها اليهود (أع ٢٤: ٥). وقد سهّل تحرير

المسيحية من قيود الشريعة الموسوية، وحدود القومية اليهودية، على إبراز عالميتها وتأليف الأمم لها. فصار بولس بذلك، في نظر الكنيسة، نداً لبطرس فجمعتهما في كرامة واحدة. وظهر بولس بذلك على حقيقته « رسول الأمميين ».

۞ ۞ ۞

ثالثاً: الرحلة الرسولية الثانية، ثلاثة أعوام في اليونان (٤٩ ــ ٥٢)

توطئة: التوجيه والاستعداد لغزو أوروبا بالإنجيل للمسيح

قضى بولس من الربيع إلى الخريف عام ٤٩ ما بين أورشليم وأنطاكية. وفي الخريف، « قال بولس لبرنابا: لنرجع ونتفقد الأخوة في كل مدينة بشرنا فيها بكلمة الرب، وكيف حالهم » (أع ١٥: ٣٦).

أراد برنابا أن يصحبهما ابن أخته يوحنا مرقس (كو ٤: ١٠). فرفض بولس رفضاً باتـّاً، لأن مرقس تركهما في الرحلة الأولى. فاختلف بسببه بولس وبرنابا وافترقا وقام كل منهما بالرسالة منفرداً. فاعتزل برنابا ومرقس في قبرص. لكن خصام أولياء الله لا يدوم، فقد عدّل بولس موقفه من مرقس برومة لما عرف مكانته عند بطرس وعند الرومان في تدوين الإنجيل لهم (كو ٤: ١٠؛ فيلمون ٤٤؛ ٢ تيم ٤: ١١). وربما رضي بولس بفراق برنابا بسبب موقفه المتخاذل في أنطاكية.

واختار بولس مرافقاً له سيلا، موفد مجمع الرسل، ليكون شاهداً معه على العقيدة المسيحية المتحررة التي تم عليها الإجماع في مجمع أورشليم (أع ١٥: ٤٠).

« فطاف (بولس) في سورية وكيليكية يثبّت الكنائس » (أع ١٥: ٤١). ووصل إلى جنوب غلاطية في دربه ولسترة. وفي لسترة اصطحب معه ابنه الحبيب « تيموتاوس » ابن امرأة يهودية مؤمنة وأب يوناني... فأخذه وختنه لأجل اليهود » (أع ١٦: ١ ــ ٣). وهذا دليل على مرونة بولس في سلوكه، مع صلابته في عقيدته. فصار الوفد الرسولي ثلاثة.

« وعند مرورهما في المدن كانا يعظانهم بأن يحفظوا المراسيم التي أقرهــا الرســل والكهنة الذين في أورشليم فكانت الكنائس تتشدّد في الإيمان، وتزداد عدداً كلّ يــوم » (١٦: ٤ ــ ٥) . إن مرور بولس الخاطف يصنع الخوارق.

« وجازا في فريجية وبلاد غلاطية، إذ منعهما الروح القدس أن يبشرا بالكلمة في آسيا (الولاية الرومانية إلى الجنوب الغربي من الأناضول). ولمّا انتهيــا إلــى ميســية، عزمــا أن يشخصا إلى بيثنية. لكن روح يسوع لم يأذن لهما. فمرّا في ميسية، وانحدرا إلــى تــرواس » على شاطئ البحر (أع ١٦: ٦ ــ ٨)، وهي قريبة من مدينــة طــروادة المشــهورة بإليــاذة هوميروس.

في ترواس لقي بولس لوقا الطبيب الأديب الحبيب الذي هــداه إلــى المســيحية فــي أنطاكية. فاصطحبه معه، وكان نعم الرفيق حتى الاستشهاد. حينئذ تبدأ روايــة « الأعمــال » بصيغة المتكلم (أع ١٦: ١٠) دليلاً على مرافقة لوقا لمعلمه بولس. فصــار الوفــد الرســولي أربعة.

وربما قضى الرسل شتاء ٤٩ ــ ٥٠ في ترواس. وذات يوم « في الليل رأى بــولس رؤيا: رجل مقدوني وقف به وطلب إليه، قال: اعبرْ إلــى مقــدونيا وأغثنــا » (أع ١٦: ٩). فكانت **إشارة السماء لاقتحام اليونان**، أرقى شعب عرفه العالم القديم.

فقرّر بولس اقتحام أوربّا لفتحها بالإنجيل للمسيح.

●

١ ــ المحطة الأولى: في فيليبي، مدينة رومانية من مقدونية

في ربيع العام ٥٠ « أقلعنا من ترواس، وسرنا سيراً مستقيماً إلى ســاموتراكية وفــي الغد إلى نيابوليس. ومن هناك (على مسافة ١٢٠كم) إلى فيلبي » التي هي أولى المــدن فــي مقاطعة مقدونية، وهي مستعمرة رومانية أي تابعة مباشرة لرومــة، ولهــا حــق الانتخــاب، يتكلمون فيها اللاتينية مع اليونانية، ويقيم أمرهم القــانون الرومــاني (١٦: ١١ ــ ١٢ علــى ٢١).

« فأقمنا في هذه المدينة أياماً » (١٦: ١٣).

وفي السبت الأول كانت الدعوة الأولى على مجرى النهر خصوصاً للسيدات. فكانت ليديا، بائعة الأرجوان، أول مؤمنة، في فيلبي واليونان وأوربّا. فاستضافت الوفد الرسولي (أع ١٦: ١٤ ــ ١٥).

وكثر عدد المهتدين. لكن شفاء عرّافة أثار مواليها على بولس وسيلا ثورة شعبية عارمة. فضربهما ولاة المدينة وسجناهما (١٦: ١٦ ــ ٢٤).

وعند صلاتهما في الليل حدثت زلزلة في السجن فهدت السجان إلى الإيمان مع أهل بيته (١٦: ٢٥ ــ ٣٤). بلغ خبر الحادث المعجز ولاة المدينة فأرسلوا يفرجون عن الرسولين. فأبلغاهم حينئذ انهما رومانيان. فخاف الولاة وحضروا بأنفسهم، واعتذروا لهما، « وسألوهما أن ينصرفا عن المدينة » (أع ١٦: ٢٦ ــ ٣٤).

فرحل بولس وسيلا وتيموتاوس، **وبقي لوقا في فيليبي** زمناً طويلاً يمتهن طب الأجساد والنفوس، مكملاً عمل معلمه.

وهكذا أنقذت الرعوية الرومانية الرسولين بكرامة من الإهانة. وانتشر الخبر في الولاية كريح طيبة (١٦: ٣٥ ــ ٤٠).

•

٢ ــ المحطة الثانية: في تسالونيكيا، جنوبي مقدونية

في صيف العام ٥٠ وصل بولس، بعد مسيرة ١٦٠ كم، إلى تسالونيكية. فدعا في جامع اليهود، « وحاجّهم من الكتب ثلاثة سبوت، شارحاً ومبيّناً أنه كان ينبغي للمسيح أن يتألم وأن يقوم من بين الأموات وأن المسيح الموعود هو يسوع الذي أبشركم به ». فاهتدى إلى المسيح بعض اليهود، وجمهور كثير من المتقين اليونانيين، وعدد غير قليل من النبيلات (أع ١٧: ١ ــ ٤) واستضاف ياسون الرسولين.

فبدأ **صراع جديد بين اليهودية والمسيحية** التي أخذت تسلبها « المتقين » من الأمميين. وازدادت حدة الصراع بدعوة بولس إلى مسيح مصلوب.

ومن دعوة بولس في تسالونيكية نفهم أن مشكلة اليهود الكبرى في سبيل الإيمان بيسوع المسيح هي **عار الصليب**، كما سيكون ذلك شك المسلمين الأكبر.

فأثار اليهود فتنة في المدينة. فجرّ الشعب الثائر ياسون وبعض المهتدين إلى حكام المدينة، مع الرسولين. وكانت الدعوى عليهم أنهم « ينادون بملك آخر، يسوع ». فأفلت الأخوة بالحجة، وبكفالة من ياسون (١٧: ٥ ـ ٩).

وتستند دعواهم السياسة الدينية إلى جناس باللغة اليونانية يقوم على المقابلة بين « الرب يسوع » و« الرب قيصر » ـ وهو « كيريوس خرستوس ـ كيريوس قيصر ». وهذا الشعار إعلان للتوحيد، ولربوبية المسيح.

وبعدما نجا الرسولان من قبضة الحكام، « للوقت أرسل الأخوة بولس وسيلا، ليلاً، إلى بيرية » (أع ١٧: ١٠). وعن قريب سيصف لنا بولس دعوته في تسالونيكية، برسالته الأولى إليهم.

٣ ـ المحطة الثالثة: في بيرية، من مقاطعة مقدونية

بعد مسيرة ٨٠ كم، وصل الوفد الرسولي إلى مدينة بيرية. « وهما لمّا وصلا مضيا إلى جامع اليهود » يبشران بيسوع أنه المسيح الموعود. « وكان هؤلاء أنبل من أهل تسالونيكية، فقبلوا الكلمة بارتياح. وكانوا كل يوم يفحصون الكتب، وهل الأمر كذلك. فآمن كثيرون منهم، وكذلك من اليونانيين سيدات شريفات، ورجال غير قليلين » (أع ١٧: ١٠ ـ ١٢).

لقد آمنوا لمطابقة شهادة الكتاب لشهادة الإنجيل بأن يسوع هو المسيح.

ولما علم يهود تسالونيكية بذلك، حضر وفد منهم وأثار فتنة في بيرية. وكانوا يتآمرون لاغتيال بولس. فهرّبه الأخوة المهتدون إلى أقرب ميناء، فسافر إلى أثينا، على بعد ٤٦٠ كم (أع ١٧: ١٣ ـ ١٥).

أما سيلا وتيموتاوس فمكثا زمناً في بيرية يتمّان عمل بولس، إلى أن استدعاهما إلى أثينا.

فكانت رسالة بولس في مقدونية ناجحة، لكنها عاجلة بسبب عداوة اليهود (أع ١٧: ٥ و١٠؛ قابل ١ تس ٢: ١٦).

٤ ــ المحطة الرابعة: بولس في أثينا، عاصمة اليونان

كانت أثينا عاصمة الفكر والثقافة في العالم القديم. واقتحامها يعني اقتحام الوثنية في معقلها الأول الخطير. وقد بلغها بولس في خريف العام ٥٠.

أخذ بولس أولاً بمفاوضة اليهود و« المتقين » من الأثينيين، في الجامع.

وفي السوق، « أغُورا »، جعل يباحث « الذين يصادفونه » من الفلاسفة، الرواقيين دعاة الفضيلة لأجل ذاتها، والابيكوريين دعاة التمتع بلذة الحياة قبل زوالها. فشاع خبر الفيلسوف الجديد في المدينة. وكانوا يقولون في ترفعهم: « ما يريد أن يقول هذا المهذار »؟! واتهموه بتهمة سقراط قديماً: « **انه يُنادي بآلهة غريبة** »! « فإنه كان يبشر بيسوع والقيامة » (أع ١٧: ١٦ ــ ١٨)، فقد أخذوا « القيامة » كاسم علم.

وبلغ خبر بولس إلى « الأريوباغس » (٦٧: ١٩) ناديهم الأكبر، القائم على أكمة الإله « مارس »، إله الحرب. وكان التعبير يطلق حينئذ على الأكمة وعلى النادي. وكان أهل أثينا والمستوطنون من الغرباء بينهم مولعون بالأفكار الجديدة، حتى الفلاسفة منهم. « فأخذوه (بولس) وأتوا به إلى الاريوباغس » (١٧: ١٩). واعتزل الفلاسفة ببولس في النادي الشهير، بعيداً عن ضوضاء « الأغُورا ». وكان مطمح كل صاحب فكرة أو دعوة أن يخطب فيه. فدعوا بولس إليهم لأنهم دهشوا من علمه ودعوته. وكانت فرصة فريدة لبولس.

فاستحضر بولس كل ثقافته الكتابية واليونانية. فكان خطابه في ندوة أثينا دعوة للتوحيد واليوم الآخر، متدرجاً إلى الإيمان بالمسيح الذي جعلته قيامته من بين الأموات ملك يوم الدين؛ مستشهداً عند الحاجة بشرائعهم، وفلاسفتهم.

انطلق في فاتحته من تمثال « **الإله المجهول** » كناية في الخاتمة عن المسيح.

فعرّفهم ١) بالله الخالق، رب العالمين ــ وبذلك ردّ على الابيكوريين الذين يدعون أن العالم وجد من تلقاء ذاته (١٧: ٢٤ ــ ٢٥)؛ ٢) بمصير الجنس البشري وغايته من الوجود، « لكي يطلبوا الله الذي به نحيا ونتحرك ونوجد ». ففي هذه الغاية عظمة الإنسان، كما قال الشاعر أراتوس الطرسوسي « إنا نحن ذريته »! فعلينا أن نترك الوثنية والشرك، ونُسلم وجوهنا لله وحده، لا شريك له من أصنام وأوثان (١٧: ٢٦ ــ ٢٩)؛ ٣) بطريق الخلاص من « **أزمنة الجاهلية** »، بالإيمان بالإنسان الذي قام من بين الأموات ديّانا للعالمين (١٧: ٣٠ ــ ٣١).

كان الخطاب **دعوة التوحيد** في معقل الشرك العلمي والفلسفي. ونلاحظ فيه وصف التاريخ قبل المسيح « **بالجاهلية** ». وهذا هو التعبير الذي أخذه معهم المسيحيون، ثم النصارى من بني إسرائيل، إلى الحجاز، فنزل في القرآن.

لكن محاولة بولس مع فلاسفة أثينا فشلت. وكأن الله أراد أن يفهم بولس بأن انتشار الإيمان لا يقوم على الثقافة الشخصية، بل على القدرة الإلهية. كانت ثقافة بولس تجربة له في دعوته، فاستغلها في مباحثة فلاسفة أثينا. فشفاه الله من تلك التجربة نهائياً، لكي يعوّل في دعوته على حكمة الإنجيل، لا على حكمة العالم، كما سيقول لأهل كورنتش، العاصمة اليونانية الثانية: « لقد حضرت إليكم في ضعف وخوف واضطراب كثير. ولم يكن كلامي ودعوتي بما لكلام الحكمة من بلاغة، بل ببيان الروح والقدرة، لكي لا يقوم إيمانكم على حكمة الناس، بل على قدرة الله » (١ كو ٢: ٣ ــ ٥).

مع ذلك فقد آمن بعضهم بدعوة بولس، منهم ديونيسيوس الأريوباغي، والشريفة دامرس، لكن أكثرهم « لما سمعوا بالقيامة من الأموات، أخذ بعضهم يستهزئون، والبعض يقولون: سنسمع منك عن هذا مرة أخرى »! (١٧: ٣٢ ــ ٣٤).

ومن أثينا بعث بولس فاستدعى سيلا وتيموتاوس من بيرية وأرسلهما إلى تسالونيكية (١ تس ٣: ١) يعالجان فتنة ناشئة فيها. ورحل وحده إلى كورنتش. وكان مطلع العام ٥١.

٥ ـ المحطة الخامسة: بولس في كورنثس عام ٥١ ـ ٥٢

وصل بولس إلى كورنثس في شتاء العام ٥١ (أع ١٨: ١ ـ ١٨). وأقام فيها سنةً ونصف السنة (أع ١٨: ١) وربما سنتين (١٨: ١٨).

وكانت كورنثس، التي أعاد يوليوس قيصر بناءَها عام ٤٤ مدينة مختلطة أهلها نحو مئتي ألف من الأحرار، وأربعماية ألف من العبيد. فكانت المدينة الكبرى في اليونان، لذلك جعلتها رومة عاصمة أخائية. وكانت عاصمة العمل لكل طارئ من الأقوام المختلفة؛ وهذا ما جعلها عاصمة الفساد في اليونان، فكنّوا باسمها عن الفساد.

إن إقامة بولس فيها تُفتَتح بحادث تاريخي، كما أنها تُختتم بحادث تاريخي آخر، يجعلها محور تاريخ سيرة بولس. في عام ٤٩ ـ ٥٠ صدر أمر من كلوديوس قيصر بطرد اليهود من رومة، فهاجرت **عائلة أكيلا وبرسِكلاّ** من رومة إلى كورنثس، وكانت مسيحية، تتاجر بصناعة الخيام، مهنة بولس نفسه؛ فلجأ إليها يعمل معها لمعيشته (أع ١٨: ١ ـ ٤). فإنه قد اتعظ بفشله في أثينا، وغيّر أسلوب دعوته في كورنثس. وفي ربيع العام ٥٢ مثل بولس أمام غاليون الوالي الروماني.

باشر الدعوة في جامع اليهود. « وكان كل سبت يخطب في الجامع، عاملاً على إقناع اليهود واليونانيين المتقين » (١٨: ٤).

في هذه الفترة رجع سيلا وتيموتاوس من مقدونية يحملان إليه تبرّعات أهل فيليبي (٢ كو ١١: ٩). « ولمّا قدم سيلا وتيموتاوس من مقدونية انقطع بولس للدعوة، شاهداً لليهود بأن يسوع هو المسيح » (أع ١٨: ٥). لكنه فشل في دعوة اليهود، فلم يؤمن إلاّ رئيس الجامع، كريسبوس مع أهل بيته؛ وأحد المتقين من الكورنثيين اسمه يسْتُسْ، وكان بيته بجانب الجامع، فاستضاف بولس.

حينئذٍ انقطع بولس عن العمل، واعتزل اليهود، وباشر الدعوة مع الكورنثيين الأمميين. « وكثيرون من الكورنثيين، إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا » (١٨: ٨). فاغتاظ اليهود بنجاح الدعوة المسيحية بين الأمميين، وبدأوا

بتهديد بولس. وذات ليلة، في رؤيا، « قال الرب لبولس: لا تخف! بل تكلّم، ولا تسكت! فـإني معك!.. وإن لي في هذه المدينة شعباً كثيراً » (١٨: ٩). يظهر أن هذه الرؤيا الليلة كانت على أثر نذر شعر رأسه لله، إذا حماه في كورنثس؛ وكان أتقياء اليهود يقدّمون مثـل هـذا النـذر للخلاص من مرض أو خطر.

فتشجع بولس، « وأقام سنة وستة أشهر يدعو فيما بينهم بكلمة الله » (١٨: ١) وأسـس كنيسة ازدهرت فيها مواهب الروح القدس، حتى كان المسيحيون فيها يفخـرون بـذلك علـى مواطنيهم. فكانت كنيسة كورنثس قذى في عين اليهود.

وفي حزيران ٥١ كانت ولاية غاليون قنصلا على أخائية، إلى حزيـران ٥٢. وقبـل ختام ولايته كان غاليون بكورنثس، في ربيع ٥٢. « فنهض اليهود بنفس واحدة على بـولس، واقتادوه إلى المحاكمة » أمام غاليون. فرفض ابن أخي الفيلسوف سينيكا أن ينظر في قضـية دينية، وطردهم من المحكمة. فانتقموا من رئيس الجامع الجديد، الذي دفعهـم إلـى عملهـم، وضربوه قدام غاليون، فلم يُبالِ. فكانت الفتنة نصراً لبولس والمسيحية، بسبب ترفع غاليون.

وهذه المحاكمة التاريخية الظافرة هي التاريخ الثابت في سيرة بـولس؛ فهـي محـور تواريخ سيرته. ويكون **مطلع العام ٥٢ بدء دور جديد في حيـاة بـولس؛ دور « المعلـم » برسائله.** فإنه من كورنثس وجه رسالتين إلى التسالونيكيين، بعد سفارة ثانية إلـيهم قـام بهـا تيموتاوس هذه المرة من كورنثس.

فتكون الرسالتان إلى التسالونيكيين **فاتحـة الـوحي المسـيحي المكتـوب**، وأولـى المخطوطات في المسيحية، وذلك من العام ٥٢، أي ٢٢ سنة بعد ارتفاع المسيح إلى السـماء. وفيهما جوهر العقيدة المسيحية كلها. **فهذه المدة القصيرة لا تكفي سيكولوجياً ولا اجتماعيـاً، ولا تاريخياً، لخلق أسطورة المسيحية:** فهي عقيدة تاريخية من المسيح نفسه.

ومنذئذ كانت رسالة بولس دعوة « وكتابة ». فخلّد دعوته برسائله.

وبعد نصره أمام غاليون، تحرّر بولس من عقدة اليهود، وجهر بالدعوة « أياماً كثيرة » (١٨: ١٨). ثم اعتذر للكنيسة الكورنثية بنذر عليه أن يؤديه في أورشليم. وغادر كورنثس في صيف ٥٢.

٦ ـ المحطة السادسة: في أفسس، على طريق العودة

بعد النجاح الباهر بتأسيس المسيحية في خمس مدن من اليونان، رأى بولس أن يصعد إلى أورشليم، وفاءً لنذره في كورنثس، ولكي يطلع على انتشار المسيحية في أرقى شعوب العالم القديم أورشليم أم الكنائس، وأنطاكية العظمى، مصدر الرسالة إلى الأناضول واليونان.

فترك اليونان إلى سوريا (أع ١٨: ١٨)؛ واصطحب معه أكيلا وبرسكلاً إلى أفسس، عاصمة آسيا الرومانية في العلم والدين والتجارة. وبانتظار مركب يقله إلى فلسطين، « دخل الجامع وفاوض اليهود. فراجوا منه أن يمكث مدة أطول، فلم يرضَ. بل ودّعهم قائلاً: ينبغي لي على كل حال أن أحتفل بالعيد القادم في أورشليم ـ عيد الخيام عام ٥٢ ـ ولكن سأرجع إليكم أيضاً، إن شاء الله » (١٨: ١٩ ـ ٢١).

لكن بولس ترك في أفسس « رفيقيه » أكيلا وبرسكلاً، يقومان بصنعتهما مع الدعوة على قدر طاقتهما. وبعد مدة قدم أبولّس العلامة الإسكندري إلى أفسس. « وكان خبيراً في طريقة الرب » لكن على معمودية يوحنا. فهدياه إلى معمودية المسيح. فأخذ يفحم اليهود في الجامع، بحسب الكتب المقدسة، أن يسوع هو المسيح. وكان يقصد كورنثس فزوّده الأخوة بمكتوب توصية إلى الأخوة بكورنثس. فكان لهم خير عون. وخلب ببلاغته أهل كورنثس فتحزب له جماعة من المسيحيين (١٨: ٢٤ ـ ٢٨).

أما بولس فقد « أقلع من أفسس. ولما نزل إلى قيصرية، صعد فسلّم على الكنيسة (في أورشليم). ثم انحدر إلى أنطاكية » (١٨: ٢١ ـ ٢٢)، في خريف العام ٥٢.

وهكذا انتهت رحلة بولس الرسولية الثانية. بهذا الغزو الروحي، بدأ بولس فتح أوربا للمسيح. فابتدأ باليونان، مصدر الثقافة الحاكمة في المسكونة. وكانت فلسفته عند أهل الحكمة **أن حكمة الإنجيل أفضل من حكمة اليونان**، كما سنرى في رسالتيه إلى الكورنثيين.

۞ ۞ ۞

رابعاً: الرحلة الرسولية الثالثة، خمسة أعوام ما بين آسيا واليونان

قضى بولس شتاء العام ٥٣ في أنطاكية (أع ١٨: ٢٣) يقص فيها على الكنيسة الأم أخبار انتشار المسيحية في مكدونية واليونان. فاعتزت أنطاكية العظمى ببدء هداية اليونان، أهل الثقافة والفلسفة، إلى المسيحية.

وكان بطرس، بعد رئاسة الكنيسة الأنطاكية سبع سنين (٤٤ ــ ٥٢)، قد غادرها إلى رومة، ماراً بكنائس بولس، خصوصاً بكورنثس. فلم يجتمع ببولس. فرأس بولس مكانه كنيسة أنطاكية مدة شتاء العام ٥٣.

وفي ربيع العام ٥٣ حزم أمره على إتمام وعده لأهل أفسس (١٨: ٢١).

١ ــ في الطريق إلى أفسس، عام ٥٣

« فخرج وطاف في غلاطية وفريجية بالتعاقب، وهو يشدّد التلاميذ جميعاً » (أع ١٨: ٢٣). « واتفق، إذ كان أبولّس في كورنثس، أن بولس جاز في **النواحي العالية**، وبلغ أفسس » (١٩: ١).

هذا الموجز يدل على أن لوقا لم يشأ أن يفصّل رسالة بولس في رحلته إلى أفسس. لكن اجتياز بولس « في النواحي العالية » يشير إلى ما تفصله الرسالة إلى الغلاطيين (٤: ١٣ ــ ١٤).

فما هي تلك « النواحي العالية »؟ ما بين منطقة غلاطية الجنوبية ومنطقة فريجية، النواحي العالية هي جغرافياً غلاطية الشمالية. فيكون بولس قد أسس المسيحية فيها أثناء رحلته إلى أفسس عام ٥٣. يؤيد ذلك قوله: « إني أتعجّب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذي دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل

آخر » (غلا ١: ٦). فهذا القول لا ينطبق على غلاطية الجنوبية التي بشرها في رحلته الأولى قبل سبع سنوات. فهو يقصد غلاطية الشمالية التي أسس كنيستها في بدء رحلته الثالثة عام ٥٣. وكان تأسيس المسيحية فيها بسبب **مرض عرض له فيها فأقعده عن المسير**. فاعتنى به الغلاطيون اعتناءً عظيماً كريماً رحيماً، يعتز به بولس في رسالته (غلا ٤: ١٣ ــ ١٤). كان مرض الحمى، لا مرض العمى الذي استنتجوه من استعارة. فاعتبر نفسه مصلوباً مع المسيح، وركز دعوته فيما بينهم على المسيح المصلوب، فوصفه لهم وصفاً حياً: « أمام عيونكم قد رسم يسوع المسيح بينكم مصلوباً » (غلا ٣: ١ ــ ٥).

فيكون بولس قد قضى الصيف في غلاطية. ووصل في الشتاء إلى أفسس.

٢ ــ بولس في أفسس، مدة ثلاث سنوات

قضى بولس في أفسس ثلاث سنوات كاملة. وهي أكبر مدة قضاها في مدينة، أثناء رسالاته. فإن أفسس كانت عاصمة ولاية « آسيا الرومانية »؛ وملتقى الحضارة الشرقية والغربية، ومرفأ تجارة واسعة. لذلك كانوا يسمونها « نور آسيا »، لأن أهل « آسيا » ينهلون منها العلم والدين.

وكانت ألهتها أرتميس العظيمة، في هيكل فخم قائم منذ القرن السادس. وأرتميس هي عشتار الأشورية، أو عشتروت الفينيقية، أو فنوس الرومانية.

أقام بولس، في أفسس، مع رفيقيه أكيلا وبرسكلاً، صانعي الخيام، كما فعل في كورنثس، يعمل ليعيش، وهو يبشر بالمسيح.

وأول عمل له كان إتمام هداية تلاميذ أبولس الاثني عشر، الباقين على معمودية يوحنا المعمدان، وذلك بتعليمهم عقيدة الروح القدس والعماد المسيحي (١٩: ١ ــ ٧).

ثم عكف، كل سبت، على الجامع اليهودي، يدعو للمسيح « مدة ثلاثة أشهر » (١٩: ٨ ــ ٩). فانتهت دعوة اليهود بالفشل. فاعتزلهم مع التلاميذ.

وفي عام ٥٣، بعد أن غادر بولس غلاطية الشمالية، أعقبه بعض النصارى من بني إسرائيل، وحوّلوا أولئك الغلاطيين « إلى إنجيل آخر » (غلا ١: ٦ ــ ٧) أي نقلوهم من المسيحية إلى النصرانية التي تقيم الإنجيل والتوراة، والعماد والختان. ووصل الخبر الخطير إلى بولس في أفسس، في مطلع العام ٥٤. فكتب **رسالته الدفاعية النارية إلى الغلاطيين**، لبيان صحة رسالته، وصحة إنجيله، من رؤية المسيح نفسه، وباعتراف زعيم الرسل وزعيم آل البيت، ثم باعتراف المجمع الرسولي كله. ثم شرح لهم **فضل الإنجيل على الشريعة**. فكانت الرسالة آية في البيان والدفاع في تحرير المسيحية من الموسوية.

ثم ابتكرت عبقرية بولس طريقة فضلى لنشر المسيحية في آسيا الرومانية من أفسس: « كان كل يوم يعلّم في **مدرسة رجل اسم تيرنّس. ودام ذلك مدة سنتين**. حتى أن جميع سكان آسيا، من يهود وهلّينيين، قد سمعوا كلمة الرب » (أع ١٩: ٩ ــ ١٠).

يبدأ بولس نهاره بالصلاة والعمل اليدوي. ثم يزاول التدريس من الحادية عشرة حتى السادسة عشرة. ويعود إلى العمل اليدوي حتى الليل (تس ٢: ٩؛ ٢ تس ٣: ٨).

تلك هي صورة بولس **معلم الكلام المسيحي** في كلية تيرنس. وقد ردّدت آسيا الرومانية صدى ذلك التعليم الحكيم. وإلى إعجاز الكلمة، جمع بولس المعجزة، فأذعنت العقول والقلوب للإنجيل. « فكان الله يجري على يدي بولس معجزات، حتى انهم كانوا يأخذون إلى المرضى مناديل ومآزر لامست جسمه فتفارقهم الأمراض، وتخرج الأرواح الشريرة منهم » (١٩: ٩ ــ ١٢).

فقلبت الدعوة المسيحية أخلاق المدينة الفاسدة (١٩: ١٨ ــ ٢٠).

وهنا تأتي الشهادة الأولى **بمزاولة المسيحيين سر التوبة والاعتراف**: « وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون ويعترفون بأعمالهم ويخبرون بها » (١٩: ١٨).

ومدة تلك السنتين من التدريس، تمّ **تأسيس كنائس** سميرنه وبرغامة

وثياتيرة وسرذيس وفلدلفيا وكولوسي واللاذقية وهيرابوليس، بواسطة تلاميذ بولس ومبعوثيه (كول ٤: ١٢ ـ ١٣).

وفيما بولس يدرّس المسيحية بكلية تيرنس، كانت تتوارد عليه أنباء المشاكل من فيليبي ومن كورنثس، بعد غلاطية. فإذا به وسط جهاد طويل عريض بين الشرق والشمال والغرب.

فبعد بلبلة كنيسة غلاطية، انتقل النصارى من بني إسرائيل، أولئك « الأخوة الكذبة » من جماعة يعقوب، إلى فيليبي وأحدثوا فيها بلبالاً عظيماً حطمه بولس بحملة عنيفة عليهم، في مكتوب أدرجوه في الرسالة على الفيلبيين (٣: ١ ـ ٤ مع ٤: ٨ ـ ٩). فلغة الهجاء إلى المعارضين في الرسالتين إلى الغلاطيين وإلى الفيلبيين واحدة ومرّة.

وقبل فصح العام ٥٥ كان البلبال في كورنثس قد بلغ أشده، من مصادر ثلاثة أولاً من الحكماء المشركين في كورنثس الذين يفضلون الحكمة اليونانية على حكمة الإنجيل. ثانياً من بعض النصارى من بني إسرائيل الذين اغتنموا مرور بطرس في كورنثس فألفوا جماعة باسمه يطعنون في صحة رسالة بولس وفي صحة إنجيله. أخيراً من المنافسة التي قامت بين جماعة أبولّس الذي خلب المثقفين ببلاغته، وجماعة بولس من سواد الشعب فذرّ التحزّب قرنه في كنيسة كورنثس.

فجاءَه منها وفد من جماعته يحمل إليه أخبار الكنيسة الكورنثية المبلبلة، أرسلتهم السيدة خلوئي؛ وبلغته رسالة يستفتون فيها بولس في بعض المسائل فأجابهم برسالة أولى (١ كو ٥: ٩) لم يحفظوا منها إلاّ الجواب على الاستفتاءات وربما سلم أيضاً المقطع المقحم في (٢ كو ٦: ١٤ ـ ٧: ١). وسقط منها ما لا يشرف أهل كورنثس، إن صحّ ذلك.

وظل البلبال والانقسام على حدته سنة أخرى. ونحو فصح العام ٥٦ أرسل إليهم رسالة أخرى، هي القسم الأول من « الرسالة الأولى إلى الكورنثيين »؛ وفيها يخبرهم بزيارة قريبة على كورنثس (١ كو ٤: ٢١). لكنه، في الوقت الحاضر باق في أفسس إلى العنصرة (١ كو ١٥: ٨).

فالرسالة الأولى إلى الكورنثيين من ثلاث رسائل تشكل فيها ثلاثة أقسام: يحمل بولس حملة صادقة على التحزب في الكنيسة باسم الرسل وكلهم خدام المسيح؛ ويظهر فضل حكمة الإنجيل على حكمة العالم؛ ثم يجيب على استفتاءاتهم؛ ويختم بفصل كأنه مكتوب مستقل في « إنجيل القيامة ». **فالرسالة كلها مفاضلة بين الإنجيل والحكمة.**

وما بين الفصح والعنصرة، عام ٥٧، قامت على بولس **ثورة الصاغة في أفسس،** باسم أرتميس وتماثيلها الذهبية، بزعامة أحدهم ديمتريوس. لكنها فشلت (أع ١٩: ٢٣ ــ ٤٠). **فهل أوقف بولس وسجن في أفسس؟**

هذا ما يقول به بعضهم. ويجعلون الرسالة إلى الفليبيين من سجنه بأفسس لكن فاتهم أن الرسالة إلى الفليبيين كغيرها ليست وحدة فنية وموضوعية، بل مجموعة رسائل، كالرسالتين إلى الكورنثيين.

أجل إن بولس يذكر **صراعه في أفسس** « **ضد الوحوش** » (١ كو ١٥: ٣٢). لكنه تعبير مجازي مألوف قد يعني « خطر الموت[1] » والذي أحدق به من خصومه، كما يذكر في الرسالة الثانية (٢ كو ١: ٨). ولوقا لا يذكر بين تلكما الإشارتين من بولس، **إلاّ ثورة الصاغة** في أفسس على بولس، فأجبرته على مغادرة أفسس. لا شك أن بولس بالكنايتين يشير إلى ثورة الصاغة وعنف أخطارها التي كادت تودي بحياته (أع ١٩: ٢٣).

فليس من أسر في أفسس؛ بل ثورة عنيفة؛ فبولس عند ما يعدّد ألقابه وأنواع جهاده في سبيل المسيح، لا يذكر أسراً في أفسس؛ وحين يُؤسر في فلسطين ثم في رومة، فإنه يعلن ذلك بصراحة ويفخر به (فيل ١: ٧ و١٧ و١٣؛ كول ٤: ٣؛ أفسس ٣: ١؛ ٤: ١؛ فيلمون ٩). لذلك فالأسر الذي يذكره في الرسالة إلى الفيليبيين هو الأسر الروماني الأول. ولو جرى له أسر في أفسس، بسبب اليهود، لكان رفع دعواه إلى قيصر، كما فعل في قيصرية، لئلا يذهب ضحية مؤامرات اليهود.

---

(١) هذا معنى « الصراع ضد الوحوش » عند فيلون أيضاً (حياة موسى ١: ٤٣).

« وبعد أن سكن البلبال (في أفسس) دعا بولس التلاميذ ووعظهم. ثم ودّعهم. **ومضى شاخصاً إلى مقدونية**. وفي مروره بتلك النواحي وعظهم كثيراً. ثم انتهى إلى اغريقيا، فقضى فيها ثلاثة أشهر » (أع ٢٠: ١ ــ ٣). تلك زيارة بولس الثالثة لكورنثس. إن لوقا يمر مرور الكرام على مشاكل كورنثس، وعلى **زيارة بولس الثانية الفاشلة لها** التي وصفها « الزيارة في الدموع ». هذا ما سنراه في الرسالة الكورنثية الثانية.

فكانت إقامة بولس في أفسس نحو ثلاث سنوات، من شتاء ٥٤ إلى مطلع ٥٧؛ منها سنتان يدرس الفلسفة المسيحية في كلية تيرنس، لجميع الوافدين للعلم من آسيا الرومانية كلها. وتلك المدة كانت أكبر فترة أقامها في مدينة، أثناء رحلاته الرسولية. ففي أفسس ظهر بولس للملإ **معلم المسيحية الأول** سواء بدعوته، أم بتدريس الكلام المسيحي في المدرسة، أم برسائله شرقاً وشمالاً وغرباً. ففي أفسس، « نور آسيا »، ظهر بولس نور المسيحية، بعد المسيح.

●

٣ ــ بولس ما بين مقدونية وكورنثس، في صيف العام ٥٧

رحل بولس من أفسس، بعد الفصح عام ٥٧، وبعد ثورة الصاغة عليه (أع ٢٠: ١) إلى مقدونية. فمر بها سريعاً لكي يصل عاجلاً إلى كورنثس، كما وعدهم (١ كو ٤: ٢١).

فكانت **الزيارة الثانية لكورنثس** التي لم يذكرها لوقا لمرارتها. فبولس لم يفلح بتوحيد أحزابها، ولا بتوطيد هيبة سلطانه. ويظهر أن بعضهم قاوم بولس أمام الكنيسة جهراً، واتهمه بالتسلط (٢ كو ٢: ٥؛ ٧: ١٢): **فمَن أهان بولس؟** وهل أهين بولس أم مبعوثه؟

رأى الأقدمون، كالفم الذهبي، أن الفاسق الذي يذكر في (١ كو ٥) هو الذي أهان بولس. لكن « زيارة الدموع » كانت بعد الأولى إلى الكورنثيين. وفشل أحد مبعوثيه، ما كان ليثيره حتى يلجأ إلى الدفاع عن رسالته وشخصيته. نرى بالحري أن رسل النصارى من بني إسرائيل،

أخصام بولس حتى الثمالة، الذين تستروا باسم كيفا الذي مرّ بكورنثس وهو في طريقه إلى رومة، ليقسموا المسيحيين فيها، **ويختصوا لهم حزباً نصرانياً باسم كيفا**، هم الذين أهانوا بولس نفسه وطعنوا برسوليته وإنجيله وأخلاقه، كما نرى في (٢ كو ١٠ ــ ١٢). وقد تولى أحد رسل النصارى كِبر الإهانة، فهي ليست من تلاميذه المسيحيين والإشارة صريحة: « فإنه إنْ كان الآتي يدعو بيسوع آخر لم ندع به! أو أخذوتم روحاً آخر لم تأخذوه! أو إنجيلاً آخر لم يبلغكم! فحسناً كنتم تحتملون. لأني أحسب أني لم أنقص شيئاً عن **أولئك الرسل الأكابر** »! (٢ كو ١١: ٥).

رأى بولس أن إقامته الثانية في كورنثس تزيد البلبال، فغادرها على عجل، وفي « غم شديد » (٢ كو ٢: ١) إلى مكدونية. وأقام فيها ستة أشهر الصيف والخريف عام ٥٧، يتردّد على كنائس مكدونية « يعظهم بكلام كثير » (أع ٢٠: ٢).

ومن مكدونية أوفد إليهم، في هذه الأزمة الخانقة، تيطس مع رسالة « ملأى بالدموع » (٢ كو ٢: ٤؛ ٧: ٨)، وفيها **دفاع عنيف** بليغ عن بولس، وتنديد شديد بهم (٢ كو ٧: ٨). فنجح تيطس، حيث أخفق تيموتاوس الذي كان أوفده من أفسس (١ كو ١٦: ١٠)؛ ونجحت الرسالة العنيفة بكسر المعارضة. وهذه الرسالة نراها في (٢ كو ١٠ ــ ١٣).

وعاد إليه تيطس يحمل إليه دلائل ندمهم (٢ كو ٧: ٢ ــ ١٢) وكيف قبلوه بخوف ورعدة وطاعة شاملة (٧: ١٥). فكتب إليهم رسالة أخرى، هي **الدفاع اللطيف** ورسالة المصالحة (٢ كو ١ ــ ٧)، وبعثها مع وفد كبير من تيطس ولوقا وتيموتاوس (٢ كو ٨: ١٦ ــ ٢٤) يثني عليه كثيراً، لكي يهيئوا زيارته الثالثة (٢ كو ١١: ١) ويشرفوا على جمع التبرعات لفقراء أورشليم المضطهدين.

وفي مطلع الشتاء عام ٥٧ كانت زيارة بولس الثالثة لكورنثس، وقد

انتصر على الفتنة، وتخلص مع كنيسة كورنثس من « الأخوة الكذبة » الذين بلبلوها.

وتلك الأحداث أغفلها لوقا لمرارتها. لكن بولس في الرسالة الثانيــة إلــى الكــورنثيين يشير إليها. وقد وهم بعضهم أن بعض رسائل بولس قد فقدت. ونحن نرى أن أحباء بولس مــا كانوا ليضيعوا رسالة أو مكتوباً من معلمهم الحبيب مهما أغلظ لهــم. لــذلك نــرى « رســالة الدموع » أي الدفاع العنيف (٢ كو ١٠ ــ ١٣)، ورسالة المصالحة أي الدفاع اللطيف في (٢ كو ١ ــ ٧)؛ وما بينهما مكتوبين، الأول إلى أهل كورنثس (٢ كو ٨)، والثاني إلى أهل أخائية كلها (٢ كو ٩)، لجمع التبرعات. واختلاف المخاطبين في المكتوبين يفسر ظــواهر الخــلاف الذي بينهما. كما أن الاختلاف الشديد بين الدفاع العنيف والدفاع اللطيف يجعلهمــا رســالتين. وعند نشر تراث بولس جمعوا الرسالتين وما بينهما المكتوبين في رسالة واحدة هي « الرسالة الثانية إلى الكورنثيين ».

٤ ــ بولس بكورنثس، في شتاء ٥٧ ــ ٥٨

لما استتبّ الأمر لبولس في كورنثس رحل إليها في مطلع شتاء عام ٥٧. وأتــم لهــم وعده بزيارة مودة (٢ كو ١٣: ١) تغسل ما مضى. فأقام على الرحب والسعة.

وهذه هي الزيارة التي يذكرها لوقا ــ من دون الثانية الفاشلة. يقول: « ثم انتهى إلــى اغريقية، حيث أقام ثلاثة أشهر » (أع ٢٠: ٣). ولوقا حيث يذكر اغريقية، « هــلاّس » بــدل كورنثس على التخصيص، يشير من طرف خفي إلى أن زيــارة بــولس لــم تقتصــر علــى كورنثس، بل شملت أخائية كلها، لتوطيد المسيحية فيها، وربما لجمع التبرعات منهــا لفقــراء أورشليم.

وجلس بولس في مطلع العام ٥٨ يفكر بنقل الرسالة المسيحية إلى عالم أوسع تشع منه في « المسكونة » كلها. فقد تمّ له تأسيس المسيحية في الأناضول ومكدونية واليونــان، بمــدة عشر سنوات ونيف (٤٦ ــ ٥٨)، كنائس قائمة تتحدى الوثنية واليهودية. فصــمم علــى نقــل الدعوة إلى قلب العالم

الرومـــاني، إلى رومة نفســها، عاصمة « المسكونة »، الحـــاكمة فيها، لكي يصل منها إلـــى « أطراف المسكونة » أي إلى إسبانيا (رو ١٥: ٢٤ ــ ٢٨).

فكتب من كورنثس، في شتاء العام ٥٨، **الرسالة الكبرى الجامعة إلـــى الرومـــانيين،** يمهّد بها زيارته إلى سيدة الكنائس (رو ١: ١١ ــ ١٥)؛ ولتلافي الخلاف الناشب فيهـــا بـــين النصارى من بني إسرائيل والمسيحيين من الرومانيين. وربما قـــد ســـبق الرســـالة أو لحقهـــا مكتوب جميل في مصير إسرائيل من المسيحية (رو ٩ ــ ١١) فأقحموه عليها عند نشرها.

فالرسالة الرومانية موجز « إنجيل بولس » (رو ٢: ١٦). فهـــي الرســـالة العقائديـــة الكبرى، ذروة تجارب بولس الروحية الرسولية، بعد إحدى وعشرين سنة من هدايتـــه (عـــام ٣٤)؛ وبعد نحو أربع عشرة سنة من بعثته الرسمية للرسالة والدعوة (عام ٤٦). فهـــي تضـــع **الختم الكبير** على رسالته ودعوته، فيمـــا يسميه « إنجيلـــي »: إن الخـــلاص هـــو بالإيمـــان بالإنجيل، لا بالشريعة الموسوية، ولا بالحكمة اليونانية والهلنستية. هكذا تحدّى بولس « بحكمة الإنجيل » أهل الكتاب والأمميين في أرقى تراثهم.

●

إن الدعوة الإنجيلية قد صادفت في فتح العالم الهلنستي، أرقى شعوب العـــالم القـــديم، مشكلة أهل الكتاب والشريعة الموسوية، ومشكلة « الأميين » والحكمة الهلنســـتية. فمـــا هـــو موقف الإنجيل من تلك الحكمة وتلك الشريعة؟ في الجواب على تلكما المشكلتين نـــرى ميـــزة الإنجيل على الشريعة وعلى الحكمة.

لبيان **فضل الإنجيل على الشريعة** أجاب بولس برســـالته الدفاعيـــة إلـــى الغلاطيـــين، وبرسالته العقائدية إلى الرومانيين.

ولبيان **فضل الإنجيل على الحكمة** أجاب بولس برسالته الأولـــى العقائديـــة وبرســـالته الثانية الدفاعية إلى الكورنثيين.

فالخلاص بالإنجيل، لا بالشريعة!

الخلاص بالإنجيل، لا بالحكمة!

ففي تلك الرسائل الأربع الكبرى « **إنجيل** » **بولس الكلامي**.

●

٥ ــ رحلة بولس بتبرعات اليونان إلى أورشليم، عام ٥٨

في نهاية « الأشهر الثلاثة » (أع ٢٠: ٣) من شتاء ٥٧ ــ ٥٨ رأى بولس أن الوقت قد حان ليباشر **مرحلة جديدة** من رسالته ودعوته، في رومة وفي أسبانيا.

لكن، كان عليه قبل ذلك أن يحمل إلى فقراء أورشليم من أهل الكتاب، تبرّعات « الأمميين » (رو ١٥: ٢٥ ــ ٣٧). فقرّر السفر إلى سوريا. وكان ذلك قبل الفصح ٥٨.

« ثم، إذ دبّر له اليهود مكيدة، وهو مزمع أن يُبحر إلى سوريا، جزم أن يرجع على طريق مكدونية » (أع ٢٠: ٣). فأرسل بحراً جميع رفاقه ينتظرونه في ترواس على شاطئ آسيا الصغرى. أما هو فقد صعد مع لوقا إلى مكدونية، حتى فيليبي، حيث قضى فصح العام ٥٨، في كنيسته المحبوبة، مركز الإحسان الأكبر إلى بولس وإلى أهل أورشليم.

« أما نحن فأقلعنا من فيليبي، بعد أيام الفطير، ووافيناهم في خمسة أيام إلى ترواس » (أع ٢٠: ٤ ــ ٦).

لقي بولس صحبه الكرام في الثغر الأسيوي، « حيث قضينا سبعة أيام » (أع ٢٠: ٦). وفي مساء الأحد من اليوم السابع، أقام بولس لوداعهم « ليترجيا الرب » لكسر الخبز، وأكل « عشاء الرب »، وظل يحدثهم إلى منتصف الليل. فغافل النعاس شاباً، فسقط من العلية المزدحمة، فوقع على الأرض ميتاً. فنزل بولس وأحياه! (أع ٢٠ ــ ٧ ــ ١٢).

ومن ترواس، سافر بولس براً، وصحبه الكرام بحراً، إلى أفسس، حيث « أخذناه وجئنا ميتلانة، إلى قبالة خيّوس، شطر سامس، متجاوزين أفسس إلى ميليتس » لئلاّ يعرض له أن يصرف وقتاً في آسيا، ولأنه كان يسرع ليكون في أورشليم في يوم الخمسين أي العنصرة إذا أمكنه

(٢٠: ١٣ ــ ١٦). وقد يوحي تجاوز بولس لأفسس بأن ثورة اليهود عليه لم تهدأ بعد.

وفي ميليتس استدعى بولس كهنة أفسس، « نور آسيا »، وبشخصهم ودّع كنائس ولاية آسيا الوداع الحار، الذي كان يظنه الأخير: « والآن فإني عالم بأنكم لن تشاهدوا وجهي بعد اليوم »! « حينئذٍ بكوا كلهم بكاءً كثيراً، وألقوا بأنفسهم على عنق بولس يقبلونه، مكتئبين على الخصوص لقوله إنكم لن تشاهدوا وجهي بعد اليوم! ثم شيّعوه إلى السفينة » (أع ٢٠: ١٧ ــ ٣٨).

ومن ميليتس ركبوا البحر، وداروا حول قبرص، « وسرنا شطر سوريا، وانتهينا إلى صور... ولما لقينا التلاميذ أقمنا معهم سبعة أيام » (أع ٢١: ١ ــ ٦). ثم سافروا إلى بتولماس (عكا)، وفيها « سلمنا على الأخوة، وأقمنا معهم يوماً واحداً » (أع ٢١: ٧). ثم رحلوا إلى قيصرية فلسطين.

وفي قيصرية نزل بولس وصحبه عند الشماس فيلبس: « وكان له أربع بنات أبكار **يتنبأن** » (أع ٢١: ٨ ــ ١٠)، أي يعلمن التعليم المسيحي بدعوة خاصة ظاهرة من الروح القدس. أليس في بتوليتهن ونبؤتهن نواة الرهبانية الأنثوية المسيحية؟

حينئذ نزل من أورشليم إلى قيصرية أغابس النبي، وحذّر بولس تحذيراً قويّاً من القبض عليه في أورشليم، ومثّل له أسره تمثيلاً رمزيّاً (أع ٢١: ٨ ــ ١٤). مع ذلك « بعد أيام تأهبنا وصعدنا إلى أورشليم » (أع ٢١: ١٥ ــ ١٦).

وفي أورشليم « قبلنا الأخوة بفرح ». واجتمعوا عند يعقوب، زعيم آل البيت، فسلم لهم بولس ومَن معه تبرّعات المسيحيين من « الأمميين ». « ثم قصّ عليهم بالتفصيل ما صنع الله بخدمته بين الأمميين. فلما سمعوا حمدوا الله » (أع ٢١: ١٨ ــ ٢٨).

فيظهر أن يعقوب وآل البيت وجماعتهم من النصارى رضوا عن بولس ورسالته ودعوته وإنجيله. لكن المتسترين منهم باسم يعقوب، والذين يسميهم

بولس « الأخوة الكذبة » لم يكونوا راضين، وبلبلوا كنائس بولس « بغير تفويض » من قيادة أورشليم (أع ١٥: ٢٤).

•

خاتمة البحث: لقد تمت الدعوة في العالم الهلنستي

وهكذا أتم بولس رسالته المجيدة في المشرق كله، كما كتب إلى عاصمة الغرب: « في كل ناحية من أورشليم إلى ايليريكون، قد أتممت الدعوة بإنجيل المسيح... أما الآن، إذ لم يبقَ لي مكان بعد في هذه الأقاليم... فإني أرجو أن أشاهدكم... عند ذهابي إلى إسبانية » (رو ١٥: ١٧ ــ ٢٤).

وبما أن الاتفاق قد تمّ في مجمع أورشليم على أن يختص الأعمدة بطرس ويوحنا ويعقوب بالدعوة لدى أهل الكتاب والختان، وأن يختص بولس (مع برنابا) بالدعوة لدى الأمميين أهل القلف، فإن **الفضل كله أو جله يرجع إلى بولس**، بتأسيس المسيحية في العالم الهلنستي، من أنطاكية، إلى الأناضول، إلى مكدونية، إلى اليونان حتى الإيليريكون، مقابل رومة. فكان بولس بحق، كما يشهد لنفسه « رسول الأمميين » (رو ١١: ١٣)

فكان بولس **قدوة حسنة لكل رسول**، بشخصه وعمله وسلوكه ورسالته ودعوته، فتمكّن من القول: « اقتدوا بي، كما أقتدي أنا بالمسيح »! « ففي ما هو من أمر الخدمة لله، لي الفخر في المسيح يسوع (بما أجرى) المسيح على يدي لطاعة الأمميين، بالقول والفعل، بقوة الإيمان والمعجزات، بقوة الروح القدس » (رو ١٥: ١٧ ــ ١٩). فكان بولس، بطريقة رسالته أيضاً، « رسول الأمميين » (رو ١١: ١٣).

۞ ۞ ۞

بحث خامس

بولس « أسير المسيح » مدة خمس سنوات (٥٨ ــ ٦٣)

توطئة: بولس صورة المسيح في مسيرته إلى الأسر والاستشهاد

إن لوقا، في أعمال الرسل، يصف صعود بولس إلى الأسر المحتوم بأورشليم، كما وصف، في الإنجيل، صعود المسيح للاستشهاد فيها. إن بولس يسير إلى الموت بسكينة ورباطة جأش، ما بين التحذيرات النبوية المتواترة، حتى النبوءة الصريحة « بالقبض عليه في أورشليم، وتسليمه إلى الأمميين » مثل معلمه (أع ٢١: ١١). فروح الرب يحمله حملاً إلى الاستشهاد: « فأجاب بولس: ما بالكم تبكون حتى تكسروا قلبي؟ إني لمستعد؛ لا للقيود فقط، بل للموت أيضاً في أورشليم، من أجل اسم الرب يسوع » (أع ٢١: ١٣).

فقلب بولس قلب المسيح، كما يقول الفم الذهبي. ويظهر كذلك **صورة المسيح** في مسيرته إلى الأسر والاستشهاد!

•

أولاً: القبض على بولس، بهيكل أورشليم، في أسبوع العنصرة عام ٥٨

كانت مناسبته اقتناع بولس، من يعقوب، بممارسة بعض الشعائر الموسوية في الهيكل، أمام أهل أورشليم، « فيعرف الجميع أن ما بلغهم عنك ليس بشيء، بل إنك أنت أيضاً تسلك بحسب الشريعة » (أع ٢١: ٢٠ ــ ٢٥). فرضي. « وفي الغد أخذ بولس الرجال (المنذورين) وتطهّر معهم،

ودخل الهيكل، وبيّن (مع الأحبـــار) أجل أيام التطهير الذي فيه يُقرّب القربان عن كـــل واحـــد منهم » (أع ٢١: ٢٦).

وهنا يعترضنا **سوآل محرج:** دعا بولس مدة رسالته كلهـــا بتحريـــر المســـيحية مـــن الموسوية! وها هو اليوم ينقاد إلى ممارسة ما أعلن نسخه بالإنجيل: فهل كـــان ســـلوكه غيـــر عقيدته؟ وهل وقع في ما لام بطرس عليه؟

إن مجمع الرسل حرّر المسيحيين من أحكام الشريعة، وتـــرك النصـــارى مـــن بنـــي إسرائيل أحراراً في إقامة الإنجيل والتوراة معاً. فلا ضير علـــى بـــولس كيهـــودي أن يقـــوم بممارسة أحكام توراتية مع بعض النصارى المنذورين، طالما لا مجال لتشكيك المسيحيين: فلا تعارض بين عقيدته وسلوكه؛ ولم يقع في ما لام بطرس عليه، لأن سلوك بطـــرس كـــان مـــع المسيحيين الذين حررهم المجمع الرسولي من أحكام التوراة؛ وســـلوك بـــولس مـــع بعـــض النصارى من بني إسرائيل الذين تركهم المجمع الرسولي علـــى عـــادتهم يقيمـــون الإنجيـــل والتوراة. لذلك كان ردّه للذين شنّعوا عليه في مناسبة مماثلة: « صرت لليهود كـــأني يهـــودي لأربح اليهود... وللذين بلا شريعة كأني بلا شريعة، مع أني تحت شريعة المسيح، لأربح الذين بلا شريعة... وأنا أصنع هذا كله لأجل الإنجيل، ليكون لي فيه نصـــيب » (٢ كـــو ٩: ١٩ ـــ ٢٣). فحيث لا تعارض بين العقيدة والسلوك ـــ كما في تلك الحادثة ـــ فلا حرج من مراعـــاة المصلحة العامة، والمحبة الأخوية.

١ ـــ توقيف بولس في هيكل أورشليم

تطهّر بولس مع النصارى المنذورين ودخل الهيكل ليبين مع أحبار الخدمة أجل أيـــام التطهير. فرآه يهود من آسيا الرومانية في الهيكل. فهيجوا الشعب كله، وألقوا القـــبض عليـــه، وهم يصيحون: « يا آل إسرائيل، الغوث، الغوث! هذا هو الرجل الذي يعلّم الجميع، فـــي كـــل مكان، ما يخالف الأمة والشريعة وهذا المقام! لقد أدخل أيضاً هلّينيين إلى الهيكل ودنّـــس هـــذا المقام المقدس! ـــ (وهذا افتراء محض)... فهاجت المدينة كلها، وتبادر الشعب من كل ناحيـــة! وقبضوا على بولس. وجرّوه إلى خارج الهيكل.

وأغلقت الأبواب للحال » (أع ٢١: ٢٧ ــ ٣٠). وحاولوا اغتيال بولس في ثورة شعبية دينية، لا مجال فيها للسلطان الروماني. لكن قائد الحامية الرومانية في قلعة « انطونيا » بزاوية الهيكل لمراقبة الحركة فيه، أنقذ بولس؛ وظن أنه المصري الذي أثار فتنة منذ أيام » (أع ٢١: ٣١ ــ ٤٠). فبدّد بولس أوهامه، واستسلم له.

٢ ــ دفاع بولس الأول أمام الشعب في أورشليم

فلما بلغ درج الثكنة العسكرية، استأذن بولس قائد الحامية في مخاطبة الشعب. فأذن له. فخاطبهم بالأرامية، لغة العبرانيين القومية في ذلك العهد، فسمعوا له بهدوء. قال: أنا إسرائيلي تقي، وقد اضطهدت ذلك « الصراط ». لكني اهتديت برؤية يسوع الذي اضطهده. وقد أكّد لي رجل التقوى بدمشق، حنانيا، أن الله اختارني « لأعاين البار » وأكون « شاهداً له في العالمين ». ولمّا حضرت بعد هدايتي إلى أورشليم، حدث لي انجذاب ورأيت الرب يقول لي: اخرج عاجلاً من أورشليم فإني سأرسلك إلى بعيد، إلى الأمميين (أع ٢٢: ١ ــ ٢). فما سمعوا تلك الكلمة حتى صرخوا جميعهم: « ارفع عن الأرض هذا، فإنه ليس بخليق أن يحيا ». فخطفه الجند من أمامهم وأدخلوه الثكنة. وما أنقذ بولس نفسه من الجلد والبطش به، إلاّ بإعلان رعويته الرومانية (أع ٢٢: ٢٢ ــ ٢٩).

٣ ــ دفاع بولس الثاني أمام السنهدرين في أورشليم

وفي الغد، قابل قائد الحامية بولس بالسنهدرين، ليعرف شكواهم عليه، ويرفع بذلك تقريراً إلى الوالي. فدافع بولس عن نفسه بخطاب بليغ قسم المجلس اليهودي الأعلى إلى فريقين. وقد أوجزه لوقا بهاتيْن العبارتيْن: « أيها الأخوة، لقد تصرفت حتى اليوم أمام الله بكل نية صالحة... أيها الرجال الأخوة، أنا فريسي، ابن فريسي، وعلى رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم »! فانشق السنهدرين ما بين الفريسيين والصدوقيين. ونجا بولس (أع ٢٧: ١ ــ ٩).

« وفي الليلة التالية وقف به الرب وقال: ثق يا بولس، لأنك كما شهدت لي في أورشليم، هكذا ينبغي أن تشهد في رومة أيضاً » (٢٣: ١٠ ـ ١١) فاطمئن بولس إلى مصيره.

فكتب القائد تقريراً جميلاً بحق بولس « بأنه لم تكن لهم عليه شكوى تستحق الموت أو القيود »! حينئذ أقسم فريق من الغيورين على اغتيال بولس فكشف المؤامرة ابن أخت بولس. فسيّره قائد الحامية مخفوراً إلى قيصرية، إلى الوالي الروماني فيلكس (٢٣: ١٢ ـ ٣٥).

●

ثانياً: بولس « أسير المسيح » سنتين في قيصرية (٥٨ ـ ٦٠)

في قيصرية فلسطين، أمر الوالي فيلكس « أن يحرس بولس في قصر هيرود » (٢٣: ٣٥). ووعد أن يقابله مع السنهدرين.

١ ـ دفاع بولس الثالث أمام الوالي فيلكس ووفد السنهدرين

« وبعد خمسة أيام انحدر حنانيا، الحبر الأعظم، مع بعض الشيوخ من السنهدرين، وبرفقتهم المحامي ترتلّس ». فأحضر الوالي بولس للتحقيق معه بحضورهم.

فانبرى ترتلّس بخطاب كلاسيكي اتهم فيه بولس بإثارة الشغب بأورشليم، وتزعم « **شيعة النصارى** » المناقضة للشريعة، وتدنيس الهيكل حيث قُبض عليه بالجرم المشهود.

فردّ عليه بولس بخطاب أبلغ: إنه ليس بمثير فتن، فلم يتصل بأحد، ولا رآه أحد. إنما هم يشكونه في عقيدته الدينية. فهو على الصراط المكتوب في التوراة والنبيين، وإن كان على « شيعة النصارى » كما يقولون. وقد حضر إلى أورشليم يحمل تبرعات إلى الأمة، لا لأجل الفتنة وتدنيس الهيكل. وعند مثوله في أورشليم أمام السنهدرين بكامله، لم يثبتوا عليه شيئاً، كما تحقق ذلك قائد حامية أورشليم.

ففشل الوفد في محاولته. لكن فيلكس ثابر على توقيف بولس « في الأسر الحر » **مدة سنتين**، على أمل ابتزاز المال منه (أع ٢٤: ٢٤ ــ ٢٧).

٢ ــ دفاع بولس الرابع أمام الوالي الجديد فستس

خلف فيلكسَ فَسْتُسُ والياً على اليهودية عام (٥٩ ــ ٦٢).

ومنذ توليه أحضر بولس ليتحقق في أمره. فأبان له بولس « أنه ما أجرم قــط تجــاه الشريعة، ولا تجاه الهيكل، ولا تجاه قيصر » (أع ٢٥: ٨)، فليس عليه من ذنــب دينـــي ولا سياسي. أما وفد السنهدرين فقد طلب محاكمة بولس في أورشليم، أمام السنهدرين.

لكن بولس، لمّا رأى ميلاً لمسايرة السنهدرين، وانزلاقه من حيث لا يدري في المكيــدة المدبرة لاغتياله على الطريق، على الطريق، رفع دعواه إلى قيصر، بصفة كونه من الرعويــة الرومانية، التي تمنح كل « روماني » حق اللجوء إلى قيصر (أع ٢٥: ١ ــ ١٢). فكان له ما أراد، وفوّت على اليهود فرص الانتقام منه.

٣ ــ دفاع بولس الرابع أمام الوالي فستس والملك اغريبا الثاني

حضر أغريبا وبرنيكا للسلام على فستس. فأخبره فستس بقصــة بــولس، فأحــب أن يسمعه. وفي خطبة بليغة عرض عليه بولس قضيته، وكأنه في عرضه يريد أن يهدي الملــك إلى المسيحية.

قال: إنه يحاكم لأجل رجاء إسرائيل (أي المسيح)، وبسبب قوله بالقيامة. مع أن سيرته كلها كمضطهد **لذاك الصراط** تشهد له بالاستقامة. وهدايته المعجزة جعلته شاهداً ليسوع الــذي كان يضطهده. فدعوته في أورشليم واليهودية، وبين الأمميين، كانت للتوبة وللإيمــان بيســوع أنه المسيح الذي استشهد وقام حيّاً.

وبلغت البلاغة حد الإعجاز في خطاب بولس فصاح الوالي: « يا بولس إنــك تهــذي. الكتب الكثيرة تجّرك إلى الهذيان »! (أع ٢٥: ٢٤).

وهذه شهادة ثمينة على الثقافة العالية التي يراها والٍ روماني في بولس. وقال الملك: « لقد كدت تقنعني أن أصير مسيحيّاً »! (٢٦: ٢٩). وأجمع الوالي والملك والمجلس أنه لولا رفع بولس دعواه إلى قيصر، كان بالإمكان إطلاق سبيله. فقد دافع بولس عن نفسه الدفاع المعجز الذي انتزع الشهادة ببراءته (٢٦: ٣٠ ـ ٣٣).

أخيراً تقرر تنفيذ إرادة بولس برفع دعواه إلى قيصر.

فكانت إقامة بولس أسيراً **مدة سنتين** بقيصرية، من صيف ٥٨ إلى خريف ٦٠ مناسبة ربانية للشهادة للمسيح أمام السنهدرين، والملوك والولاة. فسمع المسؤولون من أهل الكتاب في المدينة المقدسة الشهادة للمسيح، قبل أن يُترك لهم بيتهم خرباً. فيا لحكمة الله في مصير أوليائه!

•

ثالثاً: الرحلة الخطرة بحراً إلى رومة، في شتاء العام ٦٠ ـ ٦١

في خريف العام ٦٠ أبحر بولس مع لوقا طبيبه وأرسترخوس المقدوني خادمه. وفي صيدا سمح قائد المئة لبولس بأن يزور التلاميذ « ليحصل على عناية منهم ».

ثم أقلعوا شمالاً نحو شاطئ الأناضول، وفي ميراليكية استبدلوا مركبهم بسفينة اسكندرية، ومروا تحت كريت، قاصدين مالطة. وما بين الجزيرتين وقعوا في خطر شديد كاد يودي بهم جميعاً. حينئذ وقف بولس بهم يتنبأ لهم بالخلاص. وبعد أربع عشرة ليلة من التيه في اليمّ، ومن الصوم، في خطر الموت، وقف بهم بولس من جديد يؤكّد لهم أنه « لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم ». فأكلوا ثم طرحوا كل شيء في البحر. أخيراً رموا بالسفينة فنشب رأسها في أرض جزيرة، وتحطم مؤخرها، فنجوا سابحين إلى البر. وكانت الجزيرة مالطة (ف ٢٧). فقد كان بولس سبب خلاص المسافرين برأيه السديد، بعد رؤيا وصلاة. يبلغ لوقا في قصة هذه الرحلة البحرية **قمة الفن القصصي** ببيانه السهل الممتنع.

وفي **جزيرة مالطة** يبدأ فصل جديد من المغامرة. قضوا فيها شتاء العـام ٦١ فكانـت دعـوة بولس فيها للمسيح ناجحة بالكلمة والمعجزة (ف ٢٨). وفي أول الربيـع أقلعـوا إلـى رومة.

•

رابعاً: بولس « أسير المسيح » في رومة مدة سنتين

أخيراً وصل بولس إلى رومة، فاستقبله التلاميذ استقبالاً حاراً.

وأقام بولس برومة « **سنتين كاملتين** »، من ربيع ٦١ إلى ربيـع ٦٣، « فـي بيـت استأجره »، وفي « **أسر حر** » كما كانوا يقولون (أع ٢٨: ١٦) أو تحت الإقامة الجبرية، كمـا تقول. فكان الأسير يُربط من قدمه بيد الجندي الذي يحرسه نهاراً، ويوثق كذلك بجنـديّين فـي الليل؛ مع حرية استقبال الزائرين، وحرية التنقل هكذا مخفوراً.

على تلك الحالة أخذ بولس أولاً **بمفاوضة يهود رومة**، على عادته في رسالاته كلهـا. فكانت جلسة أولى (أع ٢٨: ١٦ ــ ٢٢) وجلسة ثانيـة (٢٨: ٢٣ ــ ٢٤)، فـي محـاولات عقيمة، ختمها بولس بالتصريح لهم: « إن خلاص الله قد أرسل إلى الأمميين، فهـم يقبلونـه » (٢٨: ٢٨).

حينئذٍ، في إقامته الجبرية، « مدة سنتين »، « أخذ يستقبل جميـع الـذين يقصـدونه، مبشّراً بملكوت الله، ومعلماً ما يختص بالرب يسوع المسيح، بكل جرأة وحريـة » (٢٨: ٣ ــ ٣١).

بتلك الكلمة البليغة أوجز لوقا دعوة بولس كلها، في رومة، كما فـي سـائر رسـالاته وكنائسه. **موضوع دعوته** البشرى بملكوت الله، وتعليم سر « الرب يسوع »! وهذا هو مـوجز الإنجيل كله. فإنجيل بولس هو إنجيل المسيح عينه. ويسميه « إنجيلي » لأنه يبرز فيه « حكمة الإنجيل » ثم « سر الإنجيل ».

وطريقة دعوته يصفها لوقا مرافقه ومؤرخه بهاتين الصفتين اللتين تميّزت

بهما رسالته كلها، في كل زمان وكل مكان: « الجرأة والحرية ». وهما عند بولس جناحا العبقرية والبطولة.

وفي فترة هذا الأسر الروماني الأول، كتب بولس **رسائله الصوفية الثلاث،** مع كلمة لطيفة بليغة إلى فيليمون، بمناسبة أزمة الغنوص التي غزت كنائسه في آسيا الرومانية:

الرسالة الراعوية إلى الفيليبيين: سر المسيح في ذاته.

الرسالة الدفاعية إلى الكولوسيين: سر المسيح في الكون.

الرسالة العقائدية الجامعة باسم الأفسسيين: سر المسيح في الكنيسة.

كانت الرسالة إلى الرومانيين موجز الكلام البولسي في الإنجيل؛ وأتت الرسالة الجامعة باسم الأفسسيين موجز الكشف الصوفي في الإنجيل.

فكانت تلك الرسائل الثلاث « **إنجيل** » **بولس الصوفي.**

●

على تلك الصورة المشرقة، لأسر بولس برومة، أنهى لوقا تاريخ نشأة المسيحية، باستيطانها في رومة، عاصمة « المسكونة ». فلا يذكر نتيجة محاكمة بولس أمام منبر قيصر. لكن دلائل الافراج عن بولس بادية في خاتمة كتابه. فكان سفره دفاعاً، من طرف خفي، عن بولس، وبواسطته عن المسيحية في العالم الروماني الهلنستي.

يكفيه أن يرينا انتشار المسيحية المعجز في « المسكونة » كلها، من أورشليم إلى أنطاكية، إلى أفسس، إلى كورنثس، إلى رومة. ويكفيه أن بولس أقام في قلب العالم الروماني الهلنستي يشهد للمسيح، وهو في سلاسل الأسر، وهي صورة أروع بياناً من كل خاتمة. لقد استوطنت المسيحية في « المسكونة »، واستقرت مع بولس في عاصمة الإمبراطورية الضخمة، وقد بدأت تسيطر على أورشليم وأهل الكتاب، وعلى رومة والأمميين.

واستنكاف لوقا عن ذكر جهاد بولس بين الأسرين، وعن ذكر استشهاده

وتوقفه عند أسره قبل اضطهاد نيرون، يدعم الرأي القائل بأن لوقا كتب سفر الأعمال مدة أسر بولس برومة ــ كما دوّن الإنجيل مدة أسره بفلسطين ــ وإن تمّ نشرهما بعد استشهاد الرسول؛ وبعد الحرب السبعينية.

ففي نظر لوقا، هذا هو تاريخ نشأة المسيحية في العالم الهلنستي الروماني، من « المسكونة »، في ظل الشريعة الموسوية، والحكمة اليونانية، والغنوص الشرقية، والجبروت الروماني الوثني. **وتلك النشأة المعجزة برهان إلهية المسيحية**. والفضل الأكبر فيها يعود لبولس.

لقد قضى بولس، منذ هدايته عام ٣٤، أربع عشرة سنة حتى مجمع الرسل بأورشليم الذي اعترف برسالته وإنجيله، عام ٤٩، وهو العام الفاصل في سيرة الرسول والرسالة؛ وأربع عشرة سنة أخرى في الرسالة المستقلة حتى الإفراج عنه من أسره الأول في ربيع العام ٦٣، بصفه كونه « رسول الأمميين ».

۞ ۞ ۞

بحث سادس

الجهاد الأخير والاستشهاد (٦٣ ــ ٦٧)

توطئة: المصادر لمعرفة آخرة بولس

عن سنوات بولس الأخيرة، لا مصدر لنا سوى المعلومات المنشورة **في الرسائل الراعوية** إلى تيموثاوس وتيطس. وإن شك بعضهم في صحة نسبتها بصورتها الحالية لبولس نفسه، فهي على كل حال **من تراث بولس**، الذي حفظه لنا التابعون له بإحسان، الحافظين ذكراه وتراثه بإيمان. لذلك

يصح للكنيسة أن تتلوها باسم بولس. فلا يجوز الشك في **معلوماتها التاريخية** المتواترة في السنّة المسيحية عن آخرة الرسول العظيم.

ولدينا أيضاً **ثلاث وثائق تاريخية:** كتاب قديم منسوب إلى لينوس، البابا الأول بعد بطرس، وعنوانه « استشهاد بطرس وبولس »؛ وهو يقص موت الرسولين، بلا فارق في الزمن، ممّا أشاع القول باستشهادهما معاً في وقت واحد، ممّا يتنافى مع معلومات الرسائل الراعوية. وهناك أيضاً رسالة البابا اكليمنضوس الأول إلى أهل كورنتش نحو العام ٩٥، مدة أسر يوحنا الرسول في جزيرة بطمس؛ وفي الرسالة يشير خليفة بطرس إلى رحلة بولس « **إلى أطراف الغرب** » (٥: ٧) أي إلى اسبانيا في ذلك الزمان، كما وعد بولس نفسه؛ ثم إلى استشهاده « أمام الذين يحكمون » (ف ٦) أي قيصر رومة. لدينا أخيراً الوثيقة التاريخية الشهيرة التي اكتشفها العالم الإيطالي موراتوري، وتسمى لذلك « قانون موراتوري »؛ وفيها يأتي ذكر لوقا، كاتب سفر الأعمال، بأنه لم يدون في السفر « استشهاد بطرس، ولا سفر بولس إلى أسبانيا، لأنه لم يشاهد كلا الحدثين مشاهدة العيان ».

فبمقارنة هذه الوثائق التاريخية بمعلومات الرسائل الراعوية، نقدر أن نستخلص **الخطوط العامة** لجهاد بولس الأخير واستشهاده.

لكن من رسالة اكليمنضوس نشأ **المشكل التاريخي المشهور:** هل استشهد بولس مع بطرس عام ٦٤، بعد حريق رومة في تموز ٦٤، الذي نسبه الطاغية نيرون للمسيحيين؟ أم بعد الإفراج عنه سافر من إيطاليا في ربيع العام ٦٣ إلى أسبانيا فنجا من الموت، واستشهد عام ٦٧؟ كان الرأي السائد أن الاستشهاد جمع الرسولين، كما تذكر رسالة اكليمنضوس، ولذلك تعيّد الكنيسة شرقاً وغرباً لاستشهادهما، في يوم واحد. لكن قد يكون جمع الرسولين في الاستشهاد وفي التعبد لهما معاً **مسألة عقائدية، لا تاريخية.** لذلك يميل المؤرخون اليوم، بحسب المعلومات في الرسائل الرعوية، إلى اعتبار استشهاد بطرس عام ٦٤/ ٦٥ فاتحة الاضطهاد، واستشهاد بولس عام ٦٧ خاتمة الاضطهاد، الذي انتهى بثورة اليهود على رومة عام ٦٦ والحرب

السبعينية التي قضت على المدينة المقدسة والهيكل والدولة والأمة. فوحدة اضطهاد الرسولين أوهمت وحدة الزمن في استشهادهما.

●

أولاً: رحلة بولس إلى اسبانيا (٦٣ ـ ٦٥)

هل ذهب بولس إلى إسبانية؟ هناك خلاف في الرأي ما بين الشك واليقين. نعلم من برنامج بولس قبل أسره الأول أن سفره إلى رومة كان محطة مقصودة على طريقه إلى أسبانية (رو ١: ١١ ـ ١٤؛ ١٥: ٢٢ ـ ٢٤). ونعرف أن بولس لا يرجع عن تصميمه إلاّ بوحي إلهي، ليس لدينا من إشارة إليه. والوثيقتان التاريخيتان، رسالة اكليمنضوس وقانون موراتوري، تشهدان برحلة بولس إلى « أطراف الغرب »، أي إسبانية.

لكن متى ذهب بولس إلى إسبانية؟ أقبل رجوعه إلى الشرق، أم بعد زيارة للشرق أفرج فيه بظهوره عن تلاميذه؟ إن برنامجه كان أن يتابع من رومة رحلته إلى إسبانية (رو ١٥: ١٧ ـ ٢٤)؛ ولا شك أن فعل بعد إطلاق سبيله من الأسر برومة في ربيع ٥٣. ونرى أن بولس ما كان ليفلت من الموت، في اضطهاد نيرون للمسيحيين المتهومين ظلماً وعدواناً بحريق رومة، مع وشايات اليهود، وملاحقة النصارى من بني إسرائيل له، والدسّ عليه لدى السلطات الرومانية، إلاّ برحلته إلى أسبانية، والبقاء فيها، مع الذهاب والإياب، نحو سنتين (ربيع ٦٣ ـ ربيع ٦٥)، في ذروة الاضطهاد الروماني.

لا نعرف شيئاً عن نشاط بولس في إسبانية. وربما أقام فيها على نشاط محدود، إلى أن هدأت عاصفة الاضطهاد. فرجع إلى الشرق يتفقد الكنائس التي فارقها منذ ثماني سنوات (٥٨ ـ ٦٥).

كذلك لا يُستبعد، بما أن الاضطهاد الروماني قد بدأ في آب ٦٤، وكان بولس قد أُفرج عنه في ربيع ٦٣، إن الرسول **قام برحلة أولى سريعة إلى الشرق** في تلك السنة أراهم فيه وجهه؛ ولمّا حلّ الاضطهاد رحل إلى

الغرب، ونفذ مشروعه بالدعوة في إسبانية. لكن الرأي الأول، في نظرنا، أوجه.

●

ثانياً: الجولة الأخيرة لبولس على كنائسه الشرقية، عام ٦٥ ــ ٦٦

في ربيع العام ٦٥ رجع بولس إلى الشرق، في حنين عظيم إلى كنائسه.

وفي طريق عودته، توقف في **جزيرة كريت** التي كانت جسراً بين الحضارة المصرية والحضارة الإغريقية، بمدنها المئة، يملك عليها الكاهن مينوس. فأسس فيها كنيسة على أساس بعض المهتدين إلى المسيحية منذ العنصرة التي نزل فيها الروح القدس على الرسل والكنيسة (أع ٢: ١١). ثم استدعى إليه فيها تيطس، « الابن الحقيقي في الإيمان » ورسمه أسقفاً عليها. ثم تركه فيها مع هذه الوصية كما كتب إليه: « لقد تركتك في كريت لِتكمّل تنظيم كل شيء، وتقيم كهنة في كل مدينة، على حسب ما رسمت لك » (تيطس ١: ٤ ــ ٥).

ومن كريت أبحر بولس إلى أفسس، « نور آسيا » وأم كنائسها. وهناك استعلم عن أحوال الكنائس المشرقية كلها. ورأى أن يترك فيها خليفة له، فرسم تلميذه الحبيب تيموتاوس، « الابن الحقيقي في الإيمان » (١ تيم ١ ــ ٢)، أسقفاً عليها يقوم مقامه في آسيا الرومانية كلها. وترك له هذه الوصية: « لقد طلبت إليك، وأنا منطلق إلى مقدونية، أن تقيم في أفسس » (١ تيم ١ ــ ٣) للسهر على التعليم الصحيح، وعلى تنظيم الكنيسة.

ومن أفسس رحل إلى مقدونية، إلى كنيسته المحبوبة **في فيليبي**، التي ما زالت ترسل إليه الإعانات حتى سجنه في رومة. وفيها أخذ أخبار مقدونية وأخائية والإيليريكون حتى دلماسية.

ومن مقدونية، وربما من فيليبي، كتب **الرسالة الأولى إلى تيموتاوس**، في أفسس. وهي بحث جامع في رعاية الأسقف، خليفة الرسول، كرجل الله، لكنيسته، ليصير فيها أهلاً للكرامة التي رُفع إليها.

ومن مقدونية نزل بولس إلى كورنثس (٢ تيم ٤: ٢٠)، إلى الكنيسة التي أتعبته كثيراً، وما زالت تقلق باله. وربما من كورنثس، في خريف ٦٥، كتب **الرسالة إلى تيطس**، في كريت، وهي دستور موجز « لتنظيم كل شيء » في كنيسة الله (في ١: ٥). وفيها يوعز إلى تيطس: « متى أرسلت إليك أرتماس، أو تيخيكس، بادر في المجيء إلى نكوبولِس، لأني عوّلت أن أشتو هناك » (تي ٣: ١٢).

ونِكوبولس في شمال اليونان على الأدرياتيك، الفاصل بين دلماطية وإيطالية. فقضى بولس فيها شتاء العام ٦٥ ــ ٦٦ كما كان مصمّماً. ولحقه فيها تيطس الغيور الجسور. فهل صعد بولس إلى مقاطعة الإليريكون، إلى الشمال الغربي من اليونان على الأدرياتيك، في ربيع ٦٦؟ فقد ذكر أنه بشر بالإنجيل حتى الإلّيريكون قبل أسره (رو ١٥: ١٩)، ولا شك أنه تفقد كنائسه هناك، فإنه يُنيب عنه في **دلماطية**، مقاطعة ايلّيريا الساحلية، تيطس البطل (٢ تيم ٤: ١٠).

وفي صيف ٦٦ عبر ايليرية إلى مقدونية التي تتاخمها، ثم نزل إلى فيليبي وأبحر إلى تراوس، ومنها إلى أفسس، كما تشير آخر المعلومات (٢ تيم ١: ١٥ ــ ١٧).

فقضى بولس سنة وستة أشهر يتفقد كنائسه، ويقيم له فيها أساقفة يخلفونه عليها، ويعني بتسليمهم « **صيغة التعليم** » المتواترة، مع « **السُنن الرسولية** ».

●

ثالثاً: توقيف بولس الثاني بأفسس، في آخر صيف العام ٦٦

أين أسر بولس للمرة الثانية؟

لا نعرف بتأكيد أين قُبض على بولس للمرة الثانية. فبعضهم يقولون في نكوبولِس، آخر بلد يذكره إلى تيطس؛ وبعضهم في ترواس، في بيت

كربس حيث اضطرّ إلى ترك أمتعته؛ وبعضهم في أفسس، استناداً إلى شكواه من خيانة « الذين من آسيا ».

ويظهر لنا **أن بولس أوقف في أفسس،** كما يظهر من قوله في رسالته الأخيرة إلى تيموتاوس، من أسره الثاني بروما: « إن جميع **الذين من آسيا قد ارتدّوا عني، على ما تعلم،** منهم فيجيلوس وهِرْمجينُس. أما أونيسيفورس فرحمة الله على بيته، لأنه كثيراً ما فرّج عني، ولم يخجل من قيودي. ولما صار في رومة جدّ في طلبي فوجدني... وأنت أدرى بكل ما خدمني به في أفسس » (٢ تيم ١: ١٥ ــ ١٨).

فذاك التلميذ الشهم خدم بولس في أفسس وفرَّج عنه فيها، ولم يخجل من قيوده فيها: والأسر والخدمة مذكوران قبل اللقاء بروما: فقد أوقف بولس في أفسس، بحسب تلك الإشارات الصريحة الناطقة.

فما **سبب توقيف بولس** هذه المرة الثانية؟

لا يذكره أحد. ونظن أن السبب كان مزدوجاً: قوميته اليهودية وشهرته المسيحية. ففي صيف العام ٦٦ اندلعت **الثورة اليهودية الأولى** على الاستعمار الروماني، وتجدّد الاضطهاد الروماني للمسيحيين، خصوصاً للذين من أصل يهودي، انتقاماً من الثورة. فكان بولس الضحية الكبرى هذه المرة.

فأُلقِي القبض على بولس في أفسس. « وجميع الذين من آسيا تركوه » لا نفوراً منه، بل خوفاً على أنفسهم. وكان ذلك في أواخر صيف العام ٦٦. وتقرّر نقله إلى رومة لأنه كان « رومانياً » لا تجوز محاكمته إلاّ في رومة.

ومن أفسس قاده الحرس الروماني إلى ترواس حيث « ترك رداءَه عند كربس، مع الكتب، لا سيّما صحف الرق » أي الكتاب القدسي (٢ تيم ٤: ١٣). وهذه شهادة قيمة عابرة على أن بولس **كان يصحب معه في أسفاره كلها الكتاب ومكتبته** ــ فيها لها من أمثولة لرعاة الكنيسة وكهنتها. وفي ترواس تفرق صحبه وأخصاؤه الذين رافقوه؛ ولم يبق معه « إلاّ لوقا وحده »، الطبيب الحبيب الذي رافقه إلى رومة (٢ تيم ٤: ٩ ــ ١٥).

●

رابعاً: أسر بولس الثاني في رومة، واستشهاده عام ٦٧

وقيد بولس مخفوراً إلى رومة في أواخر صيف العام ٦٦.

ومنذ وصوله إلى سجنه برومة، بعد جلسة التحقيق، كتب **الرسالة الثانية إلى تيموتاوس** يستدعيه إليه على عجل: « **اجتهد أن تجيء قبل الشتاء** » (٢ تيم ٤: ٢١). وهذا يعني أن تيموتاوس كان أمامه خريف العام ٦٦ حتى يلحق ببولس في رومة.

فقضى بولس « أسير المسيح » برومة للمرة الثانية نحو سنة، حتى ٢٩ حزيران عام ٦٧. وهذه المرة كان في « **الأسر المحكم** » لا يستطيع أن يخرج ولا أن يستقبل أحداً.

وبعد فترة وجيزة من وصوله كانت **جلسة التحقيق** معه. « في دفاعي الأول لم يحضر معي أحد بل تركني الجميع، لا حاسبهم الله » (٢ تيم ٤: ١٦). لم يتركه الجميع نفوراً منه، كما يتوهم بعضهم، بل خوفاً على أنفسهم من بطش السلطان. وكما جرى لبولس في المواقف الحاسمة، « إن الرب وقف معي وقوّاني، لكي تكمل بي الدعوة، وتبلغ إلى مسامع الأمم كلها. وأُنقذت من فم الأسد » أي من بطش نيرون، في بدء المحاكمة (٢ تيم ٤: ١٧).

وفي انتظار **جلسة الحكم** التي قد تطول، كتب بولس، كما أشرنا، الرسالة الثانية إلى تيموتاوس، يوعز إليه أن يقدم عاجلاً إلى رومة « قبل الشتاء » (٢ تيم ٤: ٢١). فكان بولس يتوقع أن يقضي في السجن شتاء ٦٦ ـ ٦٧ قبل صدور الحكم. لذلك يكتب إلى تيموتاوس: « استصحب معك مرقس، واقدَم به، فإنه ينفعني للخدمة ». وهذه إشارة إلى منزلة مرقس عند الرومانيين، بسبب تدوينه الإنجيل لهم، نقلاً عن معلمه بطرس. ويوصيه أيضاً: « أحضر معك عند مجيئك الرداء الذي تركته في ترواس عند كربس، وكذلك الكتب، وصحف الرق » (٢ تيم ٤: ١٣). فبولس يستعد للمطالعة ومراجعة الكتاب، بالسجن، في فصل الشتاء.

فهل أدركه تيموتاوس حيّاً؟ لا ندري. لكنه دون شك حصل مع لوقا على **تراث بـولس الثمـين** الذي حمله لمعلمه من ترواس « الرداء والكتب ولا سيما صحف الرق »، وفيها نسخة عن رسائله، فجمعاها مع تلاميذه المخلصين في رومة وفي أفسس، وبعد انتهاء الحرب السبعينية، نشروها مجموعة من كتاب كما وصلت إلينا. ورسالة بطرس تشهد بأنها اعتُبرت كتاباً قدسيّاً مثل الإنجيل والتوراة منذ نشرها (٢ بطر ٣: ١٥ ـ ٢٦).

فبولس يشعر بنهايته القريبة، ويعلن ذلك لتلميذه: « أما أنا فإني أُراق سكيباً، وقد حان وقت انحلالي »! (٢ تيم ٤: ٦). فهو يعتبر موته **ضحية للمسيح** « سكيباً »، كالدم المسفوح. وفي هذا الأسر الثاني، لا بدّ من الاستشهاد. فقد استفحلت الثورة اليهودية على الرومان. وكان جيش رومة عام ٦٧، يزحف على أورشليم ويحاصرها. وقد زاد اضطهاد نيرون للمسيحيين أتباع « الناصري المصلوب »، خصوصاً للذين هم من أصل يهودي. وها زعيم الدعوة المسيحية، بولس « الفريسي ابن الفريسي »، في قبضة السلطان، فالقضاء محتوم.

متى استشهد بولس؟ عام ٦٦ بحسب ابيفان. عام ٦٧ بحسب افسابيوس. عام ٦٨ بحسب جيروم[1]. والكنيسة الجامعة تعيد لاستشهاده في ٢٩ حزيران من كل عام، عن ستّة متواترة فيها. ففي صيف عام ٦٧ صدر الحكم بالإعدام على بولس. **فاستشهد بحد السيف**، لأنه من الرعوية الرومانية، يموت موت الأحرار، لا موت العبيد مصلوباً مثل بطرس.

●

خاتمة: بولس الرسول الأول والشهيد الأول

إن بولس باستشهاده، زكّى شهادته للمسيح. وشهادة الدم لا ترد. طاف المسكونة يدعو « للرب يسوع » بدل « الرب قيصر »! فأعدمه قيصر،

(1) Dictionnaire encyclopédique de la Bible: Paul p. 1374.

لكن المسيح أخذ روحه إلى أعلى عليّين. فكان **الرسول الأول، والشهيد الأول**، في المنزلة، بسيرته ودعوته، ورسالته واستشهاده.

وما أجمل نشيده للاستشهاد، وهو يشعر بحتميته. إنه **نشيد العُقاب** قبل مصرعه! نردّده لإعجازه:

« هاءَنذا أراق سكيباً وقد حان وقت رحيلي!
لقد جاهدت الجهاد الجميل! وأتممت سعيي! وحفظت الإيمان!
ها قد أعدّ لي اكليل البرّ يجزيني به الرب، في ذلك اليوم،
وهو الديان العادل؛ لا أنا وحدي بل جميع الذين يحبون ظهوره »!
(٢ تيم ٤: ٦ ـ ٨)

فما أبلغ هذه الشهادة، من الشهيد، قبل استشهاده! إنها صورة سيرته ودعوته ورسالته.

تلك هي سيرة بولس، **الرسول الأول، والشهيد الأول**، « رسول الأمميين » كما يميّز نفسه، في « الجهاد الجميل » حتى الاستشهاد الأجمل.

الفصلْ الثانِي

شخصية بولس

توطئة عامة : بولس هو « الرسول » بعد السيد المسيح

بحث أول : بولس الرجل

بحث ثان : بولسِ الصوفي المسيحي

بحث ثالث : بولس الرسول

بحث رابع : بولس المفكّر

خاتمة : عبقرية بولس

توطئة

بولس هو « الرسول »، بعد السيد المسيح

١ ــ « إن العالم لن يرى بولس آخر »! هذا ما قاله في بولس يوحنا، الفم الذهبي، شِبْهه الذي بين **المفسرين** فهمه أكثر منهم أجمعين. وسر ذلك قوله أيضاً: « قلب بولس، قلب المسيح »! وهو يشبّه رسائله « بمعين لا ينضب ماؤه »، و« بمنجم عظيم كنوزه لا تحصى ».

وتوما الأكويني، شيخ المكلمين المسيحيين يرى في رسائل بولس: « الكلام كله ». لقد كان بولس أول وأعظم لاهوتي سبر سرّ المسيح والمسيحية؛ فكان للكلام المسيحي، عبر الأجيال، النور الهادي.

ويعتبر العلماء العارفون أن رسائل بولس عالم قائم بذاته، لا مثيل له، بعد الإنجيل، في آداب الدين والدنيا.

فرسائل بولس برهان شخصيته الفريدة، بعد رسالاته المجيدة. فهو، بعد السيد المسيح، « الرسول » على الإطلاق، دعوةً وكتابة.

٢ ــ لمعرفة هذه الشخصية الكبيرة، وتقديرها حق قدرها، **لدينا مصدران:**

سفر (أعمال الرسل)، وهو **مصدر خارجي** يعطينا الخطوط الظاهرة للسيرة والدعوة التي تكوّن تلك الشخصية الفذة.

و (رسائل بولس)، وهي **المصدر الذاتي الشخصي** الذي يكشف لنا أعماق الرسول والرسالة في تلك الشخصية الغنية.

وهما مصدران متكاملان. وخلافهما الظاهر برهان صدقهما الباهر.

إن رسائل بولس هي المصدر الحق لمعرفة الرجل العظيم. فنحن تجاهها بين أمرين لا ثالث لهما: إما صاحبها صادق مقبول! وإمّا صاحبها واهم

مخبول! فلا مجال لموقف وسط متردّد في الجدل، ما بين البُطْلُ والـدَجَل. وكـل التحلـيلات النفسية أو البيانية التي يستنبطونها من الرسائل للدس عليها تبوء بالفشل.

٣ ـ إن محور هـذه الشخصية الكريمة فطرة سليمة غنية، وثقافة عالية شاملة، كانت « الأداة المصطفاة » (أع ٩: ١٥) للتنزيل المسيحي « كي يكشف ابنه فيّ » (غـلا ١: ١٥)، والاسراء إلى الفردوس في السماء الثالثة (٢ كو ١٢: ٢ و٤)، حيـث رأى مـن آيـات ربـه الكبرى، سر المسيح في سر الله والكون والإنسان. فجاءت بعثة بولس **بأسلوب بعثة الأنبيـاء العظام** كموسى وأشعيا.

لقد رأى « مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦)، في هدايتـه، برؤيـة يسـوع الناصري المصلوب في مجد الله، والكشف الرباني لسر المسيح والمسيحية الذي انطبـع فـي نفسه منها. فانقلب من العلاّمة الفريسي المضطهد، إلى الرسول الشـهيد، والعلاّمـة المـتكلم باللاهوت، الذي حمل المسيحية من أهل الكتاب إلى « الأمميين » ووطّنها مـا بـين عـالمين متناقضين؛ فكان العالم العامل على « **تهلْين** » **المسيحية**؛ بالوحي المتواتر، واستخدام أسـاليب التفكير والتعبير في الهلنستية، لإيلاف الأمم إليها، فكان بحق « رسول الأمميـين » (رو ١١: ١٣).

فمن شك في الرؤية والكشف الرباني الذي تمّ فيها، واكتمل بالإسراء إلى الفردوس في السماء الثالثة، شك في محور شخصية بولس، « الخليقة الجديدة » فما فهمهـا وظلـم علمـه بفهمها.

٤ ـ وميزة تلك الشخصية العظيمة، بين عظماء الدين والـدنيا، منـذ تلـك اللحظـة المعجزة، هي **امتزاج الرسول والرسالة**. فصار يسوع الناصري المصلوب، الـرب يسـوع، المسيح المخلص، حياته كلها: « حياتي هي هي المسيح »! لا يرى في الكون سواه، ولا يحيـا إلاّ لرضاه. لا يفكّر إلاّ به ولا يعمل إلاّ لأجله. دفعه روح الله إلى عزلة أولـى فـي « بـلاد العرب » مدة ثلاث سنوات؛ وإلى عزلة ثانية، في موطنه طرسوس، مدة خمس سنوات، لكـي يصير بولس مسيحَ آخر، على صورة السيد المسيح.

وأول من استغرب هذا التحوّل الكياني المعجز هو بولس نفسه: فهو يشعر « بأوهــان بشريته »، كما يشعر « بسمو إيحاءاته » (٢ كو ١٢: ٥ و٧).

فهو « الأداة المصطفاة » التي يسيّرها « روح الرب » حياةً ورسالة ودعوة وكتابــة. وقلّما نجد في التاريخ، بعد السيد المسيح، شخصية كانت الرسول والرسالة معاً.

٥ ــ في **تفصيل مواهب** تلك الشخصية الفريدة، والمذاهب التي ذهبوا فيها، نستعرض صور الرجل، والمفكر، والصوفي، والرسول، والكاتب المتكلم، في أسلوبه اللغــوي والبيــاني والإنشائي والخطابي والكلامي والانشادي والقصصي. حينئذٍ تتجمّع لدينا الخطــوط العريضــة التي تتكون منها صورة الشخصية الفريدة الوحيدة التي قال فيها الفم الذهبي، فصل الخطاب:

« **إن العالم لن يرى بولس آخر** »!

لقد أصبح اسم بولس مرادفاً « **للرسول** » **على الإطلاق**.

۞ ۞ ۞

بحث أول

بولس الرجل

توطئة: الله أعلم حيث يضع رسالته

ما بين إشارات متشابهات، وعلامات مطبوعات، وأخلاق بينات، تبدو صورة بــولس في شخصه: إنه الرجل الرجل خَلــقاً وخُلــقاً. وبالفطرة والكسب يهــيء الله عبيــده لــدورهم الذي ينتظرهم، والله أعلم حيث يضع رسالته.

أولاً: الإشارات المتشابهات

١ ـ منذ مطلع رسالته الرسمية، بعد بعثته ورسامته الكهنوتية، بدأ بولس يستعمل، بدل اسمه القومي، شاول، **اسمه الروماني: بولس** (أع ١٣: ٩).

بولس يعني حرفيّاً باللاتينية: « القصير ». فأستنتج بعضهم أن بولس كان قصير القامة. وأيدوا ذلك بموقف أهل لسترة، الذين شاهدوا بولس يخطب وبجانبه برنابا بقامته الفارعة، فسمّوا برنابا زفس، وبولس هرْمِس إله الفصاحة والبلاغة.

لكن لوقا يقول: « أمّا شاول ـ المدعو أيضاً بولس » (أع ١٣: ٩)، إشارة إلى أن الرسول بدأ منذ مطلع رسالاته يستخدم اسمه الروماني، دليلاً على رعويته الرومانية التي يحتمي بها. فلا يعني أن الرسول لـُقّب حينئذ بولس بل هو اسم قديم يحمله منذ مولده كعادة بني قومه تحت الحكم الروماني، الذين كانوا يتبنون إلى جانب اسمهم القومي اسماً رومانياً، مثل لاوي ـ متى، ويوحنا ـ مرقس، وسمعان ـ بطرس. وإنْ صح أن الرب سمّى سمعان الصياد بطرس (كيفا)، فليس من صحيح أن الرسول تلقب بولس. إنما هو اسم له منذ الولادة في طرسوس. فلا يُستنتج منه أنه كان قصير القامة كما يعني حرفه، وإن لم يكن بقامة برنابا.

وتسمية أهل لسترة له: هرمس، لا يشير إلى قامته، بل إلى دوره « لأنه هو الذي كان يتكلم » (أع ١٣: ١٢).

٢ ـ وهل كان بولس **حقير المنظر**؟ بينما نراه في رسائله خطير المخبر! ينقل قول خصومه في كورنثس: « وقد يقول قائل: إن الرسائل ثقيلة وقوية! أما الحضور بالجسد **فضعيف**، والكلام **حقير**! ـ ألا فليحسبَنّ مثل هذا أنّا كما نكون بالقول في الرسائل، ونحن غائبون؛ كذلك نكون بالفعل أيضاً ونحن حاضرون » (٢ كو ١٠: ١٠ ـ ١١). فليس في التهمة دليل على حقارة المنظر، في بولس؛ بل على دمائه أخلاقه، ولين أقواله في حديثه مع أبنائه.

٣ ـ وهل بولس في « **الكلام حقير** » (٢ كو ١٠: ١٠) كما يستنتجون من قوله: « ولكني أحسب، أني لم أنقص شيئاً عن أولئك الرسل الصناديد! فإني، وإنْ كنت عاديّاً في الكلام، لست كذلك في العلم. وقد أظهرنا لكم ذلك على كل وجه، وفي كل شيء » (٢ كو ١١: ٥ و٦).

ليس في الآية دليل على حقارة بولس في الكلام أو الحديث. إنما الآية شاهد على تعمّده البساطة في حديثه مع أبنائه أو كلامه العادي بينهم. ومن اعجاز السهل الممتنع تقريب سر المسيح من أفهام الشعب؛ وأتباع بولس الأولين في كورنتش كانوا من الشعب، فقصد السهولة في تبشيرهم، على خلاف « الرسل الصناديد »، مثل أبولّس، الذي كان يميل إلى الكلام العالي مع حكماء كورنتش؛ أو مثل « الأخوة الكذبة » الذين يوهمون الناس ببسطة من العلم في بسطة من الكلام.

فقد كان بولس، متى دعا الداعي، محدثاً من الطراز الأرفع، يُسهب في الحديث طوال الليل حتى الصبح، كما في وداع شيوخ أفسس، في ميليتس (أع ٢٠: ٧ و١١). وكان في الخطابة الشفوية أيضاً على بلاغة جعلت الوالي الروماني يهتف بعد دفاع بولس عن نفسه: « يا بولس، لقد جُننت! إن علمك الكثير يجرّك إلى الجنون »! وجعلت الملك اغريبا يهتف: « إنك تكاد تقنعني بأن أصير مسيحيّاً! » (أع ٢٦: ٢٤ و٢٨).

فقد يكون بولس في الحديث العادي سهلاً؛ لكنه في الحديث المشهود فحلاً؛ حتى كاد أهل لسترة أن يؤلهوه، عندما سمعوه! (أع ١٤: ١٢).

بالحقيقة كان بولس، كما تدل آثاره عليه: « ربّ البيان وسيد القلم »!

٤ ـ وكانت **صحة بولس هزيلة** كما يرشح، على زعم بعضهم، من قوله: « أنتم تعلمون أني في عِلّة بشرتكم بالإنجيل للمرة الأولى. وهذا الجسم العليل الذي كان لكم تجربة لم تزدروه، ولم تتكرّهوه. لا، بل قبلتموني كملاك من الله، كالمسيح يسوع » (غلا ٤: ١٣ ـ ١٤).

أم كانت **صحته البدنية متينة** كما يظهر من وصفه لجهاده: « في كل شيء نظهر أنفسنا خداماً لله، بالصبر الكثير في المضائق والشدائد والمشقات!

تحت الضرب وفي السجون! والاضطرابات والأتعاب! والأسهار والأصوام » (٢ كو ٦: ٤ ــ ٥).

كلاً لم يكن بولس ذا جسم سقيم، مصدر عقل سقيم، كما يرغب الواهمـون. إن العلـة التي يذكرها في جسمه العليل، لأهل غلاطية، هي مرض عابر عرض له في غلاطيـة كمـا يتضح من حرف الكلمة ἀσθένεια ، الوهن في المـرض (غـلا ٤: ١٤). فقرّبـه مرضـه العارض من أبنائه، ولم ينقرهم منه، لو كان السقم المذكور على ما يتوهمون. فليس من عِلّـة، أو جسم عليل، في من يقول عن نفسه، بالقياس إلى جميع الرسل:

« أنا في الأتعاب أكثر! أنا في السجون أكثر! في الجلد فوق للقياس أكثر! في أخطـار الموت غالباً! جلدني اليهود خمس مرات أربعين جلدة إلاّ واحدة! ضـربت بالعصـي ثـلاث مرات! رُجمت مرة! انكسرت بي السفينة ثلاث مرات! قضيتُ نهـاراً ولـيلاً غريقـاً! وفـي الأسفار، كثيراً ما كنتُ في أخطار السيول وأخطار اللصوص! في أخطار من أمتي وأخطـار من الأمميين! في أخطار بالمدينة، وأخطار بالبرية! في أخطار بالبحر، وأخطار مـن الأخـوة الكذبة! في التعب والكد، في الأسفار الكثيرة، في الجوع والعطش، في الأصوام الكثيـرة، فـي البرد والعري! وما عدا هذه، ما يتراكم علي كل يوم! والاهتمام بجميع الكنـائس... » (٢ كـو ١١: ٢٣ ــ ٣٠).

فليست هـذه أعمال جسم عليل، بل أعمال الجبابرة الصناديد! فلا سـند، في وصـف « الجسم العليل » في مرض عارض (غلا ٤: ١٤). لتخرصاتهم بأن بـولس كـان « رجـلاً مريضاً » في جسمه وفي عقله، بحسب المثل المأثور: العقل السليم في الجسم السليم. كلاّ لـم يكن بولس « رجلا مريضاً »؛ والشخصية الجبارة التي تظهر من ذلك الوصف الواقعي مـدى أعوام طوال لا تدل على مرض في الجسم أو في العقل. إنما كان بولس عقلاً سليماً في جسـم سليم. وإذا كانت النبوة أو الصوفية أو الرؤيا أو الإسراء من دلائل المرض عنـد الـدهريين؛ فهذا شأنهم، فدعهم في أوهامهم يعمهون.

٥ ــ كذلك ليس في قوله: « إن كان إنساننا الظاهر يتهدّم، فإنساننا الباطن يتجدّد يوماً بعد يوم » (٢ كو ١٣: ١٦) دليل على جسم عليل.

إنما هو برهان التقدم في السن نحو الشيخوخة، بحسب قوله: « فإنا نعلم أنه إذا نُقض هذا الخباء، مسكننا الأرضي، فلنا في السماوات مسكن من الله، بيت لم تصنعه الأيدي، أبدي. فلذلك نحن، في وضعنا هذا، متشوقون أن نلبس بيتنا السماوي فوق الآخر » (٢ كو ٥: ١ ـ ٢). وكيف لا **تبكر الشيخوخة** إلى جسم قاسي ما وصفه بولس من مشقات وأهوال، على دفعتين (٢ كو ٦: ٤ ـ ٥؛ ١١: ٢٣ ـ ٣٠). ولن يموت، بعد هذا كله، إلاّ بحد السيف، وقد تخطى الستين؛ وفي سن الستين وصف نفسه « شيخاً » (فيلمون ٧)، لكن بحسب التعبير التلمودي. وهبه كان نحيف البنية، فقد قامت إرادته الحديدية مقام الصحة المتينة.

٦ ـ فهل كان بولس « **كليل البصر** »؟ وهو القائل: « إني أشهد لكم أنكم لو كان بإمكانكم، لقلعتم أعينكم وأعطيتمونيها »! (غلا ٤: ١٥). فظنّ بعضهم أن مرضه في غلاطية كأن في عيونه. وفاتهم أنه تعبير مجازي دليل الحب العظيم. وكان مرضه هناك حمّى طارئة طرحته في الفراش مدة.

أما لوقا في خطاب بولس أمام السنهدرين: « تفرّس بولس (أي حدّق بنظره) في المحفل وقال: أيها الأخوة، لقد تصرفت أمام الله حتى اليوم، بكل ضمير صالح » (أع ٢٣: ١) ـ فليس فيه من دليل على ضعف البصر؛ بل هو نظر الخطيب القدير الذي يفرض بنظره هيبته على محضره قبل المباشرة بحديثه. وهب أيضاً أن بولس كان كليل البصر! فإنه لم يكن كليل البصيرة في الأمور الخطيرة. ولا تدل حركته الدائمة في الأسفار والأخطار على كفاف أو كلال في البصر، وحدة النظر.

٧ ـ وما معنى قوله: « قد أعطيتُ **شوكة في الجسد**، رسولاً شيطانياً لكي يصفعني، لئلا أستكبر » (٢ كو ١٢: ٧)؟ فقد رأى فيه بعضهم تجربة شهوة الجسد! بدليل قوله: « إني أقمع جسدي واستعبده، لئلا أكون مرذولاً، بعد ما كنت رسولاً »! أجل قد تُوجد التجربة مع القداسة. لكن بولس لا يعرض تجربته قدوة لأبنائه (قابل ١ كو ٦: ١٢ ـ ٢٠). وقد فسرها الفم الذهبي[١]، وذهب مذهبه كثيرون، بأنها كناية عن معارضة

---

(١) في تفسير الرسالة الثانية إلى الكورنثيين، العظة السادسة والعشرين.

بني قومه له؛ خصوصاً « الأخوة الكذبة » في معارضتهم الشيطانية لدعوته. فتكون « الشوكة في الجسد » إشارة إلى معارضتهم له في « جسد المسيح السري ». فما كنى بولس « بشوكة في الجسد » عن مرض في جسمه أو شهوة في جسده؛ إنما هي كناية مجازية مهما كان معناها. وكان يفخر ببتوليته على آل البيت والرسل وكيفا (١ كو ٧: ٥).

ففي تلك الآيات، إشارات متشابهات، تحكم في معناها الآيات البينات. وهب أن بولس كان « قيصير » القامة بحسب حرف اسمه؛ أو نحيل البنية كما توهم بعض الآيات المتشابهات؛ أو كليل البصر كما يرون في بعض العبارات. فليس في ذلك ما يُضير الرجل، بل هو ممّا يزيد في قيمة البطل.

فلا تدل أسفار بولس على جسم سقيم؛ ولا تدل رسالاته، لتنظيم كنائسه على رأي سقيم؛ ولا تدل رسائله على عقل عقيم. إنما كلها آيات بينات على عقل سليم في جسم سليم. وإنه لعلى خُلُق عظيم في خَلْق كريم.

●

ثانياً: العلامات المطبوعات

كان بولس على خُلُق عظيم وخَلْق كريم، كما يتجلى من رسالاته ومن رسائله. فالرجل فكر عميق وقلب رقيق؛ نظر ثاقب، ولسان طيب؛ تتواتر فيه مواقف الصوفي العظيم، ومشاهد الإداري الحكيم.

فبولس فكر نيّر في فهم سر المسيح في سر الله والكون والإنسان؛ وفي تحرير المسيحية من الموسوية، في سبيل انطلاقتها المسكونية؛ وفي تهلين المسيحية لتوطينها في الهلنستية؛ وفي فضل الإنجيل على الشريعة، وسمو الإنجيل على الحكمة، واستعلاء الإنجيل على الغنوص؛ وفي تطبيق مبدإ التجسّد في المسيح، على تجسّد المسيحية في الثقافة العالمية.

وبولس إرادة فولاذية في الجهاد الدائم لأجل المسيح، لنقل المسيحية إلى العواصم المختلفة، من أورشليم، إلى أنطاكية، إلى أفسس، إلى كورنتش إلى رومة، إلى « أطراف الأرض »؛ وذلك ما بين ثقافات مختلفة، وقوميات

مختلفة، وعوالم مختلفة؛ وفي إدارة الكنائس، والإشراف عليها بنفسه أو بواسطة سفرائه ونوّابه، كما في حوادث غلاطية (٣: ١١) وكورنثس (٢ كو ١٠: ١٠). وهذه الإرادة الفولاذية تتجلّى في وصف جهاده الرائع (٢ كو ١١: ٢٣ ــ ٣٠).

وبولس قلب كبير، على مثال قلب المسيح، كما قال الفم الذهبي: « قلب بولس، قلب المسيح ». وقلما سمعت الأرض نشيداً صوفيّاً في المحبة كالنشيدين اللذين، أنشدهما بولس، بروح الله، للحب الإلهي، وللحب الأخوي في المسيح (١ كو ١٣: ١ ــ ١٣؛ رو ٨: ٣١ ــ ٣٩). وكل التهم الموجهة ضد بولس تسقط أمام هذا المبدإ وهذا السلوك: « المحبة تتأنى وترفق! المحبة لا تحسد! المحبة لا تتباهي، ولا تنتفخ! لا تأتي قباحة! ولا تطلب ما لنفسها! لا تحتدّ، ولا تظنّ السوء! لا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق! تتغاضى عن كل شيء، وترجو كل شيء، وتصبر على كل شيء! » (١ كو ١٣: ٤ ــ ٧).

وبولس نشاط لا يكل ولا يمل. يتنقل بالدعوة من بلد إلى بلد، ومن بيئة إلى بيئة، ومن مجتمع إلى مجتمع. يحدّث الأفراد ويخاطب الجماعات؛ يفاوض البسطاء، ويكلّم الحكماء. فتراه يتكلّم في المسيح بالبيت والسوق والجامع والساحة والندوة. يشتغل بيديه في الليل، ويعلم في النهار. كأنه في دوّامة آناء الليل وأطراف النهار. وقد وصف لنا نشاطه، كما رأينا، في صفحة لا مثيل لها في تاريخ الأولياء والأنبياء (٢ كو ١١: ٢٣ ــ ٣٠).

فبولس، في تاريخ الدين، من منزلة العظماء كالاسكندر وقيصر في تاريخ الدولة. هم فتحوا أوربا والعالم لدولة عابرة؛ وهو فتح أوربّا والعالم لديانة ظافرة.

أخذوا عليه **حدةً في الطبع**، فهو يثور كالبركان أينما كان. يضرب ساحراً بالعمى (أع ١٣: ٦ ــ ١١)؛ يحكم بالحرم على زانٍ: « فقد قضيت أن يُسلم مثل هذا إلى الشيطان، لأجل هلاك الجسد » (١ كو ٥: ٥) بل يقضي على كل متنكر للمسيح. « من لا يحب الرب، فليكن مبسلاً »! (١ كو ١٦: ٢٢). وقد يشتم القاضي الجالس لمحاكمته في السنهدرين

(أع ٢٣: ٣). وقد تحمله حدة الطبع إلى التطرّف في مواقفه حتى مع أخوانه، مثل معارضته لسلوك بطرس أمام الكنيسة كلها في أنطاكية (غلا ٢: ١١)؛ ومثل افتراقه عن برنابا، بسبب الفتى مرقس، وقد كان برنابا كفيله عند الرسل منذ هدايته عام ٣٤ حتى الاعتراف الرسمي به عام ٤٩ (أع ١٥: ٣٦ ــ ٣٩)؛ ومثل وصفه المتواصل لأخصامه من النصارى الإسرائيليين « بالأخوة الكذبة »، وحملته الصاخبة عليهم؛ « احذروا الكلاب! احذورا أهل الشر! احذروا أهل البتر!... » (فيل ٣: ٢ ــ ٨).

وأخذوا عليه **استعلاء في الرسالة والدعوة،** كأنه رسول المسيح وحده فهو يفرض تعليمه فرضاً، ويملي أوامره إملاءً، حتى نعته الكورنثيون بالصلف والكبرياء (٢ كو ٣ الخ). وأن تخلّل ذلك دفقات من الرقة والحنان وفي برهان رسالته ودعوته، يستعلي على جميع الرسل بالجهاد والوحي.

وأخذوا عليه **التقلّب في الرأي والعاطفة.** في لمحة بصر، ينتقل من الكفر إلى الإيمان، وينقلب من مضطهد إلى مجاهد مجتهد. يسير في كنف برنابا، ثم يتركه لخلاف بسيط. يحتكم إلى بطرس في مجمع أورشليم، ثم يقاومه في أنطاكية. يثور على الغلاطيين ثم يسترضيهم. ينقم على الكورنثيين ثم يستميلهم.

ولكن تلك المآخذ ظواهر، لا تدل على الجواهر. فعلى الرسول من قبل الله ألاّ يخشى في الحق لومة لائم! وهي المحبة، محبة المسيح حتى الموت، التي تحمله على ما نظنه تطرّفاً، وأولياء الله يعتبرونه واجباً مقدساً. فهو يشعر بذلك ويصرح: « إنا، إن كنّا تعدّينا التعقل، فلله؛ وإن كنّا متعقلين فلكم: لأن محبة المسيح تحثّنا » (٢ كو ١٢: ١٣ ــ ١٤). فلا مساومة، ولا مداهنة في مصلحة الإنجيل ومحبة المسيح. إن محبة المسيح هي ميزان أحواله وأقواله وأعماله.

وما كتب دفاعه عن حقه في الرسالة والوحي الإنجيلي، وتطرّف فيه، إلاّ بعد ما أحرجوه سنين بالافتراء على رسوليته وتعليمه، فكاد هذا الافتراء المتواتر يضر بمصلحة الإنجيل والمسيح. فقال قول الحق الذي يجعله في الوحي والجهاد أفضل من الجميع.

كان بولس، بحسب الفطرة، طبعاً ناريّاً؛ لكن محبة المسيح واخوّة المسيح طبّعته فصقلته، حتى صارت **الفطرة غيرة للمسيح**. ففي ملته واعتقاده، إن محبة الله والناس هي الدين كله، وهي الإنجيل كله، كما يتضح من أناشيد المحبة عنده (رو ٨: ٣١ ـ ٣٩؛ ١ كو ١٣: ١ ـ ١٣).

وهذه المحبة المتقدة نار آكلة تحرقه قبل أن تطال غيره. لذلك عندما يشعر أن غيرته جرحت غيره تراه يذوب لطفاً وعطفاً، كما في عتاب أهل غلاطية وأهل كورنثس.

وهذه المحبة القاهرة تولّد فيه الجرأة الكثيرة: « فإذا لنا مثل هذا الرجاء، نتصرف في جرأة كثيرة » (٢ كو ٣: ١٢).

بدعوته للرسالة المسيحية، صار بولس **رجل الروح**، وقد يسيّره روح الله والمسيح، على غير موازيننا ومقاييسنا. وما نلمحه في الرجل من حدة في الطبع، واستعلاء في الحق، وتقلب في الرأي والعاطفة، إنما مصدره قوة الروح التي تعمل فيه، أكثر من الفطرة التي تبرز فيه. فقد كان « الأداة المصطفاة » في « اليد الجبارة » التي تسيّره: « وجازا في فريجية وبلاد غلاطية، إذ منعهما الروح القدس أنْ يبشرا بالكلمة في آسيا. ولمّا انتهيا إلى ميسية، حاولا أن يشخصا إلى بيثينة، ولكن روح يسوع لم يأذن لهما » (أع ١٥: ٦ ـ ٧). فرجل الروح مسيّر، لا مخيّر؛ فلا يصح أن نحكم عليه بمقاييسنا: « أبحسب البشرية قصدتُ ما قصدت، حتى يكون عندي في آن واحد النعم واللا! » (٢ كو ١: ١٧). فبولس يشعر بالتعارض وعدم التعقّل في بعض تصرفاته، لكنه يعتبرها من حكمة الروح القدس الذي يسيّره. أليس الاستشهاد قمة التهوّر؟ مع أنه قمة الإيمان، وقمة المحبة، وقمة الحكمة في الإنجيل.

تلك بعض العلامات المطبوعات في شخصيته.

●

ثالثاً: الأخلاق البينات

إن بولس شخصية مليئة بالمتعارضات[١]، غنية بالأخلاق البينات. ينتقل من الصلابة في المبدأ إلى السماحة في السلوك؛ ويتدرج ما بين العنف واللطف؛ ويناور ما بين التهكّم والتودّد؛ يلبس لكل حالة لبوسها، لا عن مكر ودهاء، بل عن كرم وإباء.

١ ـ **ما بين الصلابة في المبدأ، والسماحة في السلوك**، يصول بولس ويجول. فهو صلب العقيدة، قوي الشكيمة، لا يخشى في الحق لومة لائم. يقاوم ولا يساوم. صخر في المبدأ، وليّن العريكة في الواقع. فهو يطلب التحرّر مبدئيّاً من الختان الموسوي، ويجريه على تيموتاوس إذا اقتضت المصلحة العليا (أع ١٦: ٢٠). يقول بنسخ أحكام الشريعة، ويعمل بها في هيكل أورشليم، إذا أحرجته مصلحة الجماعة (أع ٢١: ٢٦). فسماحة نفسه شاملة كاملة: لا يثور إلاّ في وجه الشر والأشرار، حرصاً على الإيمان الصحيح. وعندما يغلظ في التنديد لأبنائه، فلا يقصد إلاّ مَن وراءَهم من أهل الفتنة؛ اليهود أولاً الذين يتآمرون عليه وعلى مسيحه في كل مكان (أع ٢٣: ٤٥ و٥٠؛ ١٤: ٢ و٩؛ ١٧: ٥ و١٣؛ ١٨: ٦؛ ١٩: ٩؛ ٢١: ٢٧)؛ ثم أولئك « الأخوة الكذبة » أي النصارى اليهود الذين يبدّلون إنجيل المسيح بتهويد المسيحيين (غلا ١: ٧؛ ٢: ٤؛ ٦: ١٢) فهؤلاء لا سماحة معهم (١ تس ٢: ١٥؛ غلا ٥: ١٢؛ فيل ٣: ٢).

قيل: إن أخصامه الحقيقيين هم من يسميهم « الرسل الصناديد » (٢ كو ١١: ٥). فلا شيء يثبت ذلك. إنما هم أولئك « الأخوة الكذبة » الذين يتستّرون تارة بيعقوب أخي الرب (غلا ٢: ١٢)، وطوراً ببطرس كيفا (١ كو ١: ١٢). وهو عندما يقارن نفسه « بالرسل الصناديد »، لا يتحدّى الاثني عشر، بل يُظهر لمن يتسترون بهم حقه في الرسالة وفضله فيها عليهم أجمعين (٢ كو ١٠: ٢١ ـ ٣٠). يطعنون بصحة رسوليته وإنجيله؛ فهو يجاهد ليثبت حقه الإلهي في « الرسولية » مع احترام الرسل

---

(1) « Un homme de contrastes et d'antithèses » s. d. b. Paul p. 309.

(غلا ١: ٩؛ ٢: ٢)، خصوصاً بطرس زعيم الرسل ويعقوب زعيم آل البيت، فهو لا يرى سواهم بعد هدايته (غلا ١: ١٩)؛ وهو يذكر في مناسبة واحدة اتفاقه المبدئي مع بطرس، وخصومته لبطرس في أنطاكية (غلا ٢: ١ ــ ١٤). وهذا لا يقلل من احترام بولس لبطرس الذي يجعله في القمة (١ كو ٩: ٥)، ولا من احترام بطرس لبولس « أخينا الحبيب، بالحكمة التي أوتيها » (٢ بطر ٣: ١٥)، وهو يجعل رسائله بمنزلة الكتاب القدسي (٢ بطر ٣: ١٦). فليس من خصومة بين بطرس وبولس كما يتوهمون ويوهمون؛ وليس من غيرة من الوجوه والأعمدة كما يتصورون ويصورون: « وإذ عرفوا النعمة التي أوتيتها، مدّ يعقوب وكيفا ويوحنا ــ هم المعدودون أعمدة ــ يمناهم إليّ وإلى برنابا عربون **الاتفاق الكامل** » (غلا ٢: ٩).

وسماحته في معاملة الناس جعلته « كلاً للكل ليربح الكل للمسيح »! فهو يهودي مع اليهود، وأممي مع « الأمميّين » (١ كو ٩: ١٠ ــ ٢١). وليس هذا من التلون في التصرّف، بل من التمرّس في التعرّف. ففيه فن عجيب في التكيّف بحسب الظروف. فهو مهارة فائقة في أخذ الناس، ولباقة في استقطابهم؛ وفي رسائله يتدرج إلى أهدافه في مطالعها، ويستدرك ما فات في مخارجها.

٢ ــ **ما بين العنف واللطف**، يتنقل كأسد هصور، وأب حنون، فعند الافتراء عليه يتهكّم ويهجو: « وأنا، أيها الأخوة، إن كنت بعد أدعو للختان، فلِمَ أُضطهد؟ فمعثرة الصليب إذن قد رفعت! يا ليت الذين يبلبلونكم يقطعون »! (غلا ٤: ١١ ــ ١٢). وإذا تعرضت مصلحة المسيحية الصحيحة لسوء، يثور ويضرب ويحطّم: « احذروا الكلاب! احذروا أهل الشر! احذروا أهل البتر »! (غلا ٣: ٢). وليس ذلك لمصلحة شخصية، بل لإقامة حق الإنجيل: « في كل شيء لا أرى سوى أقذار، حتى أربح المسيح » (فيل ٣: ١ ــ ١١). فهو يرعد ويزبد على الزاني الذي يحوز امرأة أبيه، لكنه يسمح بسهولة للتائب (٢ كو ٢: ٥ ــ ١١).

وهذا الأسد الهصور، الذي يبطش في الشرور، هو **أب حنون**،

الأب الوحيد لأبنائه الذين تمخض بهم في المسيح (١ كو ٤: ١٤؛ ٢ كـو ٦: ١٣؛ ١ تـيم ٢: ١١؛ فيلمون ١١). ويحمل أحشاء الأم الرؤوم، عند اللزوم (١ تـس ٢: ٧؛ غـلا ٤: ١٩). لا يسره سوى مصلحة المسيح والمسيحيين: إنهم أبناؤه، وحبه الدائم لهم لا ينضب؛ فهـو أبـوهم بين كل معلميهم: « إن يكن لكم ربوات من المعلمين في المسيح، فليس لكم آباء كثيرون، لأني أنا قد ولدتكم في المسيح يسوع بالإنجيل » (١ كو ٤: ١٥) يحبهم ويمدحهم (١ كـو ١١: ٢). أخبارهم تفرحه (١ تس ٣: ١ ــ ١٠) ومشاكلهم تغمّه فوق الحد (٢ كو ٢: ١). فهـم مجـده وفخره وفرحه: « إذ ما رجاؤنا وفرحنا، وإكليل فخرنا، أمام ربنا يسوع، عند مجيئه؟ أما هـو أنتم؟ أجل أنتم مجدنا وفرحنا » (١ تس ٢: ١٧ ــ ٢٠).

٣ ــ ويتقن فن التهكّم وفنّ التودّد حتى الاعجاز

يصول في التهكم إذا اقتضى الأمر: « ها قد شبعتم! ها قد استغنيتم! وبدوننا قد ملكتم! ــ ويا ليتكم ملكتم لنملك نحن معكم! » (١ كو ٤: ٨). وقد يتحول التهكّم إلى تهجّم: « فهؤلاء الناس رسل كذبة! مكارون! بهيئة رسل المسيح متنكّرون! ولا غرو، فإن الشيطان نفسه يتنكّـر بهيئة ملاك نور! »(٢ كو ١١: ١٣ ــ ١٤). يعيّر أهل كورنثس بفضل أهـل مقدونيـة، ثـم يستدرك ببراعة: « ألأني لست أحبكم؟ الله يعلم » (٢ كو ١١: ٧ ــ ١١). يفضّل بعضهم عليه أبولّس، فيقول بنكتة لاذعة « أمّا أبولّس الأخ، فقد طلبت إليه بإلحاح أن يأتيكم مع الأخوة، فلـم يُرد البتّة الآن؛ لكنه سيأتي متى تيسّر له » (١ كو ١٦: ١٢).

ويجول في أنواع التودّد: « يا أولادي الصغار، الذين أتمخّض بهم من جديـد إلـى أن يتصوّر المسيح فيهم... فإني قد تحيّرت فيكم » (غلا ٤: ١٩ ــ ٢٠). فما كـان تأديبـه لهـم سوى حب خالص: « إن غممتكم، فمن ذا الذي يسرني إلاّ الذي غممته أنا!... وإني على يقين من جهتكم أجمعين أن سروري هو سروركم أجمعين » (٢ كو ٢: ١ ــ ٤). فهو كريم النفس، كريم الخُلُق، كريم القلب، كريم اليد واللسان: « لقد عبّدتُ

نفسي للجميع لأربح الجميع... صرتُ لليهود كيهودي لأربح اليهود! وللذين بلا شريعة كــأني بلا شريعة... لأربح الذين بلا شريعة! وصرت للضعفاء ضعيفاً لأربح الضعفاء! وصرت كــلاّ للكل لأخلص على كل حــال بعضهم. وأنـــا أصنع كل هذا لأجل الإنجيل، ليكــون لـــي فيــه نصيب » (١ كو ٩: ١٩ ــ ٢٣).

فسر الأسرار في أخلاقه البينات ونزعاته المتعارضات هو **إخلاصه للمسيح والإنجيل،** يتكيّف ما بين المتناقضات كما تقتضي مصلحة الإنجيل ومحبة المسيح: « فإني لو أُرقت سكيباً على ذبيحة إيمانكم وقربانه، لفرحت وابتهجت معكم جميعاً... فإن الجميع يلتمســون مـــا هــو لأنفسهم، لا ما هــو للمسيح يسوع » (فيل ٢: ١٧ و٢١). ويذهب مــردّداً: « إنمـــا حيـــاتي المسيح »!

تلك هي صورة بولس: إنه **نفحة للمسيح للحياة أو للممات:** « فشكراً لله الذي يقودنـــا من نصر إلى نصر في المسيح! وينشر بنا في كل مكان نفحة معرفته. فإنا لله نفحـــة المســـيح الطيبة في الخالصين وفي الهالكين: لهؤلاء نفحة موت للموت! ولأولئك نفحة حياة للحياة » (٢ كو ٢: ١٤ ــ ١٦).

فقد كان بولس الرجل الرجل، خَلْقاً وخُلْقاً! تبرز شخصيته الجبارة من أحواله وأعمالـــه وأقواله، ساطعة بالعبقرية والبطولة.

۞ ۞ ۞

بحث ثان

بولس الصوفي المسيحي

توطئة: بولس شخصية دينية من الطراز الأرفع

إن الحياة الدينية في الإنسان هي مقياس عقيدته، وميزان سلوكه. فالإنسان يحيا في ذاته، بحسب عقيدته، كما يظهر من سلوكه. وميزة بولس الكبرى، التي تظهر من سيرته ودعوته أنه شخصية دينية من الطراز الأرفع.

لقد توجه بولس، منذ حداثته، وهو الناشئ في بيئة هلنستية على الرعوية الرومانية والثقافة اليونانية، إلى تكميل علمه في عاصمة دينه. وكما ورث عن أبيه المواطنية الطرسوسية، والرعوية الرومانية، ورث عنه المذهب الفريسي، فكان « فريسيّاً ابن فريسي » (أع ٢٢: ٦). فزادت ميله الفطري إلى الحياة الدينية، دراسة الشريعة لدى أقدام جمالئيل (أع ٢٢: ٣)، والسلوك « على أضيق مذهب في ديننا » (أع ٢٦: ٤ ــ ٥).

وشهادته الصادقة لنفسه تجعل بولس **رجل الدين بالفطرة والكسب:** « إن ما كانت عليه سيرتي، منذ نعومة أظفاري، في أمتي، وفي أورشليم، لمعروف لدى الجميع. وهم يعرفون من زمن بعيد ــ لو شاؤوا أن يشهدوا ــ أني قد سلكت على أضيق مذهب في ديننا، فريسيّاً » (أع ٢٦: ٤ ــ ٥) واضطهاده للمسيحية الطالعة، شهادة قاطعة على الإفراط في النزعة الدينية، حتى التصلّب الفريسي (أع ٢٢: ٤ ــ ٥؛ ٢٦: ٩ ــ ١١). وتتجلّى فطرته الدينية، ويظهر ميله الصوفي، في عزلته الأولى ثلاث سنوات، وعزلته الثانية خمس سنوات. فكافأه الله « بالرؤى والإيحآت » حتى المعراج إلى الفردوس في السماء الثالثة (٢ كو ١٢: ١ ــ ٤). أخيراً كان الجهاد

المستميت في سبيل التوحيد والمسيحية، حتى الاستشهاد، آخر برهان قاطع على أن بولس رجل الدين بالفطرة والحياة، من الطراز الأرفع.

فهو الصوفي المسيحي الأول بحياته وتعليمه.

●

أولاً: بولس الصوفي الأول بحياته

إن سيرة بولس تظهره رجل الله، ورجل المسيح، ورجل الروح القدس نجيّ الثالوث القدسي، الذي بالروح يفهم سر الله وسر الإنسان وسر الكون، في المسيح.

١ ـ بولس هو « رجل الله »

بولس يصف تيموتاوس الذي رسمه حديثاً أسقفاً عنه في أفسس: بأنه « **رجل الله** » (١ تيم ٤: ١١). والمعلم هو أحق بهذا اللقب الكريم من تلميذه. لقد كان بولس « رجل الله » بكل معنى الكلمة.

كان كذلك وهو الرابيّ الفقيه في اليهودية. ثم جاءَت الهداية المعجزة إلى المسيحية تصقل ميله الفطري إلى الدين؛ فكان في كل سيرته ورسالته، يحيا لله الآب، في المسيح يسوع، بالروح القدس. هذا هو « رجل الله » الكامل.

ورجل الله هو **رحل الصلاة ورجل العمل** يتناوبان في سبيل الله.

فنشيد « البركات الروحية » التي باركنا بها الله الآب، في المسيح ـ ذلك النشيد الذي يستفتح به الرسالة الجامعة باسم الأفسسيين ـ دليل استغراق بولس في سر الله. فصار لا يفهم في الوجود إلا محبة الله ومحبة الإنسان، التي يسكبها الله بروحه فينا (رو ٨: ٣٥ ـ ٣٦؛ ١ كو ١٣).

وبولس ينسب هدايته والكشف له (غلا ١: ١٥ ـ ١٦) ودعوته للمسيح، إلى الله الآب. فهو المبدأ والمعاد، العلة والغاية: « وعليه فمنذ الآن لا نعرف أحداً بحسب البشرية! ولو كنا عرفنا المسيح بحسب البشرية، فالآن لا

نعرفه كذلك. فمن كان في المسيح، فهو خليقة جديدة! فالقديم قد اضمحل، وكل شيء قد تجدّد! والكل من الله الذي صالحنا مع نفسه، بالمسيح، وائتمننا على خدمة المصالح... وأودعنا دعوة المصالحة. فنحن سفراء المسيح، كأنما الله يعظ بنا » (٢ كو ٥: ١٦ ـ ٢١).

ففي حب المسيح، والدعوة له بروحه، بولس هو رجل الله الآب.

●

٢ ـ الإيمان المطلق « بالرب يسوع »، « المسيح المخلص »

من مظاهر حياة بولس الدينية، وصوفيته المسيحية، إيمانه المطلق « بالرب يسوع »، وحبه الكامل « للمسيح المخلص ». هذا البلاغ الرسولي قد جعله بولس شعار حياته ورسالته ودعوته. **فهو رجل المسيح على الإطلاق.**

وهذا الإيمان المطلق بالمسيح يسوع، والحب الطاغي له، يقوم على رؤية يسوع الناصري المصلوب في مجد الله، وعلى الكشف الرباني الذي رافقها لسر المسيح في ذاته، وسر المسيح في ذات الله: « لمّا ارتضى الله ـ الذي فرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته ـ **أن يكشف ابنه فيّ**، لأبشّر به بين الأمميّين، للوقت لم أصغ إلى اللحم والدم (أي إلى نوازع البشرية)، بل انطلقت إلى ديار العرب » (غلا ١: ١٥ ـ ١٧)، يعتزل العالم ليستغرق في كشف الله.

لقد انطبعت، بختم الروح، صورة المسيح في نفسه، فكانت رؤيته **انقلاباً شاملاً كاملاً.** فهو لا يرى من بعد في الكون والإنسان إلاّ المسيح، في نور الله؛ ويقارن بين خلق الإيمان في نفسه، وخلق النور من الظلمة: « لأن الإله الذي قال: (ليشرق من الديجور نور)، هو الذي أشرق في قلوبنا، لكي تسطع فيها معرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦).

فمنذ خلْق الإيمان والمحبة والرجاء في نفس بولس المسيحي، صار « خليقة جديدة! فالقديم قد اضمحل، وكل شيء قد تجدّد! » (٢ كو ٥: ١٧). وظل الإيمان والمحبة والرجاء تعمل في بولس حتى

عرّج، في إسراء روحي، إلى الفردوس في السماء الثالثة، وسمع كلام الله من فم الله نفسه (٢ كو ١٢: ١ ــ ٤). حينئذٍ اتحدت نفسه بالمسيح حتى كان يصيح: « المسيح حياتي »! « الحياة في نظري هي المسيح »! (غلا ٢: ٢٠).

فلا يعيش بولس إلاّ لهذا الإيمان العامل بالمحبة، على أمل اللقاء بالحبيب والفناء فيه: « أما نحن، فمن الروح، وبالإيمان، ننتظر البرّ المرتجى. إذ لا قوة في المسيح يسوع، إلاّ للإيمان العالم بالمحبة » (غلا ٥: ٥). وبهذا الإيمان العامل بالمحبة، انطبعت في نفس بولس صورة المسيح، وفي جسده سمات الرب يسوع: « فلا يُعنّني أحد فيما بعد، لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع » (غلا ٦: ١٧). فلم يبلغ الوجد الصوفي حتى الفناء في المعبود المحبوب، ما بلغه في نفس بولس وجسده.

لقد أصبحت حياته كلها للمسيح. **فلا يخلو سطر من رسائله من ذكر المسيح**. ويحب أن يستفتح كل رسالة بهذا اللقب البليغ: إنه « عبد » و« رسول » ليسوع. فهو يعتبر رسالته ودعوته سفارة للمسيح: « فنحن سفراء المسيح، كأنما الله يعظ بنا » (٢ كو ٥: ٢١)؛ كما يعتبرها خدمة لإخوة المسيح، تقوم على التضحية المتواصلة: « إني أُتمّ في جسدي ما ينقص من آلام المسيح، لأجل جسده، الكنيسة، التي صرت لها خادماً على مقتضى تدبير الله » (كول ١: ٢٤ ــ ٢٥). فقد صار مع سائر الرسل « عبيداً لكم من أجل المسيح » (٢ كو ٤: ٥). وصار هو كلاً للكلّ لأجل المسيح: « فإذ كنت حرّاً من الجميع، عبّدت نفسي للجميع، لكي أربح الأكثرين... وصرت كلاّ للكل، لأخلص على كل حال بعضاً منهم » (١ كو ٩: ١٩ ــ ٢٣).

فحياته الداخلية، ورسالته الخارجية، مظهران متكاملان للإيمان المطلق بالمسيح، والرجاء الوطيد باللقاء به، والفناء في حبه. وهذه هي الحياة الصوفية المسيحية، كما يحياها بولس. أنه بمطلقه رجل المسيح.

●

٣ ـ الاستسلام المطلق لروح الله والمسيح

بهدايته، في « رؤية مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦)، انتقل بولس « من عهد الحرف إلى عهد الروح » (٢ كو ٣: ٦). فالعهد المسيحي، في نظره هو أيضاً **عهد الروح القدس**. فالمطابقة كاملة: إن الحياة في المسيح هي أيضاً الحياة في الروح (غلا ٢: ٢٠ مع رو ٨: ٢ و١١)؛ والكيان في المسيح (رو ٨: ١) هو أيضاً الكيان في الروح (رو ٨: ٥)؛ لأن الروح هو في الكتاب ذروة مواعيد العهد المسيحي.

فنحن في عهد الروح، لأننا في عهد المسيح: فنحن بالمسيح في شريعة الروح، وتحت سلطانه (رو ٧: ١٨ و٢٥؛ ٨: ٢ و٤)؛ و« ثمار الروح » بادية على وجه بولس وفي سيرته (غلا ٥: ٢٢)، وأهمها سلام الروح (١ تس ١: ٦) وفرح الروح (غلا ٥: ٢٢) وسط استشهاد متواصل. ومظاهر الحياة في الروح خارقة وعادية: فالخارقة هي مواهبه التي بهرت العالم الوثني (١ كو ٢: ٢٨؛ ١٤: ١٢)؛ والعادية هي الإيمان والرجاء والمحبة (١ كو ١٢: ٣١)؛ والطريق المثلى في الحياة المسيحية هي حياة المحبة في الروح، التي ينشد لها بولس النشيد المعجز (١ كو ١٣ كل). وبما أن الروح حياتنا في المسيح، فعلينا أن نسلك بحسب الروح، كما يفعل بولس (رو ٨: ٩ و٣: أفس ٤: ٣٠؛ غلا ٥: ٢٥). ويرى بولس روح الله يشرف بنفسه على تنظيم الكنيسة وتوزيع المسئوليات فيها بمواهب مختلفة (١ كو ١٢: ٤ ـ ١١). فميزة العهد المسيحي والحياة المسيحية أنْ نحيا « ونعبد بحسب الروح الجديد، لا بحسب الحرف العتيق » (رو ٧: ٦).

فالاستسلام المطلق لروح الله والمسيح هو الحياة « في المسيح » أو « في الروح » كما يرادف بولس بين التعبيرين. فهو يحيا تلك الحياة، بالروح في المسيح، بأسمى معانيها، وأرفع مواهبها، على جميع أنواعها (١ كو ٣: ٤ ـ ١١) من الرؤيا، إلى الوحي والتنزيل، إلى الكشف المباشر، إلى الإسراء والمعراج إلى الفردوس في السماء الثالثة، ومكاشفة الحق سبحانه (٢ كو ١٢: ١ ـ ٤). وهو يجلّي في مظاهرها كلها، من رسالة، إلى نبوءة أو

تعليم، إلى معجزات أو مواهب الأشفية حتى إحياء الميت، إلى إعانة أو تدبير، إلى أنواع الألسنة والترجمة (١ كو ١٣: ٢٧ ـ ٣٠؛ ١٣: ٦). إن بولس يحيا في المسيح حياة الروح بكل معانيها، كما تجلت في تأسيس المسيحية.

فبولس هو رجل الروح، في عهد الروح: « وأظن أنا أيضاً أن فيّ روح الله » (١ كو ٧: ٤٠). وبروح الله يفهم « سر المسيح الذي فيه جميع كنوز الحكمة والغنوص » (كول ٢: ٢ ـ ٣)؛ ويعرف أن عهد الله الجديد بالمسيح هو عهد الروح، لا عهد الحرف: « تلك هي الثقة التي لنا بالمسيح لدى الله... الذي قدّرنا أن نكون خداماً لعهد جديد، لا عهد الحرف، بل عهد الروح؛ والحرف يقتل، والروح يحيى » (٢ كو ٣: ٤ ـ ٦). فالعهد الجديد بالمسيح هو أيضاً عهد الروح، وعهد الحياة الإلهية فيه. وبولس هو **رجل الروح على الإطلاق**، بالاستسلام المطلق لروح الله والمسيح.

•

٤ ـ بولس نجيّ الثالوث القدسي

فبولس ـ رجل الله الآب، وعبد الرب يسوع، وحامل الروح ـ هو نجيّ الثالوث القدسي في التوحيد الخالص. وهو يصوّر عقيدة التثليث في التوحيد، وعمل الثالوث القدسي في نفس المسيحي، بهذه الصورة الرائعة: « لا جرم إن المواهب على أنواع، إلاّ أن الروح واحد؛ وأن الخدَم على أنواع إلاّ أن الرب (يسوع) واحد؛ وأن الأعمال على أنواع إلاّ أن الله واحد، وهو يعمل الكل في الكل » (١ كو ١٢: ٤). فهو يرى الوجود كله على نور التثليث في التوحيد.

وقد جمع أحد العلماء من رسائل بولس نحو **ثلاثين تصريحاً** للتثليث في التوحيد، وكلها على أساليب متنوعة لصلة المسيحي بالله، الثالوث القدسي ـ والقداسة بالنسبة لله الثالوث تعني التجريد والتنزيه عن المخلوق، التعدد المفطور عليه. ومثال صلة المسيحي بالله الثالوث خاتمة الرسالة الثانية إلى

الكورنثيين: « نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله (الآب)، والشركة في الروح القدس، تكــون معكم أجمعين » (١٣: ١٣).

وهذه الحياة في الله الثالوث قد خبرها بولس قبل أن يخبر عنها. فكــان بتلــك الصــلة الوجودية، الوجدانية، الوجدية، بالثالوث القدسي، الله الواحد الأحد، نجيّ الثالوث فــي التوحيــد الخالص.

•

٥ ــ بالروح يفهم بولس سر الله والكون والإنسان في المسيح

في عرْف بولس، أن « سر الله المسيح الكامنة فيه جميع كنوز الحكمــة والغنــوص » (كول ٢: ٣). بهذا التصريح يتحدى أهل الحكمة وأهل الغنــوص جميعــاً. وفلســفة الإنجيــل وصوفيته أن في المسيح سر الله وسر الكون وسر الإنسان. هذا ما يراه رجل الروح، ونجــيّ الروح، بالكشف الرباني أولاً (غلا ١: ١٦) ثم بالإسراء إلى عرش الله حيث رأى مــن آيــات ربه الكبرى (٢ كو ١٢: ١ ــ ٤).

ودعوته كلها تقوم على تبليغ السر الكائن في المسيح. فهو يدعو « بكلام الله الكامــل، بالسر الذي كان مكتوماً منذ الدهور والآباد، وأعلن الآن لقديسه... **السر الذي هــو المســيح فيكم** رجاء المجد الذي بشّر به » (كول ١: ٢٥ ــ ٢٨). فالمسيح هو ســر الله فــي الكــون والإنسان، هذا ما يسميه « حكمة الإنجيل » و« غنوص الإنجيل » أي علمه، « ليبلغــوا إلــى الفهم الكامل بكل غنــاه، إلى معرفة سر الله، المسيح المكنونــة فيــه جميــع كنــوز الحكمــة والغنوص » (كول ٢: ٣). نص رئيسي، في تكراره حكمة بالغة.

ويرتقي هذا الفهم لسر الله في سر المسيح، من الرسائل الكلامية أثنــاء أســفاره، فــي صلة الإنجيل بالشريعة الموسوية والحكمة اليونانية؛ إلى الرسائل الصوفية، فــي أســره الأول برومة، حيث يرى بالروح، في الله، سر المسيح في ذاته (إلى الفيليبيين)، وسر المســيح فــي الكون (إلى الكولوسيين)، وسر المسيح في الكنيسة والإنسان (إلى الأفسسيين).

وجواب بولس لأهل الشريعة، ولأهل الحكمة، ولأهل الغنوص واحد على الدوام: إن سر الله والكون والإنسان هو المسيح الذي صار لنا من الله حكمة وشريعة وغنوصاً. « بل كما هو مكتوب، ما لم تره عين ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر، ما أعده الله للذين يحبونه، فقد أعلنه لنا الله بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء، حتى أعماق الله » (١ كو ٢: ١٠).

ومن كان فيه روح الله، مثل بولس، « فعنده فكر المسيح » (١ كو ٢: ١٥).

●

٦ ــ روح الصلاة عند بولس

« صلّوا كل حين في الروح » (أفس ٦: ١٨). فكما يأمر تلاميذه: « اقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح » (١ كو ١٢: ١) كانت روح الصلاة حياة بولس.

ومن كان فيه روح الله والمسيح، ففيه « روح » الصلاة، صلة الوصل بين العبد وربه، والمسيحي وأبيه السماوي. فالروح هو الذي يحملنا على الصلاة: « والدليل على أنكم أبناء، أن الله قد أرسل إلى قلوبنا روح ابنه ليصرخ فيها: « أبّا » أي « يا أبتا » (غلا ٤: ٦)؛ وهو الذي يعلمنا الصلاة: « لأنا لا نعرف كيف نصلّي كما ينبغي؛ لكن الروح نفسه يشفع فينا بأنّات معجزة. والذي يفحص القلوب يعلم ما ابتغاء الروح، لأنه بحسب الله يشفع في القديسين » (رو ٨: ٢٦ ــ ٣٠). فبولس، مثل معلمه رجل الله، بسلطان الروح ووحيه.

من ميزات الصلاة عند بولس أنها **موجهة دائماً إلى الله الآب**، في نص صريح أربع مرات، ومرة واحدة للمسيح نفسه في إعلان إلهيته (رو ٩: ٥).

ومن مظاهرها أنها موجهة دائماً **بواسطة الرب يسوع** (رو ١: ٨؛ ٧: ٢٥؛ كول ١: ٣؛ ٣: ١٧؛ أفس ٧: ٢٠).

ويغلب على ابتهاله **صلاة الحمد**. نجدها مرتين عند يوحنـــا (١١: ٤١؛ ١٧: ١ ـــ ٥)؛ وثلاث مرات في الرؤيا؛ ومرتين عند لوقا (١٧: ١٦؛ ١٨: ١١) ومرتين عند متى (١١: ٢٥؛ ٢٦: ٢٦ ـــ ٢٧)؛ ومرة عند مرقس (١٤: ٢٢ ـــ ٢٣). أما عند بولس فهـــي متـــواترة نحـــو ثلاثين مرة. فبصلاة الحمد يستفتح رسائله (أفس ١: ٢؛ ٢ تس ١: ٣؛ ١ كو ١: ٤؛ ٢ كـــو ١: ١٢؛ رو ١: ٨؛ فيل ١: ٣؛ كول ١: ٣؛ أفس ١: ١٦؛ فيلمون ٤)، كما يتخللها هتـــاف الحمـــد من حين إلى حين، عند كل كشف من سر المسيح.

أجل كانت صلاة الحمد شائعة عند اليهود واليونان والرومان؛ لكن الحمد، عند بولس، ميزة صلاته وحياة روحه. لذلك فهو يطلب أن نعمل مثله كل شيء لمجد الله وحمـــده (١ كـــو ١٠: ٣٠؛ ١ تس ٥: ١٨؛ ٢ تس ١: ٣؛ ٢: ١٢؛ كول ٣: ١٧؛ فيلمون ١٧). ويوصي: « في كل وقت، وعلى كل حال، احمدوا الله الآب، باسم ربنا يسوع المسيح » (١ تس ٥: ٢٠).

فمظهر حياة الروح عند بولس هو الصلاة « في كل وقت، وعلى كل حال ». إنها صـــلة الوصل الدائمة بالله، بواسطة الروح، في المسيح.

●

٧ ـــ بولس يجمع الصلاة والرسالة، الدعوة والعمل

إن حياة الإيمان والمحبة والصلاة ـــ التي اعتزل لها بولس ثلاث سنوات ثم خمســـاً ـــ لا تكتمل إلاّ بالرسالة والدعوة: « قد كشف ابنه فيّ لأبشر به بين الأمميين » (غلا ١: ١٦).

جمع بولس الرسالة إلى الصلاة، فجعل يجوب أطراف العالم الهلنستي مـــن فلســـطين إلى سوريا إلى الأناضول، إلى اليونان، إلى الرومان، إلى الأسبان، وهو يردّد: « أجل أريد أن تعرفوا أيّ جهاد عنيف أعاني لأجلكم... حتى تبلغوا إلى الفهم الكامل بكل غناه، إلـــى معرفـــة سر الله في المسيح » (كول ٢: ١ ـــ ٢).

جمع العمل اليدوي إلى الدعوة. فكان يعيش من صناعته في حياكة الخيم، ويسد حاجات معاونيه. ثم يفلت من العمل إلى الدعوة، في وقتها وفي غير وقتها، في الجامع، وفي الأسواق، وفي البيوت، منتهزاً كل مناسبة، في كل مكان وزمان. وفي صفحة من الإلهام المعجز، يصف لنا استشهاده، كل يوم، في جهاده، لأجل المسيح والمسيحيين، تتضاءل أمامها بطولات الأنبياء والأولياء (٢ كو ١١: ٢٣ ــ ٣٣).

فالصلاة والدعوة والعمل اليدوي هي دعائم حياة بولس، في سيرته ورسالته. إنه رجل الصلاة ورجل العمل في آن واحد على الدوام. وهذا هو كمال الصوفية المسيحية في مثال بولس.

۞ ۞ ۞

ثانياً: بولس الصوفي الأول بتعليمه

نشعر، لدى قراءَة رسائل بولس، بإنسان من لحم ودم مثلنا يرتعش في « قبضة » الروح، ليبلغ بنفسه وبتعليمه الكمال المسيحي في جمال صوفيته.

١ ــ صوفية بالكسب والعطاء

إن الصوفي على نوعين: بالكسب أم بالعطاء. وبولس بلغ أعلى مراتب الصوفية بالكشف والعطاء، ونالها من فضل الله بالجهد والمجاهدة.

فكمال الصوفية عنده كان بالاستغراق في الله بالعزلة، ثم بالاسترسال في خدمة الإنسان لوجه الله. فهو يتنقل من أحوال الوجد، إلى حالات الجهاد والجهد؛ ومن العمل والإرهاق إلى الوجد والاستغراق. وذلك بطبَعيّة كاملة، لأن محبة المسيح والمسيحيين فيه واحدة، وهي « تحثّه » بفعل الروح الواحد.

٢ــ الصوفية المسيحية، هي حياة الله الثالوث فينا

وتلك الصوفية المسيحية التي تتجلي لنا في بولس، ليست الصوفية الهندية في منازل النرفانا، ولا الصوفية الهلنستية في معارج الحكمة؛ ولا الصوفية في

دهاليز السرية؛ ولا الصوفية الإسرائيلية في العبودية المطلقة للجلال الإلهي، بتنزيـــه الخـــالق وتجريده عن الإنسان.

إنما الصوفية المسيحية هي، عند بولس، حياة الله الثالوث فينا. إنها الحياة لله الآب، في المسيح، بالروح. وهذا ما لا يمكن أن يحلم به مخلوق. تلك هي عبقرية الصـــوفية المســـيحية التي تسمو على كل صوفية.

ومن ميزتها أن بولس لا يفرّق بين حياة المسيحيين العاديين، والمســـيحيين الكـــاملين. إنها واحدة في جوهرها، وإنْ تفاوتت بالمنزلة والمنازل. فليست الصوفية المسيحية ميـــزة فئـــة خاصة من المؤمنين؛ إنها في متناول الجميع، قد نجدها عند الأمّي كما نجدها عند ابن المهنـــة. فكل مسيحي مدعو للكمال والوصال، بعماده وحياة روح الله فيه. ومواهب الروح القدس، التي تخلق في المعمود طاقات إلهية، ينالها كل مسيحي بالميرون في عماده، سُلّماً إلهية يرتقي بهـــا مثل بولس من حضيض بشريته إلى جوار ربه وحوار حبه. إن بولس لا يحيا إلاّ في المســـيح، بل المسيح هو الذي يحيا في بولس: « فلست أنا حيّ بعد، بل المسيح هو حيـــاتي! وإنْ كنـــت الآن أحيا في الجسد، فإني أحيا بالإيمان بابن الله، الذي أحبني وبذل نفسه لأجلـــي » (غـــلا ٢: ٢٠ ــ ٢١) فكما كان المسيح نفسه يحيا من أبيه، كذلك يحيا المسيحي، من المسيح وبه وفيـــه، للآب السماوي، بفعل الروح الإلهي الذي فيه. إنها حياة وجودية. إنها حيـــاة إيمـــان ومحبـــة، وصوفية إيمان عامل بالمحبة (غلا ٥: ٥). إنها حياة « روحية »، أي حياة بـــروح الله فينـــا؛ فالحياة في المسيح هي عند بولس الحياة بروح الله: « فيما أن الروح حياتنا، فلنســـلك بحســـب الروح » (رو ٨: ٩ و١٣؛ أفس ٤: ٣؛ غلا ٥: ٢٥). وهذه الحياة هـــي الإســـلام المطلـــق، والاستسلام الكامل لروح الله: « فإننا لا نعرف كيف نصلّي كما ينبغي، لكن الروح نفسه يشفع فينا بأنـــّات معجزة » (رو ٨: ٢٦).

٣ ــ عبقرية الصوفية المسيحية كما تظهر عند بولس

بولس مجمع البحرين للثقافة الكتابية، وللثقافة الهلنستية. وهذا شـــبهة علـــى مصـــادر كلامه وصوفيته. إنما هي شبهة ظاهرة، لا أساس لها في الواقع.

فالميزة الكبرى في الصوفية المسيحية كما يحياها بولس ويعلّمها إنما هي الحياة في الروح، وبالروح، ومع الروح. وهذا ما لا نعرفه في صوفية أخرى على الإطلاق.

فهي **حياة وحدة مع الله**، وحدة وجودية كيانية حياتية ــ في كامل التجريد والتنزيه، وصلة الوصل فيها بالله الآب هو المسيح نفسه « الذي يحل فيه جسديّاً ملء اللاهوت كله » (كول ٢: ٩)؛ وعامل الوصل والوصال هو روح الله والمسيح العالم فينا.

فلا تذوب فيها كالفناء الهندي! ولا تأليه كالاستعلاء الهلنستي! ولا إلحاد كالغنوص في وحدة الوجود. إن الصوفية المسيحية، بحسب بولس، اتصال ووصل ووصال **مع الله الآب، في المسيح، بالروح القدس**. وهذه شركة ــ بدون شرك ولا إشراك ــ في حياة الحي القيوم في ذاته الصمدانية الثلاثية. وهذه ميزة لم يحلم بها بشر على الإطلاق، إنما كشفها روح الله، مكمّلاً عمل المسيح، للرسل الحواريين، خصوصاً لبولس الذي كان مهيّئاً أكثر من جميعهم لفهمها وتعليمها.

٤ ــ الصوفية المسيحية « حياة جديدة »

بولس يصف لنا التحول في المسيحي لصورة المسيح وحياته فيه: إننا بعد الاغتسال والتقديس « باسم الرب يسوع، وبروح الهنا » (١ كو ٦: ١١)، نلبس المسيح روحيّاً، **فيصير المسيح والمسيحي واحداً**: « أنتم الذين في المسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم » (غلا ٣: ٢٧).

فيشع في كيان المسيحي نور المسيح، بالحياة الجديدة التي يشترك فيها مع المسيح، لأن العماد في المسيح موت معه وقيامة معه، رمزيّاً وواقعيّاً، لحياته الإلهية: « أتجهلون أنّا، جميعَ مَن اعتمدوا في المسيح، قد اعتمدنا في موته؟ لقد دُفنّا معه، بالمعمودية، للموت؛ حتى إنّا، كما أقيم المسيح من بين الأموات في مجد الآب، نسلك نحن في **حياة جديدة**. لأننا، إذا كنّا قد متنا مع المسيح، نؤمن أيضاً أنّا نحيا معه... فاحسبوا أنفسكم أمواتاً للخطيئة، أحياء لله، في المسيح يسوع » (رو ٦: ٣ ــ ١١).

هذه هي « الحياة الجديدة » في المسيحي: إنها مسحة من الله، وختم في المسيح، وقيام الروح فيه كعربون الحياة الإلهية فيه: « إن الذي يثبتنا معكم في المسيح هو الله، الذي قد مسحنا (فجعلنا مسحاء في المسيح) وهو الذي ختمنا أيضاً وجعل الروح عربوناً في قلوبنا » (٢ كو ١: ٢١ ــ ٢٢).

بهذه الصلة الوجودية الكيانية التي يبعثها العماد بالله الثالوث، في المسيحي، يتحوّل إلى صورة الله من جديد، « مشابهين **لصورة ابنه** » (رو ٨: ٢٩) الذي « هو صورة الله الغير المنظور » (كو ١: ١٥).

٥ ــ الصوفية المسيحية هي حياة « بنوة الله » فينا

ميزة الدين المسيحي على كل دين أنه ينقل المسيحي من حالة عبد لله بالفطرة، إلى حالة ابن لله، بالتبني في المسيح: « والدليل على أنكم أبناء كون الله أرسل إلى قلوبنا روح ابنه، ليصرخ فيها « أبّا » أي « يا أبتا ». فأنت إذن لست بعد عبداً، بل أنت ابن! وإذ صرت ابناً، فأنت أيضاً وريث لله » (غلا ٤: ٦ ــ ٧)، « وريث لله، ووريث مع المسيح » (رو ٨: ١٧) فصارت حياة الله فيه من حقه في الدنيا والآخرة. تلك هي حياة البنوة الإلهية.

ويشترك المسيحي في بنوة المسيح لله بالعماد الذي يجعل المسيح والمسيحي واحداً في الكيان والحياة، وبالقربان الذي يغذي هذه الوحدة في الكيان والحياة.

بهذه الصلة الكيانية الوجودية التي يبعثها العماد بالله الثالوث في المسيحي، يتحوّل إلى صورة المسيح في ذاته وحياته، « مشابهين لصورة ابنه » (رو ٨: ٢٩) « الذي هو صورة الله الغير المنظور » (كول ١: ١٥). وبولس يركّز على كون المسيح « صورة الله » (٢ كو ٣: ١٨؛ ٤: ٤؛ رو ٨: ٢٩)، فيها « نرى مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦)، التي نتحول إليها في الحياة المسيحية: « فالرب هو الروح... ونحن جميعاً، والوجه سافر، نعكس كما في مرآة مجد الرب، فنتحول إلى تلك الصورة التي تزداد بهاءً بحسب فعل الرب، الذي هو روح » (٢ كو ٣: ١٧ ــ ١٨). **إنها صورة البنوة الإلهية فينا** وحياتها فينا: « ونحن

الذين لهم الروح باكورة » نئن في أنفسنا منتظرين التبنّي، افتداءَ أجسادنا » (رو ٨: ٢٣). اليوم افتداء الروح، وفي السماء الجسد أيضاً لكمال التبني.

فالصوفية المسيحية هي حياة « بنوة الله » فينا.

٦ ـ الصوفية المسيحية تجعل الإنسان « خليقة جديدة »

قبل المسيح كان العالم يقسم إلى أهل الكتاب والتوحيد وإلى الأمُيين أي الأمميين. لكن بالمسيح ظهر **إنسان ثالث** هو « **الإنسان الجديد** الذي خُلق على صورة الله في البرّ والقداسة الحقة » (أفس ٤: ٢٤). وهذا الإنسان الجديد يتخطّى الفوارق المذهبية والعنصرية والجنسية (أفس ٢: ١٥؛ غلا ٣: ٢٨). فجميع الناس واحد في المسيح (كول ٣: ١١).

وهذا الإنسان الجديد هو « **الخليقة الجديدة** » في الكون: « فمن هو في المسيح، فهو خليقة جديدة: إن القديم قد اضمحلّ! وكل شيء قد تجدّد » (٢ كو ٥: ١٧). لقد زالت المقاييس القديمة: « فليس الختان بشيء، ولا القلف، بل الخليقة الجديدة » (غلا ٦: ١٥).

وهذه « الخليقة الجديدة » تتم **بولادة جديدة إلهية،** بالماء والروح (يوحنا ٣: ٥ قابل ١ يو ٥: ١ و٤) أي « بغسل الميلاد الجديد، والتجديد في الروح القدس » (تيطس ٣: ٥). فالروح القدس، بالعماد والميرون والقربان، يخلق المسيحي خلقاً جديداً على صورة المسيح: ابن الله.

٧ ـ فالعهد الجديد هو عهد الروح القدس

برفع المسيح إلى السماء، نزل روح الله على الأرض، ودخلت البشرية في عهد الروح. وبولس يردّ كل خوارق الحياة الجديدة إلى المسيح، كبيئة الكيان الجديد في جسد المسيح السري؛ وإلى الروح القدس، العامل الأول ومصدر هذه الحياة الروحية الإلهية الجديدة في الإنسان: « فإنا جميعاً قد اعتمدنا بروح واحد، لجسد واحد... وسُقينا جميعاً من روح واحد » (١ كو ١٢: ١٣). فالعهد الجديد، كما هو عهد المسيح، هو أيضاً عهد الروح القدس.

فالروح القدس هو حياة الصوفية المسيحية وتظهر هكذا عبقرية الصوفية المسيحية على كل صوفية، كما رفع **دعائمها الثلاث بولس:** إنها حياة البنوة الإلهية للآب، في جسد المسيح السري أي في وحدة كيانية مع المسيح، بفعل الروح القدس القائم والعامل في المسيحي.

تلك هي ميزات الصوفية المسيحية على العالمين، كما اختبرها بولس، وعلّمها في رسائله.

●

خاتمة: تصاريح بولس نتيجة خبرة روحية أكثر مما هي منطق كلامي

برؤية مجد الله على وجه المسيح، على طريق دمشق، دخل بولس الحياة الصوفية المسيحية: « كشف فيّ ابنه » (غلا ١: ١٦)، « فاستولى عليّ » المسيح (فيل ٣: ١٢) كما يستولي روح الله على الأنبياء. وظل بولس يرقى في الحياة الصوفية المسيحية حتى بلغ الإسراء إلى الفردوس في السماء الثالثة، وكاشف الحق سبحانه (٢ كو ١٢: ١ ــ ٤).

هذا الواقع يفسر حقيقة بعض التعابير عنده بكل أبعادها الصوفية: « لكي يؤتيكم إله ربنا يسوع المسيح، أبو المجد، روح الحكمة والوحي في معرفته السامية » (أفس ١: ١٧)؛ فيكونون « معلّمين من الله » ــ باليونانية اسم واحد مركب ــ (١ تس ٤: ٩)، بروحه القدوس الذي يكشف في أعماق الوجدان أبوة الله، وبنوة المؤمنين (غلا ٤: ٥؛ رو ٨: ١٥). وهكذا يصير الشعور بالمسيح الحيّ في المؤمن مصدر حياته (غلا ٢: ٢٠)؛ والشعور بروح الله والمسيح يكشف فيه أسرار الله (١ كو ١: ١٧؛ ٢: ١٦). بذلك الشعور الصوفي يقدر بولس أن يسمع أنّات الكون الذي يطمح إلى البلوغ إلى حرية أبناء الله (رو ٨: ١٩ ــ ٢٣).

إن الحياة الصوفية السامية عند بولس تجعل تصاريحه نتيجة خبرة روحية أكثر مما هي منطق كلامي. إنها ثمرة الوحي والحياة الصوفية في أسمى درجاتها.

إن بولس هو الصوفي المسيحي الأكبر. وهذا لا يمنعه أن يكون أيضاً المتكلّم الأكبر في تفصيل الإنجيل، والرسول الأكبر للمسيحية.

۞ ۞ ۞

بحث ثالث

بولس الرسول

توطئة: بولس شخصية جامعة

إن بولس **كرجل** شخصية جامعة. فهو اليهودي والهليني معاً؛ وهو الرسول المفكر والعامل معاً؛ وهو الكاتب والخطيب معاً؛ وهو في دعوته النبي الملهم والمتكلم الملهم معاً.

وإن بولس **كرسول** أيضاً شخصية جامعة. فهو الرسول من بني إسرائيل ينقل إلى العالم الهلنستي دعوة المسيح؛ وهو الرسول المولود في العالم الهلنستي يوطّن المسيحية في الهلنستية « بتهلينها » في صيغتها؛ فهو « رسول الأمميين » دعوةً وخطابة وكتابة؛ وهو الرسول ينقل شهادة الرسل العامة وتجربته الخاصة في المسيح، مع كلامه الملهم في الشهادة والخبرة؛ فهو يبقى عبر التاريخ المسيحي **المتكلّم الأول** في المسيحية. فدراسة شخصيته سبيل إلى فهم رسالته وشهادته.

فشخصية بولس الرسول كانت على مفترق الطرق بين الموسوية والمسيحية، وعلى فاتحة الطريق للدعوة المسيحية بين الأمميين، وعلى أساس تدوين، الشهادة المسيحية بين الكاتبين الملهمين. فهو الذي **أعطى المسيحية صيغتها الهلنستية** التي سادتها عبر الدهور، فنقلها من التعبير السامي، إلى التعبير الهلنستي.

ففي عرْف بولس، إن هدايته وبعثته متلازمتان: تقوم صحة رسالته على صحة رؤيته للسيد المسيح في نور القيامة ومجد الله. وفي هدايته وبعثته سر رسالته ودعوته، وسر رسالاته ورسائله.

●

أولاً: هداية بولس إلى المسيحية

إن هداية بولس محور فهم شخصيته ورسالته؛ لذلك استقطبت درس الدارسين، ونقد الناقدين.

١ ـ تفسيرات قاصرة لهداية بولس إلى المسيحية

لقد حاول بعضهم تفسير هداية بولس بردّها إلى **أسباب طبيعية**.

فذهب قوم إلى أنها نتيجة **حالة مرضية** عند بولس. وهذا تفسير متهافت لمصدر العبقريات والبطولات والمعجزات ـ وكل ما في رسائل بولس من شهادات ينفي هذا الزعم الموهوم.

وادّعى قوم أن هدايته كانت نتيجة **أزمة ضمير** ثار في بولس على اضطهاد المسيحيين بغير حق، تجاه صمودهم الجبار، مثل اسطفان، أمام الاستشهاد. فثار عليه وجدانه ينقض عمله وتفكيره ـ وكل ظروف الهداية تنفي وجود أزمة ضمير عند بولس لدى هدايته.

ونسبها قوم إلى **أزمة فكر** قامت فيه بين الدعوة المسيحية وحياة أتباعها، والحياة التي كان يحياها بحسب الشريعة، في عجز الإنسان عن إقامة أحكامها، وهي لا تقود إلى التبرير ولا إلى الخلاص من جسد الخطيئة الذي يحمله كل إنسان، كما يريدون أن يفهموا من تقريره عجز الإنسان، اليهودي أولاً ثم الهلّيني، عن اكتساب رضى الله، كما في رسالته إلى الرومانيين ـ لكن أخبار الهداية عند لوقا وبولس نفسه لا أثر فيها لأزمة فكر عنده حين هدايته.

وجاء فريق من القائلين **بسلطان اللاشعور** في قيادة أعمالنا، ففسروا هدايته بنضج الرواسب اللاشعورية، وبروزها إلى حالة الشعور الحاد عند وصوله إلى أبواب دمشق لاضطهاد الأبرياء. حينئذٍ صفت تلك الرواسب اللاشعورية، فراقت ورقت حتى نفذت إلى الشعور الواعي فآمن بالمسيح وظن أنه يراه.

وقام فريق من القائلين بعلم مقارنة الأديان، ولجأوا إلى **تفسير تاريخي** يرد أسباب هدايته إلى أساليب التعبير في دعوته. لقد كانت نتيجة تفاعل

عناصر نشأته، في نفسه، من تربيته الإسرائيلية، إلى نشأته الهلنستية، إلى تطور الكلام الإسرائيلي الإسكندري أو الغنوصي الذي درسه، إلى جدال زميله في الدراسة اسطفان، وسائر الهلّينيين المسيحيين؛ فقادته جميعاً إلى اختيار الإيمان بالمسيح على اضطهاد المسيحيين ــ لكن فساد هذه النظرية يقوم على فساد وضع النتيجة في موضع العلة. لقد استخدم بولس ثقافته في التعبير عن مسيحيته؛ لكن ثقافته ما كانت لتهديه إلى المسيحية التي قام يضطهدها في الوطن، ويلاحقها في المهجر!

أخيراً وافى فريق المفسرين بمقارنة النصوص، فقالوا: إن ما جاءَ في بولس عن نفسه: « لما ارتضى الله ــ الذي فرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته ــ أن يكشف ابنه فيّ لأبشر به بين الأمميين ــ للوقت لم أصغ إلى اللحم والدم » (غلا ١: ١٥ ــ ١٦)، كان **سبب وضع الروايات الأربع في قصة هدايته**. إنها قصص موضوع يروي هداية طبيعية ــ لكن المشكل الأكبر الذي لا سبيل لهم إلى حله هو: كيف يقدر الموحّد الفريسي أن يؤمن فجأة بأن يسوع الناصري المصلوب هو « ابن الله »؟ والتأليه كفر محض عنده!

فكل هذه الأسباب الطبيعية لتفسير هداية بولس، بدون معجزة، تبوء بالفشل، وينقضها هذا التحول المفاجئ الجذري من الكفر إلى الإيمان، ومن التوحيد الخالص إلى التثليث في التوحيد. وقد اتفقت شهادة المصادر كلها عند بولس ولوقا على إعلان المعجزة في هداية بولس. ولا يصح تكذيب شهيد في شهادته: لقد صرعه المسيح برؤيته، وكشف له سره. فسبب هدايته هو هذه المعجزة التي أحدثت فيه انقلاباً شاملاً كاملاً، لا تفسير له بحسب الطبيعة والتاريخ والفلسفة والعلم، فسره بولس نفسه باستعارة إشراق الله للنور من الديجور: « لأن الإله الذي قال (ليشرقْ من الديجور نور) هو الذي أشرق في قلوبنا لكي تسطع فيها معرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦).

●

٢ ــ صحة الروايات في هداية بولس المعجزة

إن صحة الروايات في هداية بولس المعجزة لا ترقى إليها شبهة؛ ولا يطعن في إجماعها المنسجم ما يظهر من تعارض في بعض التفاصيل الجانبية، ذلك التعارض في ما هو عَرَضي إنما هو دليل الثقة بصحة الحدث المعجز.

وما إيراد قصة الحدث المعجز في **أربع روايات** الأولى بقلم لوقا، والأُخَر على لسان بولس نفسه في دفاعه عن نفسه أمام الشعب الثائر عليه في الهيكل، وأمام السنهدرين وأمام الوالي الروماني، وأمام الملك اغريبا، سوى صورة للواقع التاريخي المعقول. وليس ذلك من قبيل المصادر المختلفة، أو أسلوب الرواية عند الأقدمين بالتكرار للتأكيد، أو الطريقة السامية التي تهوى المراجعات في القصة أو القضية، أو أسلوب طريف من لوقا نفسه لتأكيد الحادث بروايته أربع مرات في ظروف مختلفة. إنما نقل لوقا الحدث المعجز في زمنه بروايته التاريخية، ثم أثبته على لسان بولس في رواية ثانية تُظهر رؤيته للمسيح الرب في نور الله، وفي رواية ثالثة تعلن أمر المسيح لبولس بالدعوة، وفي رواية رابعة تظهر أن الإيمان بالقيامة من عقيدة إسرائيل نفسه.

والروايات الثلاث على لسان بولس أخذها لوقا عن بولس نفسه، وهو رفيق جهاده.

وللتوكيد على صحة الرؤية الحسية على طريق دمشق، فلوقا يميزها عن الرؤيا الروحية للرب يسوع في هيكل أورشليم بالكف عن الدعوة فيها (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١). وبولس يميّزها عن الإسراء ــ « بالجسد أم خارج الجسد، لست أعلم، الله يعلم » ــ « إلى الفردوس في السماء الثالثة » (٢ كو ١٢: ١ ــ ٦).

فالحدث المعجز تاريخي، وقصته بأربع روايات صحيحة لا شبهة عليها من ذاتها؛ ولا أثر فيها لتأثير يهودي، أو هلنستي، أو هلّيني مسيحي؛ أو لأزمة فكر أو ضمير أو شعور، أعدت بولس لتخيّل ما رأى ببصره وبصيرته. فعقيدة بولس التوحيدية، ونشأته الفريسية والتلمودية، وعزيمته العنيفة على اضطهاد أتباع الناصري المصلوب ــ والصلب عار العبيد عند

اليهود، لا دليل على « مسيحية » يسوع ــ كلها دعائم للحدث المعجز، والانقلاب الفجائي الشامل الكامل في بولس.

وما تفسير روايات لوقا، في هداية بولس المعجزة، ببعض أقوال من بولس إلاّ من باب **إلقاء الشبهات** المقصودة المدسوسة.

فقول بولس: « وعليه فمنذ الآن لا نعرف أحداً بحسب البشرية! وان كنّا قد عرفنا المسيح بحسب البشرية، فالآن لا نعرفه كذلك » (٢ كو ٥: ١٦)، لا يعني أن بولس لم يرَ المسيح في بشريته المجيدة. إنما هو ردّ ضمني للذين يطعنون بصحة شهادة بولس لأنه لم يكن من صحابة المسيح في دعوته؛ لأن الشهادة القيّمة القائمة للمسيح لا تقوم على مشاهدته في بشريته، بل على مشاهدته في قيامته. فعهد بشريته قد انتهى بالاستشهاد، وقام عهد إلهيته بقيامته من الموت والقبر إلى حياة الله، كما يتضح من قوله: « مَن كان في المسيح، فهو خليقة جديدة! فالقديم قد اضمحلّ، وكل شيء قد تجدّد » (٢ كو ٥: ١٧). فهو شاهد لمسيح الإيمان أكثر منه ليسوع التاريخ.

وقول بولس: « وسمعتُ صوتاً يقول لي باللغة العبرية: شاول؛ شاول! لِمَ تضطهدني؟ إنه لصعب عليك أن تَرفس المناخس » (أع ٢٦: ١٤)، لا يعني بروز أزمة الفكر أو الضمير التي سبقت ورافقت هدايته. فقول الرب له: « إنه لصعب عليك أن ترفس المناخس » هو قول مأثور، واستعارة ناطقة لحقيقة الرؤية والواقع المحسوس المشاهد. فبولس يشهد باستقامته في اضطهاد المسيحية، وهو على يهوديته: فهو « من حيث الغيرة مضطهد للكنيسة؛ ومن حيث برّ الشريعة بلا لوم » (فيل ٣: ٦). ويشهد بضرورة الرسالة الملقاة على عاتقه في هدايته: « فإن الدعوة بالإنجيل ضرورة موضوعة عليّ » (١ كو ٩: ١٦) أي واجب مقدس أُمر به في رؤيته، لا أزمة نفسية، لأن عليه أن « يُدرك المسيح كما أدركه المسيح » (فيل ٣: ١٢).

وما نظرة بولس في عجز الشريعة عن حمل ضعف البشرية بدون النعمة، للخلاص من « جسد الموت » الذي نحمله (رو ٧: ٧ ــ ٢٥)؛ أو في

ضعف الطبيعة البشرية للخلاص بذاتها من الخطيئة (رو ٣: ١ ــ ٢٠)؛ أو بغضب الله المعلن من السماء على كل كفر وظلم بين الناس (رو ١: ١٨؛ ٢: ٢)؛ بدلائل على أزمة ضمير أو أزمة فكر هيأته للهداية. إنها نظرات منه صادقة ــ لاحقة، لا سابقة ــ يظهر فيها فضل الإنجيل والإيمان على الشريعة والحكمة.

فليس في تلك الاستشهادات من شهادات أو تأويلات للواقع التاريخي في هداية بولس المعجزة، على طريق دمشق؛ وليس فيها من تفسير طبيعي للحدث المعجز.

●

٣ ــ نوعية الحدث المعجز: أهو رؤيا روحية أم رؤية حسية؟

لقد انقضى الزمن الذي كان الدهريون يفسّرون فيه كل رؤيا بنتيجة حالة مرضية، أو استعداد فطري للوهم والرؤيا الموهومة، أو الشعور الواعي عند بروز الرواسب اللاشعورية، أو حدّة دماغية ترى في حالة خاصة ما لا يُرى بحسب العادة.

فإجماع المؤمنين على أن حادث دمشق كان معجزة.

لكن ظهر أخيراً بينهم خلاف: أكان الحادث المعجز رؤيا روحية أم رؤية حسية؛ فقال بعضهم: إنها **رؤيا روحية صوفية،** لأن الروايات الثلاث (أع ٩: ١ ــ ٢٩؛ ٢٢: ٣ ــ ٢١؛ ٢٦: ٩ ــ ٢٠) كلها تؤكد جازمة أن النور السماوي البارق فجأة حول بولس، ضربه بالعمى، لذلك فقد رأى المسيح بالبصيرة لا بالبصر؛ وسمع كذلك الصوت في داخله لا بأذنه الحسية؛ وبولس يذكر الكشف الرباني « فيّ » أي في داخله (غلا ١: ١٦). وتأكيداته المتواترة، على زعمهم، بأنه رأى المسيح الرب في قيامته مثل الرسل (١ كو ١٥: ٣ ــ ٨)، وأنه يعدّ نفسه من جملة شهود القيامة (١ كو ١٥: ١ ــ ٨)، لا تقتضي بالضرورة رؤية حسية: لأن الرؤيا على طريق دمشق مذكورة مثل الانخطاف الروحي في الهيكل

بأورشليم (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١)؛ فقد كانت رؤيا حقيقية، لكنها ليست حسية. وكذلك قولهم في تأكيداته الأخرى عن الحادث المعجز (١ كو ١٥: ٨؛ فيل ٣: ٦ ــ ٨؛ ٢ كو ٤: ٦) فإنها لا تفي بالضرورة رؤية لا يُتوقع حدوثها بعد ارتفاع المسيح إلى السماء، وانتهاء ظهوراته الحسية « مدة أربعين يوماً » (أع ١: ١ ــ ٤). وفي نعتهم لها بأنها « روحية »، فهم لا ينكرون واقعيتها، بل يميّزون نوعها، لقد كان حادث دمشق، في نظرهم، أولى التجارب الصوفية عند بولس؛ ثم تواترت.

لكن فاتهم أن بولس يركّز صحة شهادته على صحة مشاهدته للمسيح مثل الاثني عشر؛ والرؤية الحسية لمسيح القيامة هي أساس الشهادة، كما شرعه الرسل قبل انتخاب البديل عن يهوذا، « ليكون شاهداً معنا بقيامته » (أع ١: ٢١ ــ ٢٢). ففي إنجيل القيامة، يضع بولس مشاهدته للمسيح في منزلة مشاهدات الرسل كلها (١ كو ١٥: ١ ــ ٨). وهذا الواقع يقطع بحسية الرؤية.

وبولس يميّز، في تعبيره، بين رؤية المسيح بالبصر، والكشف الرباني معها في البصيرة (غلا ١: ١٥ ــ ١٦): فالرؤية كانت حسية، والكشف روحيّ.

والعمى الذي أصاب بولس في رؤيته لم يكن قبل الرؤية، بل بعدها، فالعمى نتيجة الرؤية (أع ٩: ٣ ــ ٩). فالنور الذي رآه كان نور المسيح في قيامته بصريح عبارته: « وإذ كنت لا أبصر لبهاء ذلك النور » (أع ٢٢: ٦ ــ ١١).

وبولس يميّز في خطابه بين رؤية المسيح في نور قيامته (أع ٢٢: ٦ ــ ١٦) ورؤيا الرب في هيكل أورشليم، والتي يسميها « انجذاباً » (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١). ويزيدنا بياناً تمييزه مرتين في قصة إسرائه إلى السماء « بالجسد، أم بدون الجسد لا أعلم، الله يعلم » (٢ كو ١٢: ٢ و٣). فبمقارنة تلك الأحوال الثلاثة يتضح أن رؤية دمشق كانت مثل رؤية بطرس الذي يصرح: « نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته » (أع ١٠: ٤١).

وشهادة الرسل، وبطرس، وبولس، بقيامة المسيح لا تقوم إلاّ على هذه الرؤية الحسية. لذلك يبني بولس رسوليته على هذه الرؤية: « ألستُ رسولاً؟ **أما رأيت يسوع ربنا** »؟ (١ كو ٩: ١)، « وآخر الكل **ظهر لي** أنا أيضاً، كأنما للسقط » (١ كو ١٥: ٨).

فهذه رؤية حسية حقيقية تختلف عن هذا التعبير المجازي: « لئلا يضيء لهم نور إنجيل المسيح الذي هو صورة الله »، بإسناد النور للإنجيل؛ وعن هذا التعبير المعنوي: « أعدّ كل شيء تافهاً، لقاء هذا الربح العظيم، معرفة المسيح يسوع ربّي، الذي لأجله نبذت كل شيء » (فيل ٣: ٦ ــ ٨). فالمماثلة في التعبير، لا تعني المقابلة في الموضوع.

وهذه الرؤية الحسية، والكشف الروحي فيها لحقيقة المسيح، كانت انقلاباً مفاجئاً، وشاملاً كاملاً، في بولس لا يستقيم ورؤيا وهمية أو معنوية أو روحية، فقد كان نفوره، مثل بني قومه، من مسيح مصلوب عظيماً ــ لقول الشريعة: « ملعون كل مَن عُلّق على خشبة » (التثنية ٢١: ٢٣؛ غلا ٢١: ١٣) ــ فإذا به ينتقل من الكفر إلى الإيمان، ومن النفور إلى المحبة، يدعو ويستشهد ليشهد ليسوع الناصري المصلوب بأنه المسيح ابن الله: وهذا الإيمان على النقيض من عقيدته اليهودية.

فقد كان الحدث المعجز **رؤية حسية بالبصر** الذي بهره نور المسيح « واستولى عليه » (فيل ٣: ١٢)؛ ورؤيا روحية بالبصيرة التي بهرها نور الإنجيل، الذي «أشرق في قلوبنا » كما بعث الله النور من الظلمة في الخلق (٢ كو ٤: ٦)؛ وهذه الرؤيا الروحية كانت كشفاً لابن الله في المسيح، « لما ارتضى الله أن يكشف ابنه فيّ » (غلا ١: ١١ ــ ١٢ مع ١٥)، ووحياً للإنجيل: « فإن إنجيلي لم أتسلمه ولا تعلمته من إنسان، بل بوحي يسوع المسيح » (غلا ١: ١١ ــ ١٢).

•

٤ ــ مقارنة بين إيمان بولس، وإيمان الرسل

لقد كانت رؤية بولس للمسيح في نور قيامته، من نوع رؤية الرسل وسائر شهود القيامة: حسية، بالبصر.

لكن الفارق بينهما أن رؤيتهم كانت قبل ارتفاع المسيح إلى السماء، ورؤيته كانت على سبيل **الاستثناء** بعد الصعود.

هم انتقلوا، في إيمانهم، من أعمال وأقوال وأحوال يسوع التاريخ، إلى مسيح القيامة والإيمان؛ أما بولس فقد أراه الله على طريق دمشق مسيح الإيمان في يسوع التاريخ.

ففي معرفة حقيقة يسوع المسيح، هم صعدوا من بشريته إلى إلهيته؛ وبولس نزل من إلهيته إلى بشريته.

هم استوعبوا سر المسيح على قدر فطرتهم، وبولس استوعبه على قدر ثقافته الكتابية والهلنستية. لذلك نقل الإنجيل مثلهم، وكان المتكلم فيه أكثر منهم.

لكن « سواء كان أولئكم أم نحن، فهكذا ندعو، وهكذا آمنتم » (١ كو ١٥: ١١).

●

ثانياً: هداية بولس وبعثته رسولاً

إن قصة هداية بولس تأتي بأسلوب دعوة الأنبياء الأولين: فهل هدايته وبعثته رسولاً تمّتا في زمن واحد؟ وهل ما يسميه بولس « إنجيلي » هو الإنجيل الذي يدعو به الاثنا عشر؟ وهل رسالة بولس من نوع رسالة الاثني عشر؟

١ ـ الأسلوب في قصة هداية بولس كبعثة الأنبياء

إن أسلوب الرواية في هداية بولس، على ما يبدو، كبعثة الأنبياء مثل موسى واشعيا وارميا وحزقيال. ومعنى هدايته على هذه الطريقة قد بيّنه بولس نفسه ولوقا، وفهماه بحسب أسلوب دعوة الأنبياء العظام للرسالة.

فبولس يصف دعوته في رؤيته (غلا ١: ١٥ ـ ١٦) بأسلوب اشعيا في رؤياه العظيمة (ف ٦؛ ٤٩: ١) وارميا (١: ٥)، فالرؤيا عند الثلاثة

تُسمَّى « كشفاً » (غلا ١: ١٥)؛ وبولس يقول « من جوف أمي » مثل أرميا. فالمسيح يــدعو بولس كما دعا الله الأنبياء.

وبما أن بولس يعتبر نفسه « رسول الأمميين »، فهو يصور بعثته بحســب الصــورة التي أعطاها أشعيا الثاني « لعبد الله » المرسل « نوراً للأمميين » (٤٩: ٩). فتصاريح بولس عن بعثته (غلا ١: ١٥؛ ٢ كو ٦: ٢) نسخة عن بعثة « عبد الله » الموعود (٤٩: ٩ [١]).

وبما أن بولس يطبق على نفسه نبوءة أشعيا الثاني في « عبد الله » فهو يستهل رسائله دائماً بهذا اللقب: « من بولس، عبد يسوع المسيح »؛ ويقدم نفسه للكــورنثيين صــورة عــن المسيح، « معاوناً » له في الرسالة، ويستشهد بأشعيا (٤٩: ٩)؛ كما يقول للغلاطيــين: « لقــد قبلتموني كملاك الله، بل كالمسيح » (٤: ١٤).

وفي كل تصاريحه بصحة رسالته (رو ١٤: ١١؛ غلا ٢: ٢؛ فيل ٢: ١٦؛ ١ تــيم ٣: ٥) يعتمد بولس على رؤية المسيح، مستشهداً بأشعيا (٤٩: ١٨؛ ٤٥: ٢٣؛ ٤٩: ٤). فقد فهــم بولس سر هدايته، كما فهم الأنبياء معنى بعثتهم؛ خصوصاً كما صوّر أشعيا « عبد الله » بأنــه « **نور للأمميين** »؛ فأخذ عنها بولس لقب « **رسول الأمميين** ».

ولوقا أيضاً، تلميذ بولس، يصور بعثة معلمه بأسلوب بعثة الأنبيــاء. فقولــه (أع ٢٦: ١٦ ــ ١٨) إشارة إلى أشعيا (٥٢: ٦ و٧ و١٦) وإلى حزقيال (٢: ١) وإلى أرميــا (١: ٧ ــ ٨).

وقول لوقا في رؤيا المسيح لحنانيا: « قال له الرب: انطلق فإنــه لــي أداة مصــطفاة ليحمل اسمي أمام الأمميين والملوك وبني إسرائيل » (أع ٩: ١٥) هو إشارة لطيفة إلى قــول الله لأرميا (١: ١٠).

---

(١) أقوال بولس تطابق أقوال أشعيا: رو ١٤: ١١ = أش ٤٥: ٢٣؛ كذلك ٢ كــو ٦: ١ = أش ٤٩: ٤؛ كذلك ٢ كو ٦: ٢ = أش ٤٩: ٨؛ كذلك فيل ٢: ١٦ مع غلا ٢: ٢ مع ١ تيم ٣: ٥ = أش ٤٩: ١٤؛ كذلك ٢ كو ٤: ٦ = أش ٤: ١ مع ٤٩: ٦ و٩؛ كذلك رو ١٥: ٢٠ – ٢١ = أش ٥٢: ١٥. وقد تطابق أقوال أرميــا (٢ كو ١٠: ٨ مع ١٠: ١٠ = ارميا ١: ١٠).

وينقل لوقا قول بولس في خطابه ليهود أنطاكية بيسيذية: « إن الرب هكـذا أوصـانا: إني جعلتك نوراً للأمميين، لخلاص أهل الأرض إلى أقاصيها » (أع ١٣: ١٤)؛ وهو يطـابق قول أشعيا في المسيح (٤٩: ٦).

كذلك « قول الرب في الرؤيا لبولس: لا تخف! بل تكلم، ولا تسكت فـإني معـك، ولا أحد يلقي عليك يداً ليلحق بك أذى، فإن لي في هذه المدينة شعباً كثيـراً » (أع ١٨: ٩ ــ ١٠) هو قول الله لأشعيا (٤١: ١٢).

فإن لوقـا يعتبر بولس نسـخة طبق الأصل عن معلمه السيد المسيح في تطبيق نبـوة « عبد الله ». فالتطبيق الأصلي هو للمسيح: إنه « عبد الله » كما وعد بـه أشـعيا (الإنجيـل بحسب لوقا ٢: ٣٢ = أشعيا ٤٢: ٦؛ ٤٩: ٦؛ الأعمال ١٣: ٧ = أشـعيا ٤٩: ٦؛ أع ١٨: ٩ – ١٠ = أش ٤٨: ١٠). وما بولس سوى صورة طبق الأصل للمسيح « نور الأمميين »: فهو « رسول الأمميين ».

وقد تنجم عن ذاك الأسلوب **شبهة على صحة بعثة بولس:** فقد قال بعضهم بأن وحـدة الأسلوب في بعثة الأنبياء وبعثة بولس دليل على خلق بعثة بولس، بدون أساس لها في التاريخ والواقع. إن وحدة الأسلوب في العرض دليل عند لوقا وبولس نفسه على الحقيقـة التاريخيـة وعلى منزلة بولس في بعثته: إنه نبي المسيح بدعوة مباشرة منه (غلا ٢: ٥) مثل دعوة أشعيا (ف ٦) وأرميا (ف ١) وحزقيال (٢: ١ ــ ٣: ١١) بدعوة منه تعالى. إنها تستمد واقعها مـن حقيقة رؤية المسيح على أبواب دمشق، ولو وردت بأسلوب الأنبياء الأولين.

●

٢ ــ هل كانت هداية بولس وبعثته في وقت واحد؟

اختلف العلماء على **ثلاثة أقوال:**

بعضهم يرى أن بعثة بولس قد تمت في هدايته، بحسب قوله: « فلمـا ارتضـى الله ــ الذي فرزني من جوف أمي ــ أن يكشف فيّ ابنه، لأبشر به

بين الأمميين... » (غلا ١: ١٥ ــ ١٦). والواقع أن بولس يذكر دائماً بعثته في هدايته، كما رأينا في أسلوب روايتها. والواقع الثاني أن بولس ينسب بعثته دائماً إلى الله مباشرة، لا إلى سلطة بشرية، ويقول في إنجيله: « إني لم أتسلمْه من إنسان ولم أتعلمه، بل بوحي يسوع المسيح » (غلا ١: ١١ ــ ١٢) والواقع الثالث أن الرب يكشف لحنانيا معنى ظهوره لبولس وهدايته: « إنه لي أداة مصطفاة، ليحمل اسمي أمام الأمميين والملوك وبني إسرائيل » (أع ٩: ١٥).

ــ لكن فاتهم إن بولس في نظرته اللاهوتية إلى الأمور يتخطّى الفوارق الزمنية كقوله « فرزني من جوف أمي »، فهو يردعثته إلى تصميم الله في خلقه، وهذا ليس ظاهر التاريخ. وحنانيا حين يفسّر لبولس معنى رؤيته، « أنّ الرب يسوع قد أرسلني لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس » (أع ٩: ١٧) لا يذكر شيئاً عن دوره كرسول. فيجب التمييز دائماً بين النظرة اللاهوتية والنظرة التاريخية إلى الأحداث: فنظر الصوفي يتخطى أحداث التاريخ.

وبعضهم يرى أن بعثة بولس للرسالة قد تمت بعد هدايته بعشر سنوات ونيف فلوقا يميّز بين الزمانين، فيذكر أولاً الهداية مع الشهادة والتعليم كأحد « الأنبياء والمعلمين »، ثم الاصطفاء للرسالة في « ليترجيا الرب » برسامة كهنوتية أسقفية، في أنطاكية (قابل ٩: ١ ــ ٩ مع ١٣: ١ ــ ٤). وبولس نفسه منذ أول رسالة له يميّز بين العهدين: « إن الله ائتمننا على الإنجيل، بعد أن اختبرنا، لذلك نتكلم » (١ تس ٢: ٣). ويوجز العهدين ويسميهما عهد النعمة وعهد الرسالة، بقوله في ختام رحلاته الرسولية الثلاث: « يسوع المسيح ربنا، الذي به نلنا النعمة والرسالة » (رو ١: ٦).

فليس من خلاف بين نظرية بولس العقائدية الصوفية، ونظرة بولس التاريخية: فكلاهما يميزان بين عهد الهداية وعهد الرسالة.

ونحن نرى، مع بعضهم، أن ما بين دعوة بولس للإيمان ودعوته للرسالة، ما بين الهداية والبعثة، حالة وسطاً تجمع ما تشابه في القولين: حالة الشهادة للمسيح بعد هدايته. إن بولس بهدايته وعماده صار كسائر المسيحيين وفي

طليعتهم شاهداً للمسيح، وقد أعلن شهادته بدمشق وبأورشليم وبأنطاكية، ما بين عزلتين. فالعهد عهد شهادة، لا عهد رسالة رسمية، بعد هدايته. وظل مـن الشـاهدين، مـا بـين « الأنبيـاء والمعلمين » حتى اصطفاه الله مع برنابا للرسالة بسيامة كهنوتيـة (أع ١٣: ١ ــ ٤). وصـفه الشهادة في عهد الهداية وفي عهد الرسالة هي **الشبهة** التي توهم الوحدة بين العهـدين. ففـي سيرة بولس المسيحي هداية فشهادة ورسالة.

إن بولس مثل لوقا يميّز ما بين عهد الهدايـة والشـهادة، وعهـد الرسـالة والـدعوة الرسمية، بعد ما « استولى عليه المسيح[1] » (فيل ٣: ١٢). فهو يوجز سيرته بقوله فـي آخـر عهده: « إن الله واحد، والوسيط بين الله والناس واحد، وهو المسيح يسوع مـن حيـث هـو إنسان، الذي بذل نفسه فداءً عن الجميع. تلك هي الشهادة المؤداة في وقتها، والتي نُصبت أنـا لها **إنجيليا ورسولاً** ــ الحق أقول، لا أكذب ــ **معلّماً** للأمميين في الإيمان والحقيقة » (١ تـيم ٢: ٥ ــ ٧). فكان « إنجيلياً » ثم صار « رسولاً »، وفي الحالين كان « معلّماً للأمميـين ». وقد يشير إلى صفة « المعلم » برسائله، كما يقول أيضاً: « لأجل الإنجيل أُقمتُ أنـا **إنجيليّـاً ورسولاً ومعلّماً** » (٢ تيم ١: ١١). إنه « المعلم » خصوصاً برسائله! أما في سيرته فهو أولاً « الإنجيلي » ثم « الرسول ».

وما جرى لبولس، في أطوار دعوته، جرى للاثني عشر أنفسهم مـع المسـيح: فقـد دعاهم تلاميذ له، واصطفاهم صحابة له لإعدادهم للرسالة وائتمانهم على الإنجيـل! ثـم بعـد قيامته بعثهم للرسالة والدعوة بالإنجيل.

فبولس، بعماده بعد هدايته، صار « شاهداً » للمسـيح، بصـفة « إنجيلـي »، وبعـد اصطفائه للرسـالة بدعـوة خاصة من روح الله، ورسـامة كهنوتية في « ليترجيا الـرب »، « بوضع الأيدي »، صار « رسولاً » مؤتمناً على انجيل الله. وفي كلا الحالين، كشـاهد ثـم كرسول، فهو يستند دائماً إلى رؤية الرب، وكشف الإنجيل له، على طريق دمشق. لكن وحـدة الأساس

---

(١) هذا أيضاً تعبير أشعيا نفسه: « هكذا كلمني الله لما استولت يده علي » (٨: ١١).

في الهداية والشهادة، وفي الرسالة والدعوة الرسمية والدعوة الرسمية، لا تقتضي وحدة الزمن. فلم تكن هداية بولس وبعثته رسولاً في وقت واحد؛ بل هما عهدان متميزان في سيرته.

●

٣ ــ هل الرسالة عند بولس والاثني عشر واحدة؟

المشكل القائم إن بولس رسول، وإنْ لم يكن من صحابة المسيح. وهذه **الشبهة** ظل يلاحقه بها طوال حياته أولئك « الأخوة الكذبة »، المتطرّفون بين النصارى من بني إسرائيل. فهم يطعنون **بصحة رسوليته** لأنه لم يكن من صحابة المسيح، ولا من شهود العيان لسيرته ودعوته، فهو في نظرهم دخيل. وهذه الشبهة قائمة لأن بولس لم يكن من الصحابة ولا من شهود العيان لدعوة المسيح.

مع ذلك فبولس يؤكد على الدوام أنه « مفروز لإنجيل الله »، أنه « الرسول بدعوةٍ » من المسيح (رو ١: ١). ونراه في الرسالتين الدفاعيتين إلى الغلاطيين وإلى الكورنثيين يدافع دفاعاً حاراً عن حقه في الرسالة وعن صحة دعوته، بناءً على رؤية المسيح في نور قيامته، وتسلّمه الإنجيل من المسيح مباشرة. فما هو قسطاس الرسالة؟ وهل الرسالة عند بولس والاثني عشر، بموجب ذلك القسطاس، واحدة؟

نستطرد للجواب، بذكر المؤسسات الرسولية للدعوة الإنجيلية.

١) الواقع الرسولي: المؤسسات الرسولية للدعوة الإنجيلية[١]

هناك واقع رسولي يثير الإعجاب: فقد أقام الرسل الاثنا عشر مؤسسات للدعوة الإنجيلية تتقاسم العمل الرسولي. وبولس نفسه يعدّد بعضها في قوله: إن المسيح نفسه « هو الذي جعل بعضاً مرسلين، وبعضاً إنجيليين، وبعضاً رعاةً ومعلمين » (أفس ٤: ١١).

---

(١) هذا الفصل تتمة، بحسب بولس، لأبحاثنا في سفر أعمال الرسل.

ونرى بولس، قبل اصطفائه بدعوة خاصة للرسالة، « إنجيليّاً » كما يشهد لنفسه (١ تيم ٢: ٥ ـ ٧؛ ٢ تيم ١: ١١) من جملة « الأنبياء والمعلمين » (أع ١٣: ١)؛ يشهد للمسيح في دمشق وأورشليم وأنطاكية.

ونعرف من قصة بولس قبل هدايته أنه أخذ فرماناً شاهانيّاً من السنهدرين إلى جوامع دمشق (أع ٩: ٢): فهو مندوب رسمي، ومرسل من سلطة عليا (أع ٢٨: ٢١) لعمل محدود. ففكرة الرسالة والمؤسسة كانتا شائعتين في اليهودية قبل المسيحية؛ وكان لدى اليهود مؤسسة « الصالحين »، ومؤسسة « السائحين » بين يهود الشتات، من قِبَل السلطة المركزية في أورشليم. فاقتبست كنيسة الرسل عن بني قومهم فكرة مؤسساتها الرسولية، وتوسعت فيها.

فالمؤسسة الأولى هي جماعة « **الرسل الاثني عشر** ». والإنجيل، والعهد الجديد كله يحفظ اسم « الرسل » على الحصر والقصر للاثني عشر، صحابة المسيح. فقد اصطفاهم المسيح من بين تلاميذه ليكونوا معه (أي صحابته) ويرسلهم للدعوة، مع سلطان على طرد الشياطين » (مرقس ٦: ٦ ـ ١٣) ثم أعطاهم سلطاناً خاصاً بهم من دون سواهم، « سلطان الحل والربط » (من ١٨: ١٨) الذي ميّز به بطرس عليهم من قبل، فكان « صخراً » لهم في سلطانهم (متى ١٦: ١٨). في عددهم رمز لمؤسّسي « إسرائيل الله » الجديد، كما كان الأسباط في إسرائيل القديم (متى ١٩: ٢٧). فبعد دعوتهم كتلاميذ، واصطفائهم كصحابة له لإعدادهم للرسالة، فالمسيح نفسه يقيمهم « رسلاً » له بالمعنى الحصري، ليحملوا رسالة الإنجيل إلى العالم كله، كما نشهد في خاتمة متى ومرقس. وهذا السلطان الرسولي، المستمد من سلطان المسيح نفسه، هو في عرْفهم محصور فيهم لا يشاركهم فيه أحد، إلاّ باستنابة خاصة منهم. لذلك فهم يختارون من تابعي المسيح بديلاً عن الخائن يهوذا، ليكملوا به عددهم الرمزي الذي أراده المسيح نفسه، « فيكون شاهداً معنا بقيامته » (أع ١: ٢١ ـ ٢٢). فالرسول بالمعنى الحصري يُشترط فيه صحبة المسيح، ثم رؤية قيامته، ثم البعثة الخاصة للدعوة له، ولا ننسَ الشرط الرابع الجامع أن من صفات الرسالة المسيحية الرسمية: الكهنوت. فالإثنا عشر وحدهم حضروا عشاء الرب الوداعي، وأُمروا

بتجديد قربان الرب، إحياءً « لذكره ». لتلك الأسباب أو الشروط الأربعة، فالاثنا عشر هم **المؤسسة الرسولية الأساسية** التي بُنيت عليها الكنيسة، أورشليم الجديدة: « ولسور المدينة اثنا عشر أساساً، عليها اثنا عشر اسماً، هم أسماء رسل الحمل الاثني عشر » (الرؤيا ٢١: ١٤). فيوحنا الحبيب، آخر الرسل عهداً بتدوين الوحي الإنجيلي، لا يعترف باسم « رسول » بالمعنى الحصري إلاّ للاثني عشر صحابة المسيح.

من هنا قامت مشكلة بولس كرسول بالمعنى الحصري. لكن، إذا صح للاثني عشر أن يحصوا في عدادهم رسولاً بدل الخائن يهوذا، فكم بالأحرى يصح للمسيح نفسه أن يجمع إليهم بولس « الإناء المختار » للوحي الإنجيلي وحكمته.

المؤسسة الثانية، إلى جانب « المؤسسة الرسولية »، كانت **مؤسسة آل البيت** التي يسمي العهد الجديد أفرادها « **أخوة الرب** » أي أبناء عمه قلوباً. وكان زعيمهم يعقوب بن قلوبا، الذي أمّره النصارى من بني إسرائيل الأسقف الأول لأورشليم، بحضور الرسل، ومن دونهم، لأنه في عرفهم خليفة المسيح بحسب شريعة الدم والقربى، وزعيم آل البيت بعد المسيح. وكان لجماعة آل البيت عند النصارى من بني إسرائيل حرمة وكرامة الرسل الاثني عشر عند المسيحيين من الأمميين. وبولس بعد هدايته اكتفى بزيارة بطرس، زعيم الرسل؛ وزيارة يعقوب زعيم آل البيت (غلا ١: ١٨ ــ ١٩ وفي دفاعه عن سلوكه ضدّ معارضيه يجعل مؤسسة آل البيت في منزلة مؤسسة الرسل، مع الاحتفاظ لبطرس بالمقام الأول: « أما لنا حق أن نجول بامرأة أخت مثل سائر الرسل وأخوة الرب وكيفا؟ » (١ كو ٩: ٥). فهو يضع المؤسستين في منزلة واحدة، وعلى رأسهما بطرس « الصخر » = « كيفا ».

المؤسسة الثالثة هي « **جماعة المرسلين** » ــ ولا نترجم « الرسل » كما جرت العادة. يذكرهم بولس مراراً[1]. وهم الذين ظهر لهم يسوع بعد

(١) قابل ١ تس ٢: ٢٧؛ ١ كو ٤: ٩؛ ٢ كو ١١ و١٣؛ ١٢: ١٢؛ رو ١٦: ٧ ــ وربما ١ كو ٩: ٥؛ ١٢: ٢٨ و٢٩؛ أفس ٤: ١١؛ ٢: ٢٠؛ ٣: ٥.

قيامته (١ كو ١٥: ٧ مقابل ٥) فحق لهم أن يكونوا من شهودها ودعاتها. فالقسطاس الأساسي للرسالة المسيحية هو رؤية مسيح القيامة. فوجود هذه المؤسسة يؤيد حق بولس بأولى حجة في الرسالة: « ألست رسولاً؟ أما رأيت المسيح يسوع ربنا؟ » (١ كو ٩: ١).

ويقابلها عند بني إسرائيل مؤسسة « السائحين ».

المؤسسة الرابعة هي « **جماعة الصالحين** »، على مثال شبيهتها الإسرائيلية. وهم سفراء السلطة الرسولية العليا لدى الكنائس، كما نرى في صفة برنابا وعمله، لمّا بلغ خبر انتشار المسيحية بين الأمميين في أنطاكية « إلى مسامع كنيسة أورشليم، فأرسلوا برنابا إلى أنطاكية... وكان رجلاً صالحاً، ممتلئاً من الروح القدس، ومن الإيمان » (أع ١١: ٢٢ ـ ٢٤). فوصف « صالح » هو اصطلاح أكثر مما هو لغةً صفة. فيظهر برنابا زعيم مؤسسة « الصالحين » لذلك اعتمده الرسل مندوباً عنهم في أخطر رسالة واجهت المسيحية حتى الآن.

المؤسسة الخامسة هي مؤسسة الشمامسة، وزعيمهم اسطفان أول الشهداء للمسيح (أع ف ٦ ـ ٧). ومنهم الشماس فيلبس الذي كان له أربع بنات أبكار من مؤسسة الأنبياء. ومهمتهم الخدمة العامة في الجماعة (أع ٦: ٢) وفي « ليترجيا الرب »، والدعوة بالإنجيل مثل « فيلبس الإنجيلي »، الشماس المذكور (أع ٢١: ٧) الذي بدأ البشرى بالسامرة (أع ٨: ٥) وهدى بمعجزة قيّم الكنداكة ملكة الحبشة (أع ٨: ٢٦ ـ ٤٠)، ثم أقام في قيصرية فلسطين (أع ٢١: ٨ ـ ٩)، حيث زاره بولس، وربما اعتنى هو ببولس مدة أسره فيها.

ويقوم تأسيسهم وتأهيلهم للخدمة والدعوة « بوضع الأيدي » أي برسامة شبه كهنوتية من الرسل أنفسهم (أع ٦: ٦).

المؤسسة السادسة هي جماعة الأنبياء، أنبياء العهد الجديد. وكانوا كثيرين في مطلع الدعوة الإنجيلية. وروح النبوة لم ينقطع أبداً من المسيحية،

وإن لم يكن بشكل مؤسسة. عند بولس يرد اسمهم في المنزلة الثانية بعد « المرسلين »: « هو الذي جعل بعضاً مرسلين، وبعضاً أنبياء... » (أفس ٤: ١١). ولوقا أيضاً يذكرهم، ويُسمّي أحدهم، أغابس، الذي تنبأ بالمجاعة في المسكونة: « وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم على أنطاكية. فقام واحد منهم، اسمه أغابس، فأنبأ بالروح أنها ستكون مجاعة شديدة في المسكونة كلها. وقد وقع ذلك في أيام كلوديوس » (أع ١١: ٢٧ ــ ٢٨). وأغابس هو أيضاً الذي أنبأ بولس بتوقيفه إذا صعد إلى أورشليم (أع ٢١: ١٠ ــ ١١). وكان روح النبوة المنتشر بين المسيحيين يسترعي انتباه الأمميين، ويحرّض بولس على تنميته: « ابتغوا المواهب الروحية ولا سيما النبوة... فالذي يتنبأ يكلّم الناس كلام بنيان وموعظة وتعزية... فيبني الكنيسة » (١ كو ١٣: ١ ــ ٤).

المؤسسة السابعة هي مؤسسة الإنجيليين. يرد اسمهم عند بولس في المنزلة الثالثة، بعد المرسلين والأنبياء (أفس ٤: ١١) ــ وفي موضع آخر، المرتبة الثالثة للمعلمين (١ كو ١٢: ٢٨)، فيكون جرى تطور ــ والأصح أن ننقل اسمهم بحرفه اليوناني، « الإنجيليين »، لا بترجمته إلى « مبشرين » لئلا يضيع الاصطلاح المقصود. كانت مهمتهم حفظ الإنجيل وتلاوته على المؤمنين في الاجتماعات العامة والخاصة، كالقرّاء عند غيرنا. وكان عند اليهود مؤسسة « القرائين » أيضاً. ونعرف من الإنجيليين المسيحيين لوقا ومرقس. وكان مرقس « إنجيليّ » بطرس، ولوقا « إنجيليّ » بولس. وعلى هذا الأساس كانت نسبة الإنجيل بحسب مرقس إلى بطرس، ونسبة الإنجيل بحسب لوقا إلى تلقين بولس.

وبولس نفسه كان، بحسب شهادته، « إنجيليّاً »، قبل أن يصبح رسولاً (١ تيم ٢: ٥ ــ ٧؛ ٢ تيم ١: ١١). لذلك كثرت استشهاداته واقتباساته الإنجيلية في رسائله. ووظيفة «إنجيلي» ضمانة بأن إنجيل بولس تفصيل لإنجيل المسيح.

ومؤسسة « الإنجيليين » في العهد الرسولي هي **الضمانة الكبرى لصحة الاسناد** وتسلسله من المسيح إلى الرسل إلى الإنجيليين حتى تدوينه.

المؤسسة الثامنة والتاسعة هي جماعة « **الرعاة والمعلمين** ». نرى أنهم يتنازعون، عند بولس، المرتبة الثالثة بعد المرسلين والأنبياء: « فلقد وضع الله في الكنيسة بعضهم أولاً مرسلين[١]، وثانياً أنبياء، وثالثاً معلمين... (١ كو ١٢: ٢٧)؛ بينما يقول بعد زمن تطورت فيه المؤسسات: « وهو الذي جعل بعضاً مرسلين، وبعضاً أنبياء وبعضاً إنجيلين، وبعضاً رعاة ومعلمين » (أفس ٤: ١١ ـ ١٢).

فهل كان « الرعاة والمعلمون » مؤسسة واحدة أم مؤسستين؟ وإن ذكرهم بولس معاً، فنراه يميّز بينهم حيث « يلازم المعلم التعليم » (رو ٦: ١٧)، والراعي « تدبير » كنيسة الله (١ كو ١٢: ٢٨). ونراه يخاطب أساقفة أفسس بتعبير الرعاية: « فاحذروا لأنفسكم ولجميع القطيع الذي أقامكم فيه الروح القدس أساقفة لترعوا كنيسة الله » (أع ٢٠: ٢٨). فهل كانت مؤسسة الرعاة تشمل الأساقفة الذين ينتخبهم الرسل فيما بعد خلفاء لهم؟

أخيراً مؤسسة الكهنة والأساقفة. نذكرها أخيراً لأنها لا تدخل في تصنيف المؤسسات الرسولية، كما تشهد الآثار الكتابية. نرى تأسيس الشمامسة، لكن لا نشهد تأسيس الكهنة والأساقفة. نشاهدهم إلى جانب الرسل في مجمعهم بأورشليم ونشاهد بولس يرسم كهنة وأساقفة لكل كنيسة يؤسسها. ونشاهد بولس ينتدب سفيريه تيموتاوس وتيطس لرسامة كهنة وأساقفة. وهكذا نراهم أعوانا للرسل يتمتعون بسلطانهم، كتحديد العقيدة في مجمع أورشليم (أع ٣: ٣٠؛ ١٥: ٢ و٤ و٦ و٢٢ و٢٣؛ ٢١: ١٨).

يستخدم العهد الجديد تعبيرين من اللغة اليونانية الوثنية لتسميتهم: « الشيوخ والأساقفة » أي المتقدمين والناظرين في المجتمعات الدينية والاجتماعية. ويفوت الكثيرين **الفرق بين الاستعمال الحرفي الوثني والاصطلاح المسيحي.** فالرجوع إلى الحرف اليوناني خيانة للاصطلاح المسيحي الذي عاشه بولس

---

(١) وهو غير الرسل الاثني عشر. قابل ١ كو ١٥: ٥ و٧.

والرسل قبل تدوينه. وإذا لم يتضح المعنى كاملاً من العهد الجديد، فيجب الرجوع إلى كتب الآباء اليونانيين في القرون الأولى الذين عاشوهم، قبل اختلاف المسيحيين من بعدهم على معناهم الاصطلاحي. ولا يصح أن تفترض تطوراً غير مفهوم الرسل للحال بعد عهدهم. فقد اكتسب لفظ πρεσβύτερος (حرفياً شيخ) معنى « الكاهن » فلا يصح على الإطلاق ترجمة التعبير بحسب حرفه (شيخ) بل بحسب اصطلاحه المتواتر عن عهد الرسل: كاهن. فبولس وبرنابا يقيمان « كهنة (شيوخاً) وأساقفة » في جميع كنائسهم (أع ١٤: ٢٣)؛ وبولس يستدعي « كهنة (شيوخ) كنيسة أفسس »، ويسميهم أيضاً « أساقفة » (أع ٢٠: ١٧ و٢٨)؛ ويفوض تيطس بإقامة « كهنة ــ شيوخ » في كريت ويسميهم أيضاً « أساقفة » (تيطس ١: ٥ و٧). كذلك يُعطي تيموتاوس الشروط اللازمة لرسامة « الأسقف » ونرى « الشيوخ ــ الكهنة » يتمتعون بسلطانهم (١ تيم ٣: ٢؛ ٥: ١ و١٦ و١٧). وهذا الواقع برهان قاطع على أن معنى « الشيوخ » الحرفي اصطلاح « الكهنة ».

وفي العهد الرسولي كان يترأس كل كنيسة مجلس « أساقفة وكهنة » ولا يظهر تمييز بينهم. لكن نرى في تسليم بولس سلطان الرسول إلى تيموتاوس في أفسس، وإلى تيطس في كريت، لإقامة أساقفة وكهنة، دليلاً على تمييز خليفة الرسول بالسلطان الأعلى على مجلس الأساقفة والكهنة. وهكذا انتقلت الخلافة الرسولية إلى خلفاء الرسل بتعيين منهم. وهذا التفويض الرسولي لإنشاء الكهنوت خلق التمييز، منذ نهاية العهد الرسولي، بين الأسقف والكهنة. والرسائل الراعوية تذكر « الأسقف » بالمفرد.

ومؤسسة الأساقفة ــ الكهنة هي وحدها التي اشتركت مع الرسل في مؤتمر أورشليم لتحديد العقدية والشريعة ــ من دون سائر المؤسسات الرسولية ــ فهي وحدها الوريث الشرعي للسلطان الرسولي: « لقد رأى الروح القدس ونحن »! (أع ١٥ ــ ٢٨). وتسليم بولس سلطانه لنوابه هو شهادة الواقع التاريخي للخلافة الرسولية. ومؤسسة « الأساقفة والكهنة » هي وحدها التي بقيت من العهد الرسولي.

إلى جانب تلك المؤسسات الرسولية العشر، كان هناك **جماعات ذات مواهب خاصـــة**، يذكر منها بولس « أهل المعجزات، فمواهب الشفاء، فالإغاثة، فالتدبير، فأنواع الألســنة » (١ كو ١٢: ٢٨). وتلك المؤسسات وتلك الجماعات، كانت على « مقدار موهبة المسيح... منظماً هكذا القديسين، لأجل عمل الخدمة، في سبيل بنيان جسد المسيح » أي كنيسته (أفــس ٤: ١٢) ــ فالمؤسسات والجماعات الرسولية ينسبها بولس كلّها للمسيح نفسه لتنظيم « القديســين » أي كنيسة المسيح، لأن سلطان الرسل في تأسيسها، من سلطان المسيح نفسه.

ذاك هو الواقع الرسولي التاريخي لتنظيم كنيسة المسيح ونشر إنجيله. فكم هــو مثيــر للإعجاب، وكم كان مثالاً للمسيحية عبر الأجيال.

٢) والسوآل الآن: هل رسالة بولس من رسالة الاثني عشر؟

في بلاغ القيــامة، ينص بولس على أن المسيح ظهــر « للرســل » ثــم « لجميــع المرسلين » وأخيراً له « كما للسقط » (١ كو ١٥: ١ ــ ٦). فهل كانت رســالة بــولس مــن رسالة الصحابة الاثني عشر، أم من رسالة مؤسسة « المرسلين » الذين تقوم رسالتهم أيضــاً على رؤية المسيح في مجد قيامته؟

لقد رأينا للرسالة المسيحية بالمعنى الحصري **أربعة شروط:** صحبة المسيح، ثم رؤيتــه في مجد قيامته، ثم الرسامة الكهنوتية، ثم البعثة للدعوة. وهذه الشروط قائمة في رسالة بولس، ما عدا صحبة المسيح وهو على الأرض.

ولكن **صحبة المسيح كانت لأخذ الإنجيل عنه**. وقد تنازل المســيح وســلمه الإنجيــل بالوحي والتنزيل: « أيها الأخوة، اني أعلن لكم أن الإنجيل الذي بشّرت به، ليس هو بواســطة بشر، لأني لم أتسلمه ولم أتعلمه من بشر! بل بوحي من يسوع المسيح » (غلا ١: ١٢). فهــم أخذوا الإنجيل نجوماً، أما هو فقد نزل عليه جملةً.

وإنْ كان الرسل الاثنا عشر قد رأوا المسيح قبل رفعه، فبولس باســتثناء خــاص رأى مسيح القيامة نفسه بعد رفعه. وهذا امتياز خاص له. فقد رأى

بولس المسيح في نور قيامته، مثل الرسل، رؤية العين. لكنه امتاز على الاثني عشر بالإسراء إلى الفردوس في السماء الثالثة، سماء الله بحسب الكتاب.

والأصل في رسالته الاثني عشر هو اصطفاؤهم وبعثهم للدعوة؟ وهذا الشرط الأساسي قد تحقق عند بولس مثلهم: هم نالوا سلطان الرسالة من المسيح بعد قيامته، وهو أخذه كذلك بعد القيامة والصعود، باستثناء خاص.

وعلى الجملة، هم صاروا رسلاً عن طريق الدعوة العادية، وهو صار رسولاً عن طريق الاستثناء والمعجزة.

وقد اعترف الرسل، صحابة المسيح، بصحة رسالة بولس مثلهم في مؤتمر أورشليم، كما ينص هو نفسه، وتقاسموا عالم الدعوة، فكان هو باعترافهم « رسول الأمميين »: « لأن الذي عمل في بطرس للرسالة عند أهل الختان، عمل فيّ لها بين الأمميين » (غلا ٢: ٧ ـ ٩). فبولس يضع نفسه، من حيث الرسالة، في منزلة بطرس، زعيم الرسل. فالاثنا عشر هم الرسل حصراً، بتأسيس المسيح، وبولس هو « رسول الأمميين » (رو ١١: ١٣) بميزة خاصة، على مثالهم.

فرسالة بولس من رسالة الاثني عشر. هذا ما يؤكده أيضاً في صفاتها. إنه « الرسول بدعوة، المفروز لإنجيل الله... لأجل طاعة الإيمان بين الأمميين أجمعين » (رو ١: ١ ـ ٥). فهو يؤكد مراراً دعوة الله له للرسالة (غلا ١: ١٥) برؤية مسيح القيامة مثل الصحابة (غلا ١: ١٦؛ ١ كو ٩: ١؛ ١٥: ٨). ودعوته للرسالة كانت من الله والمسيح مباشرة، لا بواسطة إنسان مثل « المرسلين » الآخرين (غلا ١: ١).

لذلك فهو يعتبر نفسه « **سفير المسيح** »، « كأن الله يتكلم بواسطتنا » (٢ كو ٥: ٢٠)؛ فدعوته ليست « كلام بشر، بل كلام الله » (١ تيم ٢: ١٣).

وقد قبله الأمميون في كنائسه « **كملاك الله، كالمسيح يسوع** » (غلا ٤: ١٤).

إنه من « أنصار الله[1] » مثل الصحابة، الرسل الحواريين (١ كو ٣: ٩؛ ١ تيم ٣: ٢). بل « فليحسبنا الناس **كخدام المسيح، ووكلاء أسرار الله** » (١ كو ٤: ١).

وبولس يفضّل نفسه على موسى، كليم الله، وسيد الشريعة المنزلة: فالمسيح « قدّرنا أن نكون خداماً لعهد جديد، لا عهد الحرف، بل عهد الروح... وخدمة الروح تكتنفها هالة المجد... المجد الفائق » (٢ كو ٣: ٦ ــ ١١). فرسالة بولس أفضل من رسالة موسى، بمقدار ما عهد الروح أفضل من عهد الحرف!

وقد رأينا أنه يصف نبوته في دعوة الإنجيل بتعابير أعاظم أنبياء العهد القديم أشعيا وأرميا وحزقيال. فهو باسم المسيح **نبي الإنجيل ورسوله**، في العهد الجديد.

ويسمي « إنجيل الله »، « إنجيل المسيح »: « إنجيلي » (رو ٢: ١٦؛ ١٦: ٢٥؛ ١ كو ١٥: ١؛ ٢ تيم ٢: ٨)؛ ويؤكد خمس مرات أنه تسلمه بوحي إلهي، لا عن طريق البشر. إن الإنجيل واحد، ولا إنجيل غيره (غلا ١: ٧)، يدعو به بولس مثل سائر الرسل: « فسواء أنا أم أولئكم، هكذا ندعو وهكذا آمنتم » (١ كو ١٥: ١١). لكن بولس يسمي دعوته «إنجيلي» لأنه يختص بالدعوة للخلاص بالإيمان بالمسيح، لا بأعمال الشريعة؛ فهو إنجيل الإيمان وتحرير المسيحية من الموسوية. وفضل بولس في دعوته أيضاً انه يكشف « حكمة الإنجيل » أي « حكمة الله » فيه (١ كو ٢: ٦ ــ ٧)؛ وفضله « إني بوحي أوتيت معرفة سره » أفس ٢: ٣).

بتلك الامتيازات المعجزة في النبوة والرسالة صار بولس « رسول الأمميين »، أفضل من الأنبياء ومن موسى، بل صورة طبق الأصل للمسيح نفسه.

●

---

(١) « أنصار الله » صفة الرسل الحواريين في القرآن أيضاً (آل عمران ٥٢، الصف ١٤).

٤ ــ « إنجيل بولس »، والإنجيل بحسب الرسل الاثني عشر

موضوع الإنجيل بحرفه ومعناه واحد عند بولس وعند الرسل الاثني عشر. وقد كان بولس « إنجيلياً » يتلو الإنجيل في الاجتماعات العامة والخاصة، قبل أن يصير « رسولاً بدعوة خاصة » (رو ١: ١). هذا ما يؤكده بولس على الدوام (غلا ١: ٧؛ ١ كو ١٥: ١١). لكن أسلوب **العرض في تفصيل الإنجيل** يمتاز فيه بولس حتى سمى ذلك « إنجيلي » (رو ٢: ١٦؛ ١٦: ٢٥؛ ١ كو ١٥: ١؛ ٢ تيم ٢: ٨). فما هي أساليب الدعوة الرسولية، وما هو أسلوب بولس في « إنجيله »؟

١) أساليب الدعوة الرسولية ثلاثة:

الأسلوب الأول هو البلاغ[١] **الرسولي** أي الإعلان الإنجيلي أو البشرى بالخلاص في الإيمان بالمسيح، **والبلاغ موجه لغير المؤمنين**. ويقوم على الشهادة باستشهاد المسيح وقيامته؛ وخير مثال له بلاغ القيامة في (١ كو ١٥: ١ ــ ١١)، وبالاعتراف بما نتج عن الحدث الأعظم: بقيامته ظهر يسوع « ربّاً ومسيحاً » (أع ٢: ٣٦)، وخير مثال فاتحة الرسالة الرومانية.

فعناصر البلاغ ثلاثة: الاستشهاد، والقيامة، وربوبية المسيح.

والرسل هم شهود الحال والعيان. من يؤمن بذلك ينال الخلاص، بغفران الخطايا على الأرض، وبالحياة الأبدية في جنة الخلد.

والبلاغ لغير المؤمنين يسمى أيضاً **الشهادة**، وهي وظيفة الرسل الكبرى: « وتكونون لي شهوداً » (أع ١: ٨). وتلك الشهادة قد تقتضي الاستشهاد، فيكون شهادة الدم التي تؤيد شهادة الكلمة (٢ كو ٩: ١٣؛ رو ١٠: ٩ ــ ١٠؛ ١ تيم ٦: ١٢ ــ ١٣). وما سفر الأعمال، بخطبه العشرين، سوى مجموعة البلاغات الرسولية؛ ونرى كثيراً منها في تضاعيف

---

(١) البلاغ Kérygme التعليم Catéchèse .

رسائل بولس وسائر الرسل. على هذا الأساس يُسمّي بولس نفسه « الشاهد » للمسيح.

الأسلوب الثاني هو التعليم أي تفصيل الإنجيل للمؤمنين. والتعليم موهبة قائمة بنفسها (١ تيم ٢: ٧؛ ٢ تيم ١: ١١). وهي إما رسالة من الله (١ تس ٢: ٩؛ غلا ٢: ٢؛ رو ١٠: ٨ و١٤ و١٥؛ كول ١: ٢٣؛ ١ تيم ٣: ١٦)؛ وإمّا خدمة بتفويض من الكنيسة (١ كو ١: ٢١؛ ٢: ٤؛ ١٥: ١٤؛ رو ١٦: ٢٥؛ تيطس ١: ٣؛ ٢ تيم ٤: ١٧).

لذلك يقوم بالتعليم، في العهد الرسولي، مؤسسات خاصة: الإنجيليون والأنبياء والمعلمون. لكن التعليم الرسمي، بسلطان إلهي، فهو محفوظ للرسل وحدهم. وعلى هذا الأساس يسمي بولس نفسه « رسولاً ومعلّماً ».

وما الإنجيل بأحرفه الأربعة سوى تدوين التعليم المتواتر في بيئات أربع لسيرة المسيح ودعوته، كفله الوحي وشهد به الرسل. وما رسائل بولس والعهد الجديد سوى تفصيل لهذا التعليم.

الأسلوب الثالث هو الغنوص المسيحية أي التعليم « للبالغين » في الإيمان (١ كو ٢: ٦) وهو التعليم « الكامل »، « للكاملين » في الإيمان الذين صاروا خبيرين بتعليم البرّ (عبر ٥: ١٣ مع ٦: ١).

وهذا الأسلوب يتفرّع إلى **حكمة وسرّ**.

يقول بولس: « إننا ننطق **بالحكمة** بين البالغين... حكمة الله في السر المصون... وقد كُتب عنها: ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، هذا ما أعده الله للذين يحبونه، وقد أعلنه لنا الله بروحه، لأن الروح يفحص الكل حتى أعماق الله » (١ كو ٢: ٦ ـ ١٠) وحكمة الإنجيل نسميها الكلام المسيحي كما نراه في الرسائل الكلامية عند بولس.

و« الغنوص السامية » كما يسميها بولس (كول ١: ٩ و١٠) هي في كشف **السر العظيم**: « سر الله » (كول ٢: ٢) و« سر المسيح » (أفس ٣: ٤) و« سر الإنجيل » (أفس ٦: ١٩). هكذا نصل إلى

« معرفة سر الله، المسيح، الكامنة فيه جميع كنـــوز الحكمة والغنوص » (كول ٢: ٣). ومنها « أن الأمميين هم من أهل الميراث، وأعضاء في الجسد، وشركاء في الموعد، فـــي المســـيح يسوع في الإنجيل. وهذا السر لم يُعلن لبني البشر، في الأجيال السابقة، كما أعلنه الآن الـــروح لرسله القديسين وأنبيائه » (أفس ٣: ٦ و٥). ومنها كفر بني إسرائيل بالمســـيح، إلـــى أن تـــتم أزمنة الأمميين (رو ١١: ٢٥). وذروة تعليم السر هي **المسيح الكوني**، حيث يجمع الله تحـــت رأس واحد، المسيح، الكون كله (أفس ١: ٧). وتعليم السرّ نراه في الرسائل الصـــوفية عنـــد بولس.

ونرى عند بولس التطوّر من التعليم بأسلوب « الحكمة » إلى التعليم بأسلوب «السر»، في ختام رسائله الكلامية، في خاتمة الرسالة الرومانية: « وللقادر أن يثبتكم بحســـب إنجيلـــي، وبلاغ يسوع المسيح، لكشف السر المكتوم منذ الأزمنة الأزلية، والمعلن الآن بحسب أمـــر الله الأزلي في كتب الأنبياء، والمبلّغ إلى الأمميين أجمعين، لكي يُسْلِموا للإيمان ــ لله الحكيم وحده الحمد بيسوع المسيح إلى دهر الدهور آمين » (رو ١٦: ٢٥ ــ ٢٧).

هذه الخاتمة كانت فاتحة لتفسير « سر الإنجيل » بالرسائل الصوفية التي كتبها بـــولس في أسره بروما، للكشف عن سر المسيح في ذاته بالرسالة إلى الفيليبيين، وعن سر المسيح في الكنيسة، جسده الاجتماعي، بالرسالة إلى الأفسسيين، وعن سر المسيح فـــي الكـــون وتجديـــده بالرسالة إلى الكولوسيين.

تلك هي أساليب الدعوة الرسولية الثلاثة. منها نرى أن الإنجيل بحسب بولس والإنجيل في دعوة الرسل الاثني عشر واحد في الموضوع، مختلف في الأسلوب، ما بين البلاغ فالتعليم فالغنوص السامية.

٢) الإنجيل بحسب بولس وبحسب الاثني عشر واحد في الموضوع

إن البلاغ الرسولي في دعوة الأمميين هو موجز الإنجيل. والإنجيل الموجز في البلاغ الرسولي واحد عند الاثني عشر وعند بولس.

ففي البلاغ الرسولي الأول للشعب الإسرائيلي يقول بطرس باسم الرسل منذ

اليوم الأول: « فليعلم إذن يقيناً بنو إسرائيل جميعاً أن الله قد أقام يسوع، هذا الـذي صـلبتموه أنتم، ربّاً ومسيحاً » (أع ٢: ٣٦).

وهذا هو البلاغ عينه الذي يبلغه بولس للأمميين، كما كتب لأهل كـورنثس: « أيهـا الأخوة، إني أذكركم الإنجيل الذي بشرتكم به وقبلتموه، وأنتم فيه ثابتون، وبـه تخلصـون، إن حافظتم عليه كما بشرتكم به، ما لم يكن إيمانكم عن عبث. **فإني قد سلمت إليكم أولاً مـا قـد تسلمت أنا نفسي**: أن المسيح قد مات من أجل خطايانا على ما في كتب؛ وأنه قبر وقـام فـي اليوم الثالث على ما في الكتب! وأنه ظهر لكيفا ثم للاثني عشر؛ ثم ظهر لأكثر من خمسـمائة أخ معاً ـ أكثرهم باق إلى الآن، وبعضهم رقدوا ـ ثم ظهر ليعقوب، ثم لجميـع المرسـلين؛ وآخر الكل ظهر لي أنا أيضاً كما للسقط... **فسواء كنت أنا أم أولئكم**، فهكذا نـدعو، وهكـذا آمنتم » (١ كو ١٥: ١ ـ ١١).

فالإنجيل، من حيث هو البلاغ، واحد. وهو إعلان استشهاد المسيح وقيامته « من أجل خطايانا »، « وعلى ما في الكتب المقدسة ». وبولس يخـتم الـبلاغ بالتأكيـد علـى وحـدة الموضوع في التعليم: « فسواءٌ كنت أنا أم أولئكم، فهكذا ندعو وهكـذا آمنـتم »! والخـلاص المسيحي الموعود قائم على الإيمان بهذا الإنجيل الذي به تتحدى الـدعوة المسـيحية حكمـة العالمين: « لقد رضي الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الدعوة » (١ كو ١: ٢١).

وهذا الإنجيل قد سلمه بولس إليهم « **أولاً** » أي قبل كل شيء، وقبل تفصيله في حكمة الإنجيل، وفي سر الإنجيل.

ويصرّح بأن هذا الإنجيل قد « **سلّمه كما تسلّمه** » لقد تسلمه بالكشـف الربـاني أولاً (غلا ١: ١٥ ـ ١٦)، ثم بالصيغة التي وضعها الاثنـا عشر أنفسهم للدعـوة، ويسميها بولس « قاعدة التعليم » (رو ٦: ١٧). فقد كان لكنيسة الرسل « قاعدة للتعليم » يتمسك بها جمـيعهم « للوحدة في الإيمان »، وبها يفخر بولس في تبليغ الإنجيل. فقوله: « لقد سلمت إليكم أولاً مـا قد تسلمت أنا نفسي » شاهد قاطع على أن الإنجيل في دعوة بولس وفي دعوة الاثنـي عشـر واحد في الموضوع.

٣) لكن الإنجيل بحسب بولس يختلف بالأسلوب

في دعوة بولس عهدان: عهد « الإنجيلي » وعهد « الرسول ».

في عهده « كإنجيلي » كان بولس مثل سائر « الإنجيليين » يحفظ الإنجيل ويتلوه على الناس بالحرف الموضوع المتواتر، كما نرى من خلال الأناجيل المؤتلفة الثلاثة، حيث ائتلافها دليل حرف واحد في مصدرها. ففي أسلوب « التعليم » الإنجيلي افتقى بولس أثر الاثني عشر.

لكن لما صار « الرسول بدعوة خاصة، مفروزاً لإنجيل الله » (رو ١: ١ ـ ٢). عمد إلى تفصيل الإنجيل بأسلوب آخر اختص به: أسلوب الحكمة، وأسلوب الغنوص. فهو يعلّم في رسائله « حكمة الإنجيل » ثم « سر الإنجيل »، لذلك يختلف في الأسلوب عن دعوة الرسل بالإنجيل. وهذا الأسلوب اقتضته ظروف الدعوة بالإنجيل في البيئة الهلنستية التي كانت تفاخر بالحكمة والغنوص. فتحدى حكمتهم بحكمة الإنجيل، وتحدى غنوصهم بسرّ الإنجيل؛ وهذا ما يسمّيه « إنجيلي ».

وهكذا، فإن اختلف الإنجيل بحسب بولس عن الإنجيل بحسب الاثني عشر في الأسلوب، فهما واحد في الموضوع. فليس في كنيسة الرسل من دعوتين، ولا من إنجيلين. إنما الدعوة واحدة والإنجيل واحد، كما يعلن بولس في ثورته على تلاميذه الغلاطيين: « إني لمتعجب كيف تتحولون سريعاً... إلى إنجيل آخر، مع أنه ليس من آخر »! (١: ٦). ويهدّد بالقطع من المسيحية مَن يدعو بإنجيل آخر: « ولكن إن بشّركم أحد ـ أكان نحن أنفسنا أم ملاك من السماء ـ بإنجيل آخر غير الذي بشرتكم به، فليكن مبسلاً! إني أكرّر ما أقول: إن بشركم أحدٌ بخلاف ما تبلغتم فليكن مبسلاً! (غلا ١: ٩). وهو يحمد الله على أن الرومانيين الذين لم يبشرهم بنفسه « قد اشتهر إيمانهم في العالم كله » (١: ٨): « فالحمد لله على أنكم، بعد إذ كنتم عبيداً للخطيئة، أطعتم من قلبكم رسم التعليم الذي تبلّغتم » (٦: ١٧).

•

ثالثاً: كيف فهم بولس الرسالة والدعوة؟

لقد فهم بولس رسالته **كنبي** مثل الأنبياء العظام، **وكرسول** أكبر من موسى نفسه، مثل « صورة » طبق الأصل للمسيح نفسه.

١ ــ بولس نبي الإنجيل

النبي مَن يكلمه الله ليكلم الناس كلام الله. إنه ينقل وحياً من الله ليبلغه البشر. وبولس « أخذ الإنجيل بوحي يسوع المسيح نفسه له » (غلا ١: ١٢). وقد تخطى بولس الوحي والتنزيل إلى الكشف والإسراء. فقد خصه الله بكشف سرّ ابنه (غلا ١: ١٥ ــ ١٦)، وكشف « سر الإنجيل » ليبلغه في دعوته (أفس ٣: ٨؛ ٦: ١٩؛ كول ١١: ٢٥).

فهو يبلّغ « حكمة الله في السر المصون... وقد كشفه الله لنا بروحه القدوس » (١ كو ٢: ٦ ــ ١٠). وفي « سر الإنجيل » (أفس ٦: ١٩) يكشف « سر الله » (١ كو ٢: ١؛ كول ١: ٢٧)، و« سر المسيح » (أفس ٣: ٤؛ كول ٤: ٣)، وسر الإنسان في توحيد الإنسانية في المسيح (أفس ٥: ٣٢)، وسر الكون في توحيده في المسيح كرأس له (أفس ١: ١٠).

وتظهر نبؤته ليس فقط بحمل كلام الله في « إنجيل الله »، بل بمعرفة الغيب أيضاً: فهو يكشف كفر إسرائيل الموقوت حتى يؤمن ملء الأمميين (رو ١١: ٢٥)؛ وتحوّل الأحياء بدون موت إلى حال القيامة عند قيام الساعة (١ كو ١٥: ٥١).

وفي أسلوب نبوته، فهو يميّز بين ما يقوله من نفسه باسم المسيح، وبين ما تسلمه من الرسل (١ تس ٤: ١؛ ٢ تس ٢: ١٥؛ ٣: ٦؛ ١ كو ١١: ٢ و١٦؛ ١٥: ٣)، وبين ما أتاه بوحي أو تنزيل أو كشف أو إسراء إلى السماء (١ تس ٤: ١٥؛ غلا ١: ١٢؛ ١ كو ١١: ٢٣). والإسراء إلى السماء لمكاشفة الحق، سبحانه، لا يذكره الكتاب والإنجيل إلاّ لبولس وحده.

فبولس هو بحق نبي المسيح ليكشف « سر الإنجيل »، و« سرّ المسيح ».

٢ ـ بولس « رسول العهد الجديد »

يؤكد كونه رسولاً في مطلع رسائله كلها؛ ويدافع فيها عن حقه في الرسالة وعن سلطانه الرسولي. وفي معرض ذلك يعدّد الشروط التي كونته رسولاً.

إنّه « الرسول بدعوة خاصة » من الله (رو ١: ١)؛ إنه الرسول بسبب رؤية مسيح القيامة: « ألست رسولاً؟ أما عاينت يسوع ربنا؟ » (١ كو ٩: ١). وإنجيل القيامة (١ كو ١٥: ١ ـ ٦) الذي جعل الاثني عشر رسلاً كوّنه مثلهم رسولاً. وقد نال ختم الرسالة باصطفاء خاص من روح الله ورسامة أسقفية في « ليترجيا الرب » (أع ١٣: ١ ـ ٤).

والرسالة في نظر بولس **هبة إلهية** (غلا ٢: ٩؛ رو ١: ٥؛ ١٢: ٣؛ ١٥: ١٥) ونعمة خاصة (١ كو ١٢: ٢٨؛ أفس ٤: ١١ ـ ١٤) من مسيح القيامة، لذلك فهي تحمل **كامل مواهب** الروح القدس (١ كو ١٢: ٢٨؛ مع ٢: ٦ ـ ١٢؛ ١٤: ١٨؛ ٢ كو ١٢ ـ ١٢؛ أفس ٢: ٢٠؛ ١ تيم ٢: ٧).

وهو يصف بعثته بتعابير الأنبياء العظام أنفسهم مثل أشعيا وأرميا وحزقيال. وميزته في الرسالة أنه يقارن نفسه بموسى: كان موسى رسول العهد القديم عهد الحرف؛ بينما هو رسول العهد الجديد، عهد الروح. فهو **موسى المسيح**، بل أفضل مِن الكليم: « فلسنا كموسى » (٢ كو ٣: ١٣)، بل أعظم منه « لأننا نحن جميعاً، والوجه سافر، نعكس كما في مرآة مجد الرب، فنتحول إلى تلك الصورة عينها التي تزداد بهاءً بحسب فعل الرب الذي هو روح » (٢ كو ٣: ١٨).

وفضل رسالته يظهر من غايتها، كما ظهر من علتها. فهو مدعو ليحمل الإنجيل إلى « جميع الأمميين » (رو ١٥: ٢٣)؛ لذلك يسمّي نفسه « رسول الأمميين » (رو ١٥: ١٣). وفي الكنائس التي يؤسسها، يختص بالدعوة، ويترك خدمة العماد وإدارة الكنيسة لغيره، مكتفياً بالإشراف العالي (١ كو ١: ١٤ ـ ١٧).

وتمتاز رسالته أيضاً بدعوته، فهو في البيئة الهلنستية يصوغ دعوته بأسلوب الحكمة المنزلة، لا على طريق الحكمة البشرية (١ كو ١: ١٠؛ ٤: ٢١)، ثم بأسلوب « الغنوص السامية » التي لا توجد إلاّ في المسيح (أفس ٥: ٦؛ كول ٢: ٤ ــ ٨).

وقد حقق الخَبَر الخُبْرُ، فهو يشعر أنه « لم ينقص شيئاً عن أكابر الرسل... فإن ميزات الرسول قد تجلّت في ما بينكم » (٢ كو ١٢: ١١ ــ ١٢)؛ ويعلم ويعلن أنه « تعب أكثر من جميع الرسل » (١ كو ١٥: ١).

لذلك تسميه المسيحية « **الرسول** » على العهد وعلى الإطلاق. إنه رسول العهد الجديد، على مثال معلمه.

٣ ــ بولس داعي الله ومصطفى المسيح

إنهما صفتان متلازمتان للرسالة المسيحية. فلا تصح رسالة إلاّ بدعوة خاصة من الله، واصطفاء خاص من المسيح. فبولس هو داعي الله، ومصطفى المسيح، المفروز لإنجيل الله، كما يشهد في فاتحة الرسالة إلى الرومانيين: « من بولس عبد يسوع المسيح، الرسول بدعوة، المصطفى لإنجيل الله... في ابنه » (١: ١).

فأساس دعوته للرسالة كان في رؤية المسيح، وما رافقها من تنزيل الإنجيل عليه، فقد « ارتضى أن يكشف فيّ ابنه لأبشر به بين الأمميين » (غلا ١: ١٥ ــ ١٦)؛ وكمال دعوته للرسالة كان في اصطفاء خاص من روح الله فتكرّس « بوضع الأيدي » برسامة كهنوتية في « ليترجيا الرب » (أع ١٣: ٣). بناءً على تلك الدعوة وذلك الاصطفاء، فهو يدعو بالإنجيل مثل الاثني عشر، « إذ لم يتسلم الإنجيل من أحد، بل بوحي يسوع المسيح » (غلا ١: ١٢ و١٦).

فهو داعي الله، ومصطفى المسيح، ويدعو إلى حكمة الله بروح الله والمسيح (كو ٢: ٣ و١٧).

٤ ــ بولس سفير المسيح

إن الرسالة المسيحية الرسمية، في عرْف بولس، سفارة للمسيح: « فنحن سفراء المسيح، كأنما الله ينطق بنا » (٢ كو ٥: ٢٠). إلى هذا المستوى الإلهي يرفع بولس رسالته: إنه سفير المسيح، وينطق بكلام الله، بسلطان الله. فكلام سفير المسيح هو كلام الله؛ وعمله هو تبليغ الإنجيل؛ بشرى الخلاص بالمسيح (غلا ٢: ٩؛ ١ كو ١ و٤؛ ٣: ١٠؛ رو ١٢: ٣؛ ١٥: ١٥؛ كول ١: ٢٥؛ أفس ٣: ٢ و٧).

٥ ــ بولس « الوكيل على أسرار الله »

لقد أقامه المسيح وكيلاً عنه، ويطلب بولس أن يعرفه الناس بهذه الصفة: « فليعتبرنا الإنسان... كوكلاء على أسرار الله » (١ كو ٤: ١). وشرط الوكالة الأمانة على حقيقة الإنجيل، وهو يُباهي بها: « وما يُطلب في الوكلاء أن يكونوا أمناء » (١ كو ٤: ٢).

وبما أنه وكيل المسيح على أسرار الله، فسلطانه من مرسله، ولا يحق لأحد أن ينظر في أمره؛ فهو لا يحتكم في أمانته إلاّ إلى منبر الرب.

وتلكما الوكالة والأمانة إنما هما للحفاظ على « حقيقة الإنجيل » كما تسلمه من الرب نفسه (غلا ١: ١٢ ــ ١٦؛ ١ كو ١١: ٢٣؛ ١ تس ٤: ١٥)؛ وعلى « قاعدة التعليم » (رو ٦: ١٧) التي رسمها الرسل للدعوة الإنجيلية؛ وعلى البلاغ الرسولي الذي سلّمه كما تسلّمه (١ كو ١٥: ٣)؛ وعلى سنن الرسل الصحيحة التي يفرضها في كنائسه (١ تس ٢: ١٣؛ ٢ تس ٢: ١٥؛ غلا ١: ٩؛ ١ كو ١١: ٢ و٢٣؛ فيل ٤: ٩).

فبولس هو وكيل المسيح على أسرار الله، ليكشف « سر الإنجيل » (أفس ٦: ٤)، و« سرّ المسيح » (كول ٤: ٣).

٦ ــ بولس خادم المسيح

بولس يقابل بين « وكلاء على أسرار الله » و« خدام للمسيح » (١ كو ٤: ١). وهــذه المقابلة ترفع معنى الخدمة في قوله: « فليعتبرنا الإنسان كخــدام المســيح » (١ كــو ٤: ١). فالخدمة هي وضع الرسالة والوكالة موضع التنفيذ والعمل. فــالتعبير « خــادم » لــه معنــى اصطلاحي أكثر من اللغوي. فالرسالة عند بولس خدمة (٢ كــو ٣: ٨ ــ ٩؛ ٥: ١٨؛ ٦: ٣؛ رو ١١: ١٣؛ ١٥: ٣١؛ ١ تيم ١: ١٢) أي **عمل مقدس** يجعل أهل الرسالة قرباناً للــرب (رو ١٥: ١٦)؛ فهو قريب من معنى: كاهن، أو حبر (رو ١٥: ١).

إنها خدمة للمسيح (٢ كو ٦: ٤؛ ١١: ٢٣؛ كول ١: ٢٣؛ ١ تيم ٤: ٦).

وخدمة المسيحيين (١ كو ٣: ٦)، وخدمة للكنيسة (كول ١: ٢٥).

وخدمة للإنجيل (أفس ٣: ٧؛ كول ١: ٢٣)، وخدمة للإيمان (١ كــو ٣: ٥). وذلــك على مثال رسالة المسيح (مر ١٠: ٤٥).

فخدمة المسيح والإنجيل هي « ليترجيا للرب » في كل نشاطها.

٧ ــ بولس « حبر » في « ليترجيا إنجيل الله »

إن الرسالة عند بولس كهنوت وليترجيا أي عمل مقدس في خدمة مقدسة وهذا المعنــى يفسّر التعبير المتواتر: « خادم ». إن بولس « حبر للمسيح يسوع لدى الأمميين أقوم **بليترجيــا** (خدمة مقدسة) لإنجيل الله، حتى يكون الأمميون قرباناً مقدســاً بالروح القدس، مرضيّاً لــدى الله » (رو ١٥: ١٦؛ ١٢: ١ ــ ٢). فتبشير الأمميين بإنجيل الله يقدسهم قربانــا لــه تعــالى. فسماع الإنجيل عمل مقدَّس. والذي يتلو إنجيل الله بتفويض منه تعالى هو « حبر » أي كــاهن لله العلي.

فبولس، من حيث هو رسول لإنجيل الله، « **سكيب مهراق** على ذبيحة

إيمانكم وقربانه » (فيل ٢: ١٧). فالإيمان المسيحي ذبيحة وقربان لله. والمسيحيون أنفسهم بقبول الإيمان صاروا « قرباناً مقدساً بالروح القدس، مرضيّاً لدى الله ». وبولس هو « الحبر » في هذه الرسالة التي هي « ليترجيا لإنجيل الله ».

٨ ــ بولس « عبد يسوع المسيح »

بهذا اللقب يستفتح رسائله. ولقب « عبد » كان له في البيئة صدى رجْع بعيد في الدنيا والدين.

صورة العبد المأمور كانت ماثلة للعيان عند اليونان والرومان. فهو ملك صاحبه يتصرف به على هواه. هكذا كان بولس يعتبر نفسه « عبد يسوع المسيح » (رو ١: ١) يسعى لرضى سيده، لا لرضى الناس: « فلو كنت بعدُ أُرضي الناس، لما كنت عبداً للمسيح » (غلا ١: ١٠).

إنه « عبد للمسيح »، وعبد للمسيحيين: « فنحن عبيد لكم من أجل يسوع » (٢ كو ٤: ٥). فالرسالة المسيحية هي خدمة، بل عبودية، لا سلطان وتسلّط، وإنْ كانت من سلطان المسيح: « وعبد الرب يجب عليه أن لا يشاجر، بل أن يكون رفيقاً مع الجميع، قادراً على التعليم، صبوراً يؤدّب المقاومين بحلم » (٢ تيم ٢: ٢٤).

وفوق الصورة الاجتماعية للعبد، هناك الصورة الدينية الكتابية التي تسمو على الأولى. فبولس هو « عبد يسوع المسيح » كما كان المسيح نفسه « عبد الله » بحسب نبوءة أشعيا الثاني (٥٣: ١٠ ــ ١٢). وقد رأينا أنه يطبق النبوءة على نفسه، على مثال معلمه.

٩ــ بولس « نصير » المسيح.

رسل المسيح هم « أنصار الله » (١ كو ٣: ٩). فالله يبني بالمسيح وفي المسيح بيتاً له بين البشر، وكرماً محروثاً، وبولس مع الرسل أعوانه في عمله، « أنصار الله، وأنتم حرث الله، وبناء الله » (١ كو ٣: ٩).

فالرسالة نصرة للمسيح ونصر بين المسيحيين: « وبما أنّا أنصار (المسيح) نحرّضكم ألاّ يكون قبولكم نعمة الله عبثاً » (٢ كو ٦: ١). وهذه النصرة عون لا سيادة: « ليس أنّا ندّعي السيادة على إيمانكم، بل الاسهام في سروركم، لأنكم من أهل الإيمان » (٢ كو ١: ٢٤).

١٠ ــ بولس الشاهد للمسيح

الرسالة المسيحية شهادة. هكذا أرادها السيد المسيح لمّا أولى رسله سلطان الرسالة: « وتكونون لي شهوداً إلى أقاصي الأرض » (أع ١: ٨). وهكذا عاش بولس رسالته شاهداً للمسيح.

يرد تعبير « **الشاهد** » ٣٥ مرة في العهد الجديد، بمعنى « نشهد بما سمعنا ورأينا ». فالأساس أن يكون من شهود العيان والسماع (أع ٦: ١٣؛ ٧: ٥٨؛ ٢ كو ١٣: ١؛ ١ تيم ٥: ٩؛ عبر ١٠: ٢٨). وهذا الشرط الأساسي يجعل لشهادة رسل المسيح القيمة الأولى.

وقد يصل معنى الشاهد للمسيح إلى كون الرسالة المسيحية شهادة قضائية كما شهد المسيح نفسه في السنهدرين وأمام الوالي الروماني. فهم يشهدون لما وقع للمسيح (أع ٣: ١٤؛ ٥: ٣٠ ــ ٣٢؛ ١٠: ٣٩ ــ ٤٢؛ ١٣: ٢٧ ــ ٣١). فهم « **شهود المسيح** » (أع ١: ٨؛ ٢: ٣٢؛ ٣: ١٥؛ ١٣: ٣١): وذلك بتفويض من الله (أع ١: ٢٢؛ ٥: ٣٢؛ ١٠: ٤١؛ ٢٦: ١٦).

وموضوع الشهادة المسيحية هو إنجيل المسيح، وعلى الخصوص الشهادة عن المشاهدة العيان لقيامته (أع ١: ٢١: ٤: ٣٣)، إذ لولاها لَما قام الإيمان المسيحي (١ كو ١٥: ١٧).

وبولس أُقيم شاهداً منذ رؤية المسيح على طريق دمشق (أع ٢٢: ١٥؛ ٢٦: ١٦). وأخذ يسعى في المسكونة كلها شاهداً للمسيح: « فلي إذن، في ما هو من أمر الخدمة لله، الفخر في المسيح يسوع؛ لأني لا أجسر أن أتكلم بشيء مما لم يجرِ المسيح على يدي، لطاعة الأمميين **بالقول والفعل**

بقوة الآيات والمعجزات، بقوة الروح القدس، حتى إني، في كل ناحية، من أورشليم إلى الإليريكون، قد أتممت البشرى بإنجيل المسيح » (رو ١٥: ١٧ ـ ١٩)؛ ويأمل أن يقتحم عاصمة الأمبراطورية، ويذهب منها إلى أطراف المسكونة.

١١ ـ بولس المجاهد الأول في سبيل المسيح

لقد تعب الرسل كلهم بالجهاد في سبيل الإنجيل، لكن بولس يشهد لنفسه: « تعبت أكثر منهم جميعاً؛ لا أنا، بل نعمة الله التي معي » (١ كو ١٥: ١٠). ولا نقرأ في الكتب المنزلة وغير المنزلة، حتى ولا في الأساطير صورة كجهاد بولس في سبيل المسيح، كما نقلنا في صدر الكتاب. وهذا الجهاد، قاده عن معرفة وقصد إلى الاستشهاد.

١٢ ـ بولس صورة للمسيح الرسول

كان يسوع الصورة طبق الأصل « لعبد الله » و« نوراً للأمميين » يفدي شعبه بآلامه واستشهاده. وبولس يصوّر نفسه **صورة للمسيح الرسول** فهو أيضاً « رسول الأمميين ». وتلك الصورة تصل إلى وحدة حياة مع المسيح: « المسيح حياتي » (فيل ١: ٢١). فهو برسالته يشير إلى موت المسيح: « نحمل في الجسد كل حين موت المسيح، لتظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا المائت » (٢ كو ٤: ١٠ ـ ١١). ويفخر أنه « يحمل في جسده سمات الرب يسوع » (غلا ٦: ١٧). لقد أمسى صورة المسيح، **الرسول الشهيد**. كذلك يفسر بولس الاضطهادات التي يلاقيها في رسالاته (١ كو ٤: ٩ ـ ١٣) وفي أسره: « إني أُتمّ في جسدي ما ينقص من آلام المسيح، لأجل جسده، الكنيسة » (كو ١: ٣٤).

لذلك فهو يعكس في ذاته **صورة المسيح المتألم** (٢ كو ٤: ١٠ ـ ١١)، كما يعكس **صورة المسيح المجيد**: « ونعكس كما في مرآة مجد الرب » (٢ كو ٣: ١٨). لقد صار بولس، في رسالته، صورة طبق الأصل للمسيح، « ينشر بنا في كل مكان نعمة معرفته: فإنّا لله **نفحة المسيح**

الطيّبة »! (٢ كو ٢: ١٤ ــ ١٥). فاعتبره تلاميذه « كملاك من الله، كالمسيح يسوع نفسه » (غلا ٤: ١٤).

لذلك فرسالته هي رسالة المسيح عينها (١ كو ٥: ٨٥؛ ١٦: ١٠؛ ٩: ٢؛ ٤: ٧؛ ٢ كو ١٢: ١٤ ــ ١٥؛ رو ١٦: ١٢: فيل ٢: ٣٠) وسلطانه سلطان المسيح عينه، لا يعمل إلاّ بروح الله (٢ كو ٣: ١٧). ويعلن أن خوارق رسالته، « تلك القدرة الفياضة هي لله، وليست منّا » (٢ كو ٤: ٧).

المسيح هو « صورة الله غير المنظور » (٢ كو ٤: ٤؛ كول ١: ١٥) وبولس صورة ناطقة للمسيح الرسول.

•

رابعاً: خُطط بولس في رسالته

بولس، رجل الفكر ورجل العمل ورجل الروح، لا شكّ أنه كان يخطّط لعمله: فهل من تخطيط عنده؟ وما هي خططه في رسالته؟

١ ــ التخطيط للرسالة عند بولس

رجل عبقري، ورسول بطل، مثل بولس، لا يسير بدون مخطط مدروس. نرى ذلك في الصفحة التي أعطانا عن سيرته منذ هدايته حتى اعتراف الرسل برسوليته. (غلا ١ و٢). ففي عزلة أولى اختلى يدرس هدايته؛ وفي عزلة ثانية اختلى يدرس رسالته. ونرى التخطيط ظاهراً في رحلاته الرسولية. وبعد أن انتهى من المشرق، فكّر بغزو المغرب للمسيح.

لكنه رجل الروح، يخضع في تخطيطه لتيسير روح الرب. فكّر وقرّر أن يبدأ بهداية بني قومه، فظهر له الرب في رؤيا بهيكل أورشليم، « ورأيت الرب قال لي: أسرع، اخرجْ عاجلاً من أورشليم، لأنهم لا يقبلون شهادتك لي... امض، فإني سأرسلك إلى بعيد... إلى الأمميين » (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١). فاعتزل في طرسوس، مسقط رأسه، ينتظر

إشارة السماء، حتى أتته بدعوة برنابا لمساعدته في الرسالة بأنطاكية. فباشر الدعوة بين الأمميين. وبدعوة خاصة فرزه روح الله للرسالة الرسمية، فخاضها مخططاً لها مع برنابا ثم مع سيلا، واقتحما الأناضول، « وجازا في فريجيا وبلاد غلاطية، إذ منعهما الروح أن يبشّرا بآسية (غرباً). « ولمّا انتهيا إلى ميسية، حاولا أنْ يشخصا إلى بيثينية (شمالاً)، ولكن روح يسوع لم يأذن لهما. فمرّا في ميسية وانحدرا إلى ترواس (على شاطئ البحر تجاه اليونان). وفي الليل ظهرت لبولس رؤيا، وإذا برجل مقدوني وقف به وطلب إليه وقال: اعبرْ إلى مقدونية وأغثنا! وللوقت، على أثر الرؤيا، طلبنا أن نسير إلى مقدونية » (أع ١٦: ٦ ــ ١٠). فكان مخطط بولس أنْ يبشر أولاً الأناضول كله، قبل غزو اليونان؛ لكن روح الرب دبّر له تدبيراً أفضل، فاتبعه.

فبولس رجل الفكر، ورجل الروح، يخطط لرسالته، لكنه يُخضع تخطيطه لقيادة الروح.

٢ ــ بعض خطط بولس في رسالته ودعوته

خطة أولى كانت عرض الإنجيل على اليهود أولاً؛ وعند امتناعهم كان يتوجه إلى الأمميين، وهذه الخطة رافقته طوال حياته.

خطة ثانية كانت الدعوة في العواصم ــ وهو ابن العاصمة، وابن الجامعة. ومن العاصمة، في كل منطقة، تنتقل الدعوة بقوتها الذاتية، وبسبب دورة الحياة الاجتماعية والاقتصادية، إلى المدن الأخرى وإلى الريف. وقد اقتصر في الدعوة بآسية الرومانية على أفسس وحدها، لكنه اتّخذ من كلية تيرنس فيها منبراً لتدريس المسيحية على الطلاب الوافدين من كل بلد، فانتشرت الدعوة في آسيا الرومانية كلها.

خطة ثالثة كانت الدعوة النبوية في رحلة أولى. وفي رحلة أو زيارات أخرى يُتم التنظيم في التعليم، وفي الإدارة، وفي الصلاة.

خطة رابعة كان احتفاظه بالدعوة لنفسه، وترك القيام بفرائض الدعوة

وشعائر الدين كالعماد والليترجيا، لأعوانه أو أتباعه من أساقفة وكهنة، ومن مريدين من سائر المؤسسات الرسولية. فكان التأسيس في رحلة أولى، والتنظيم في رحلات أخرى.

خطة خامسة كانت الدعوة مجاناً، بلا أجر عليها (١ كو ٩: ١٤ ــ ١٥)، خصوصاً متى كان المال خطراً على سمعته وعلى الدعوة. فكان يقوم بالدعوة، وهو يعيش من عمل يديه، ويسدّ منها حاجات أعوانه أنفسهم. لكنه كان يقبل من المخلصين، كأهل فيليبي، أحبائه الأوائل، بعض الحسنات التي تمكنه من التفرّغ للدعوة، كما حصل له في كورنثس (أع ١٨: ٥).

خطة سادسة كانت عادته بالدعوة في مناطق لم يسبقه إليها أحد: « وقد أبت عليّ مروءَتي أن أبشّر بالإنجيل حيث دُعي اسم المسيح، لئلا أبني على أساس غيري، كما هو مكتوب: إن الذين لم يخبروا به سينظرون والذين لم يسمعوا سيفهمون » (رو ١٥: ٢٠ ــ ٢١). فليس ذلك عن اعتداد بالنفس، بل عن غيرة رسولية أو إشارة كتابية. وبما أن الدعوة سبقته إلى رومة، عاصمة المسكونة، ويريد أنْ يكون له فيها نصيب لزيادة اشعاع الإنجيل؛ فجعلها في تخطيطه مرحلة إلى أسبانيا (رو ١٥: ٢٢ ــ ٢٤) لكن الله دبّر له وللكنيسة، تدبيراً أفضل بأسره الأول والثاني فيها، وبالاستشهاد في عاصمة المسكونة.

خطة سابعة كانت الاستعانة بأعوان في عمله، والإنابة عنه بنواب في بعض المشاكل. ولمّا أحس بدنو أجله، وشمّ رائحة الاستشهاد سلّم سلطانه إلى خلفاء من بعده يتمون عمل الرب.

خطة ثامنة أن يتمّ برسائله ما نقص في رسالاته. فنجد فيها المشاكل العارضة في العقيدة، والمسائل الطارئة في الشريعة. وفي رسالتين جامعتين يوجز تطور الوحي والكلام فيه، في ختام مرحلتين: في الرسالة إلى الرومانيين يوجز الإنجيل الكلامي في صلة الإنجيل بالشريعة والحكمة؛ وفي الرسالة إلى الأفسسيين يوجز الإنجيل الصوفي في سر المسيح وصلته بالكنيسة والإنسان والكون.

خطة تاسعة كانت تسليم الكنائس المؤسسة لمجالس من الأساقفة والكهنة، يقومون بالدعوة تحت إشرافه. عمل هذا بنفسه طوال حياته. وفي آخر أمره سلمه إلى نوابه كتيطس وتيموتاوس.

خطة عاشرة كانت طريقته في دعوته، وهي تتراوح بين اللطف والعنف. فكان بولس شدةً في غير عنف، وليناً في غير ضعف. قد يميل إلى العنف حين لا يجدي إلاّ العنف، ولكنه يذوب عطفاً حيث يطيب العطف. ولا يلجأ إلى سلطانه الرسولي إلاّ في الأزمات والصعاب. ففي الشدة يتجلى سلطان الرسول العظيم؛ وفي العطف رقة الأب، وحنان الأم.

وهكذا فقد حقّ لبولس أن يشهد لنفسه أنه « قد تعب أكثر من الرسل جميعاً » (١ كو ١٥: ١٠). وفي لمحة خاطفة من سيرته الرسولية (٢ كو ١١: ٢٣ ـ ٣٠) يعطينا صورة الرسول المثالي.

فبولس، بعد السيد المسيح، هو « الرسول ».

۞ ۞ ۞

بحث رابع

بولس المفكر

توطئة: بولس رجل فكر من الطراز الأول

من يطالع رسائل بولس يراه فيها مفكراً من الطراز الأول، يحلّق على أجنحة الإيمان والفكر، في عبقرية قلّ نظيرها.

لو اعتزل بولس الدعوة، وكتب في فلسفة المسيحية وصوفيتها، من أجل الفكر للفكر، والفن لأجل الفن لجمع في شخصيته كمفكر أفلاطون

وأرسطو، أغسطين والفم الذهبي، باسكال وبوسويه. فقد كان بولس **شخصية جامعة في تفكيره.**

وقد كان **أول مفكر في المسيحية** تاريخاً ومنزلةً؛ لا يساويه أو يسمو عليه إلاّ يوحنا الرسول، لكنه أقرب إلى الفطرة منه إلى الصنعة. أمّا بولس فكان رجل فكر عن فطرة وثقافة وعبقرية، وعن وحي وتنزيل وإسراء.

وتفكيره غني، متشعب الجوانب، وإنْ صدر عن مصدر واحد، رؤية يسوع، بنور الله، ابن الله. وغنى تفكيره، وازدحام أفكاره جعله معقداً، تتراكم الأفكار عنده في آية أو مقطع تراكماً يجعلها قطعاً من نار ونور.

لذلك تعدّدت التفسيرات للإحاطة بهذا الفكر الفريد.

نشأ بولس يهوديّاً، في بيئة هلنستية؛ بدأ ثقافته في موطنه طرسوس يتمتع بصفة المواطنية فيها وبميزة الرعوية الرومانية، وأتمّها في أورشليم عاصمة الدين والأدب في ملته. وهذا ما جعل الناس يختلفون في **مصادر ثقافته وتفكيره:** هل هو تلمودي فريسي، أم يهودي هلّيني، أم هلّيني يوناني؟

ويختلفون في فهم أساليبه: هل ظل بولس المهتدي المسيحي يهوديّاً في تفكيره وتعبيره؟ أم انقلب بهدايته ورسالته في العالم الهلنستي، فكان طليعة الهلنستية المسيحية؟

ويختلفون في نزعته المسيحية، أهي كلامية أم صوفية؟ أم الاثنتان معاً؟ فقد جمع بانسجام رائع التوحيد الكتابي والإيمان المسيحي والثقافة الهلنستية الجامعة حتى صار سيد الكلام المسيحي، والصوفية المسيحية، والغنوصية المسيحية.

وسبب الخلاف في تشخيص الفكر البولسي أن تفكيره صورة طبق الأصل **لشخصيته الجامعة**. والسبب أيضاً أن فكر بولس وصلنا في رسائل هي قطع من حياته ومن دعوته، **ليس فيها مذهب تام** قائم بنفسه. إنما يجب استخلاص فكره من رسائل عابرة. فلدينا في رسائله صور من تفكيره، لا صورة موحّدة.

لكن الوحدة **في مصدر تفكيره** سبيل إلى **الوحدة في تعليمه**. إن بولس، بعد هدايته، وعلى نور رؤية المسيح في مجد الله، يرى الله والكون والإنسان والدين كله على نور المسيح.

فالمسيح « الرب في مجد الله الآب » (فيل ١: ١١) هو مصدر تفكيره، مهما تنوّعت المشارب، وتشعبت الأساليب، وتكيّفت النزعات، وتعددت صور التفكير والتعبير.

●

أولاً: مصادر الفكر لدى بولس[١]

الإنسان ابن بيئته، شاءَ أم أبى. هذا المبدأ فيه خبرة وحكمة الأجيال. أجل الإنسان ابن بيئته في تفكيره وفي تعبيره، ما لم تتدخل العبقرية فترفع الإنسان على بيئته وزمانه، وما لم تتدخل المعجزة فتحوّل الإنسان شخصاً آخر. فبولس هو أيضاً ابن بيئته؛ لكن المعجزة التي استخدمت عبقريته الفذة رفعت بولس فوق بيئته، فتحولت تأثيراتها إلى رواسب بنى إيمانه الجديد على أنقاضها. فالتأثيرات البادية من ثقافة بولس الواسعة (أع ٢٦: ٢٤) لم تخلق المسيحية « البولسية » كما وهم الواهمون، بل ساعدت على بناء شخصيته التي استخدمها السيد المسيح بمعجزة ظهوره له والوحي المتواتر، واستخدمها بولس في بناء عقيدته المسيحية المستقلة عن رواسب البيئة.

فمصادر الفكر لدى بولس ذاتية وخارجية.

أمّا **المصادر الذاتيّة** فقد لا يختلف فيها إثنان: عبقريته الفذة، وهدايته المعجزة. فقد كانت **شخصية بولس**، كما رأيناها، فريدة، بارزة، جبّارة، فكراً وقولاً وعملاً. فهذه الشخصية العبقرية هي التي تطبع فكره، فوق كل طابع، بطابع النار والنور الذي يشع منه.

وكانت **هدايته** إلى الإيمان بالمسيح بصفة كونه « ابن الله » منذ رؤيته

---

(١) نبحثها هنا من حيث نشأته. وسنراها في القسم الثالث من حيث دعوته وإنجيله.

الأولى (أع ٩: ٢٠؛ غلا ١: ١٦) المدخل المعجز إلى فهمه سرّ المسيح والمسيحية، والكلام فيهما خير كلام.

لكن ما هي **التأثيرات الخارجية** التي كيّفت المصادر الذاتية في تفكيره وفي تعبيره؟

إنها الثقافة الإسرائيلية، والثقافة الهلنستية، اللتان عليهما قامت ثقافته المسيحية المستقلة المعجزة.

١ ــ في طرسوس: الثقافة اليونانية

كان بولس « فريسياً ابن فريسي » على المواطنية الطرسوسية، وعلى الرعوية الرومانية؛ فكان عليه في تنشئته أن يدرس ثقافة قومه، وثقافة هجرته ورعويته.

وكانت طرسوس مدينة جامعية، منافسة لأثينا والإسكندرية على قول سترابون (ك ١٤ ف ٥ ع ١٣). وكان فيها جالية يهودية محترمة. لكن بولس، بسبب بيئته « اليهودية الهلّينية »، وبسبب مذهب أبيه الفريسي، لم يذهب، على ما نقدّر، إلى المدارس الوثنية في طرسوس. بل درس في الجامع اليهودي، على يد ربّانيين يهود مبادئ دينه وكتابه، ومبادئ اللغة والثقافة اليونانية.

لا شك أن بولس تبع برنامج الدروس الذي دونه التلمود فيما بعد في « فرقة أبوت ٥: ٢٧ »: على الإسرائيلي، في سن الخامسة أن يقرأ الكتاب؛ وفي العاشرة أن يدرس المشنة (أي السُنّة)؛ وفي الثالثة عشرة يبدأ التكليف بأحكام الشريعة؛ وفي الخامسة عشرة أن يدرس التلمود (أي كتاب التلميذ)، وفيه التفسير التشريعي في (الحلقة)، والقصصي في (الهجّادة).

فحتى سن الخامسة عشرة درس بولس مبادئ الثقافة الإسرائيلية واليونانية. فجمع إلى لغته القومية، اللغة اليونانية، لغته الثانية.

ونشعر من رسائله أنها بلغة يونانية، وأسلوب يوناني لا أثر للترجمة فيهما؛ وهذا دليل على تضلّعه باليونانية حتى كانت سليقةً عنده. ونعرف أيضاً أنه كان يتقن الأرامية، اللغة القومية، كتابةً وخطابةً، من خطابه بالأرامية للشعب الثائر في أورشليم (أع ٢١: ٤٠؛ ٢٢: ٢).

وساعده على التضلّع من اللغة اليونانية تلاوة الكتاب في الترجمة السبعينية التي كانت تُتلى في جوامع هجرتهم.

ولا يستبعد أنه اطّلع على مقتطفات من الأدب اليوناني، كما تدل بعض الاستشهادات عنده، من ميناندرس (١ كو ١٥: ٣٣) ومن ابيمينيذس (تيطس ١: ١٢) ومن أراتوس (أع ١٧: ٢٨). لكنها أقرب إلى الأقوال الشائعة منها إلى الاستشهادات المنقولة.

وهذه الثقافة اليونانية التي تشرّبها في صباه؛ ثم اتقنها في مهنته كرابّي مدة عشر سنوات؛ ثم برع فيها في عزلته مدة خمس سنوات، فقد **طبعت أسلوب التفكير والتعبير عنده بطابعها:** فهو يفكّر ويعبّر بأسلوب يوناني، لا سامي، في رسائله. فاليونانية سليقة عنده، لا ترجمة.

٢ ـ في أورشليم: الثقافة الإسرائيلية

« في الخامسة عشرة: التلمود »، يقول برنامج التنشئة. وبما أن بولس في درْس التلمود، كتاب الثقافة الإسرائيلية، بعد الكتاب المقدس، قد تتلمذ « لدى أقدام جمالئيل » في أورشليم (أع ٢٢: ٣؛ ٢٦: ٤)، فقد قدم المدينة المقدسة في تلك السن للتحصيل العالي. وكان جمالئيل، علامة عصره عندهم، شيخ الفريسيين، وحفيد هلّيل الكبير، « ذا حرمة عند الشعب كله » (أع ٥: ٣٤).

فدرس بولس على يده الكتاب المقدس بلغته العبرية، والتلمود بلغته الأرامية، والكلام الإسرائيلي الذي يتزعمه فيلون الإسكندري باللغة اليونانية.

وأتقن أصول التفسير، والجدل بين الفرق اليهودية، والجدل الأكبر

مع المشركين، على طريقة الرابّانيين التي نشعر بها في رسائله. كما اطّلع على مبادئ وأهداف مذهبه الفريسي.

وبحسب عرْفهم « في الثامنة عشرة: الزواج ». فهل تزوّج بولس؟ والزواج عندهم سُنّة. يظهر أنه بقي أعزب. فلا ذكر في العهد الجديد لعائلة أو أولاد. بل يشير إلى أنه، بخلاف الرسل، يسير في رسالته « بدون امرأة أخت » كسائر الرسل (١ كو ٩: ٥). وفي تفضيل البتولية على الزواج (١ كو ٧: ٢٧) إشارة كافية. وفي افتخاره بحاله البتولي القول الفصل (١ كو ٧: ١٩ ــ ٣٣).

ونقدّر أنه قضى في أورشليم خمس سنوات، حتى سن العشرين. ورجع إلى طرسوس عالماً من علماء الشريعة، يقوم بوظيفة « رابي » أي فقيه ومفتي، بين بني قومه في مسقط رأسه. فيظهر أنه لم يعرف المسيح في أيام بشريته ودعوته (٢ كو ٥: ١٦).

٣ ــ بولس « رابّي » في طرسوس: المقابلة بين الثقافتين

قضى بولس، بعد تخصصه في درس التلمود والشريعة وعلم الكلام الإسرائيلي، نحو عشر سنوات في طرسوس (عام ٢٥ ــ ٣٤) يقوم بوظيفة « رابّي » عندهم.

وبما أن بولس درّس التعليم المسيحي، في أفسس، بمدرسة تيرنّس (أع ١٩: ٩ ــ ١٠)؛ فلا شك أنه درّس التعليم الكتابي والتلمودي في مدرسة بطرسوس، بصفة كونه من العلماء والفقهاء. وفي عرفهم، كان يتعاطى صناعةً إلى جانب وظيفته؛ وكانت صناعته، حياكة الشعر، من أربح الصناعات لاتكال الجيش الروماني عليها.

فكانت هذه المدة **فترة النضوج الأولى،** في المقابلة بين الثقافتين الإسرائيلية والهلنستية، في مدينة جامعية، كطرسوس.

فقد اختلط ببيئته الهلنستية، واطّلع على تفكيرها وأديانها، لكي يقوم بجدارة للدعوة إلى التوحيد الكتابي ما بين المشركين، وبين « المتّقين » منهم

الذين اعتنقوا اليهودية، وسيصادفهم في رسالاته بكل الجوامع اليهودية التي دعا فيها بالمسيحية؛ وسينجح أحياناً في كسب هؤلاء « المتقين » إلى المسيحية ويعتزل بهم اليهودية. وهذا دليل ثقافته وبلاغته في مخاطبتهم بحسب ثقافتهم وعقليتهم.

ولا شك أن بولس كان يؤكّد فضل الشريعة على الحكمة. ويأخذ **بأسلوب فيلون** الرائج حينئذ في تقديم الكتاب إلى المشركين بلغتهم وأساليبهم. فقد أتقنها لأنها تبرز في رسائله، كما يرشح من التعابير التي اقتبسها ليقدم العقيدة والشريعة والصوفية، في المسيحية، للعالم الهلنستي.

لكننا نفهم من حملته على الوثنية (رو ١: ١٨ ــ ٣٢)، ومن حملته على الحكمة (١ كو ١: ١٧ ــ ٢٥)، ومن حملته على المسيحية قبل هدايته (غلا ١: ١٤) أن بولس لم يتأثر في عقيدته بالثقافة اليونانية؛ وبسبب تصلّبه في مذهبه الفريسي، لم ينفتح مثل فيلون إلى تيارات الموافقة بين الدعوة الكتابية والثقافية الهلنستية.

لقد أنمت فيه الثقافة اليونانية التي خالطها في طرسوس طاقته في التفكير، وأسلوبه في التعبير؛ لكنها لم تؤثر في توحيده التوراتي، وفي تفكيره التلمودي والفريسي.

لذلك لمّا حج إلى المدينة المقدسة، بعد عشر سنوات، عام ٣٤ ــ وقد وجد عاصمة التوحيد تضج بدعوة الناصري وتلاميذه ــ انخرط للحال في ملاحقة « شيعة النصارى »، وتزعّم إحدى الفرق الهلنستية اليهودية لاضطهادهم.

٤ ــ هداية بولس، وعزلته الأولى لدرس المسيحية

وفي زحمة الاضطهاد للمسيحية، استصدر فرماناً شاهانيّاً من الحبر الأعظم والسنهدرين، واستصحب فرقة من الشرطة، وذهب إلى دمشق يلاحق « شيعة النصارى ». وعلى أبواب دمشق، « لمّا ارتضى الله ــ الذي فرزني من جوف أمي ودعاني بنعمته ــ أن يكشف ابنه فيّ، لأبشر به بين الأمميين، للوقت لم أصغ إلى اللحم والدم (نوازع البشرية)، ولا صعدت إلى أورشليم

إلى الذين هم رسل قبلي. بل سرتُ إلى ديار العرب. ثم رجعت إلى دمشق. وبعد ثلاث سنوات (من هدايته) صعدت إلى أورشليم لأزور كيفا » (غلا ١: ١٥ ـ ١٨).

هكذا يصف بولس هدايته ثم عزلته مدة ثلاث سنوات في العربية الرومانية التي كانت تمتد من الأردن إلى تدمر، بما فيها دولة الأنباط في الأردن، ودولة بني أذينة في تدمر.

لقد شاهد بولس السيد المسيح، في نور الله، في سر شخصيته « ابن الله ». فكان مع المشاهدة الحسية كشف ربّاني في نفسه ووجدانه.

ولا شك أن حنانيا القديس، قد أطلع بولس، قبل عماده، على أصول الدعوة المسيحية؛ وسمع من الدعاة الهلينيين الذين سبقوه إلى دمشق بسبب الاضطهاد الذي أثاره في استشهاد اسطفان، كيفية فهمهم للدعوة المسيحية على طريقة اسطفان.

وبعد ضجة أثارها في دمشق إلى **عزلة ثلاث سنوات** في العربية الرومانية. ونعرف أن بولس في أحرج أوقات رسالاته، كان يحمل معه « الكتب ولا سيما صحف الرقّ » التي تحوي الكتاب المقدس (٢ تيم ٤: ١٣). فلا شك أنه حمل معه إلى عزلته الأولى أغلى كتبه، ولا سيما الكتاب المقدس، ليقرأه على ضوء الإنجيل الذي اهتدى إليه.

وهناك في الصحراء، في عزلته الأولى، تأمل بولس في إيمانه الجديد، طوال الأيام والليالي. وأخذ يقرأ التوراة والنبوة والحكمة بنور جديد وفهم جديد. وفهم أن يسوع الناصري الذي ظهر له في مجد قيامته هو حقيقةً النبي الأعظم الذي وعد به موسى، وأنه المسيح ابن داود الذي بشر به الأنبياء، وأنه الحكمة الإلهية التي تصفها أسفار الحكمة، قد ألقاها الله الآب من ذاته في « ابن مريم » فكانت « ابن الله ».

ولما نضج إيمانه المسيحي وفهم سر المسيح على ضوء التنزيل إليه، وعلى نور الكتاب والحكمة والنبوة، عاد إلى دمشق يشهد للمسيح. فأثار ضجة أخرى، نجا فيها من القتل، بهربه في زنبيل على السور. لم يذهب إلى

العربية الرومانية لأن القيصر الجديد قد أعطى ملكها للحـارث الأنباطي. فتسلل إلى أورشـليم « ليزور كيفا، وأقام عنده خمسة عشر يوماً » (غلا ١: ١٨). لا شك أن الحديث فيهـا كـان سيرة المسيح وتعاليم الإنجيل كما يرويها بطرس بواقعيته وحيويته، ونرى صيغتها في الإنجيل بحسب مرقس.

وحاول الدعوة في أورشليم، فأثار عليه بني قومه. فرأى، وهو يصلي بالهيكـل، فـي رؤيا روحية الرب يسوع، يقول له: دع الدعوة لدى اليهود، « فإني سأرسلك إلى بعيـد، إلـى الأمميين » (أع ٢٢: ١٧ ــ ٢١). فهرّبه التلاميذ إلى البحر، وأبحر إلى طرسـوس، ينتظـر ساعة الرب.

٥ ــ عزلة بولس الثانية، في طرسوس، مدة خمس سنوات

هذه عزلة ثانية طويلة يفرضها عليه الرب فرضاً. ماذا عمل فيها؟ لا شك أنه من حين إلى حين كان يشهد بالمسيحية لبعض الأفراد. لكن لم يقم بدعوة تقيم عليه ثورة في طرسوس، بينما قامت عليه الثورة حيث بشر بالمسيحية.

فقضى خمس سنوات في العزلة، يشتغل بحياكة الشعر ليعيش، ويتفرغ إلـى مقارنـة الشريعة الموسوية والحكمة اليونانية والغنوص الهلنستية بالإنجيـل. لقـد انصـهرت ثقافتـه الإسرائيلية وثقافة الهلنستية، في عقيدته المسيحية.

فكانت **فترة النضوج الثانية** التي هيأت بولس لدوره العظـيم، وقـد أشـرف علـى الأربعين.

وفي عام ٤٢ نراه في أنطاكية العظمى، إلى جانب برنابا؛ « فقَبلا في الكنيسـة سـنة كاملة. وعلّما جمعاً غفيراً. وفي أنطاكية أولاً دُعي التلاميذ مسيحيين » (أع ١١: ٢٥). فهـذه الإشارة إلى تسمية التلاميذ مسيحيين، بمناسبة دعوة بولس وبرنابـا فـي أنطاكيـة العظمـى، عاصمة المشرق، دليل على دور بولس في ذلك. فقد كان لشهادة بولس للمسيح أثر عظيم لدى أهل العاصمة حتى سموا الجماعة « مسيحيين ».

فها قد قامت عقيدة بولس المسيحية على آثار ثقافته الإسرائيلية وثقافته

الهلنستية؛ وقد كان فيهما علامة، لكنه في سر المسيح والمسيحية أعلم بفضل الوحي والتنزيل على قلب جامع للعلم.

وهنا يتبادر السوآل الذي حيّر العلماء: هل أثرت ثقافة بولس الواسعة التي شهد بها الوالي الروماني (أع ٢٦: ٢٤) في مسيحيته؟

•

ثانياً: تأثير ثقافة بولس في عقيدته المسيحية

لقد حمل بولس معه، في هدايته إلى المسيحية، تأثره بالثقافة الإسرائيلية في تفكيره؛ وتأثره بالثقافة الهلنستية في أسلوبه وتعبيره.

وهو يفخر بذلك في قوله: « صرت لليهود كيهودي لأربح اليهود... وللذين بلا شريعة (الأمميين كاليونانيين) كأني بلا شريعة... لأربح الذين بلا شريعة » (١ كو ٩: ١٩ ــ ٢١). لقد أراد بولس أن يكون هلّينياً بالدعوة للمسيحية في العالم الهلنستي: **فهل حرّف المسيحية في تهلينها**. نرى الآن مدى تأثره بثقافته.

١ ــ أثر الثقافة الإسرائيلية في مسيحية بولس

١) أخذ بولس عن **الكتاب المقدس** الإيمان المطلق به لأنه كلام الله ومنه أخذ التوحيد الكتابي أي الإيمان بالله واليوم الآخر، كما بدأ بالتوراة وتمّ بالأنبياء؛ مع أركان الدين من شهادة وصلاة وزكاة وصوم وحج.

لكن بولس، على نور الإنجيل، أخذ بدعوة الأنبياء الآخرين، مثل أشعيا الثاني وأصحاب الزبور بعد داود، بالتركيز على عالمية التوحيد، بنقله من القومية إلى الأممية، وتطوير دعوتهم الأخلاقية، ودعوتهم الاجتماعية، بحسب شرعة المحبة في الإنجيل. ويرى في المسيح ليس فقط « ابن داود » بحسب الأنبياء، بل أيضاً، بحسب أسفار الحكمة « حكمة الله » المتأنسة في المسيح.

فبولس يعتمد على الكتاب: لكنه يستشهد به في تأييد عقيدته المسيحية. فهو يقرأ الكتاب على ضوء الإنجيل. وهذه ميزة بولس في إيمانه الجديد

بالكتاب كله. إنه يبرهن بالكتاب على صحة مسيحية يسوع، وصحة رسالته، وصحة قيامته، « على ما جاء في الكتب » كما يكرّر في بلاغ إنجيل القيامة (١ كو ١٥: ٣ و٤). يسوع هو متمّم العهود والمواعيد لإسرائيل؛ فالتبرير والخلاص صارا بالإيمان بالمسيح، لا بالعمل بالشريعة؛ كما هو واضح من فصول عديدة في رسائله (رو ٣ و٤ و٩ ــ ١١؛ غلا ٣ و٤).

وهذه الفوارق الجوهرية دلائل على أن بولس يبني مسيحيته على الإنجيل، لا على التلفيق من الكتاب. فالإنجيل بنظره متمّم التوراة، وناقل التوحيد من عهد الحرف إلى « عهد الروح »، على مثال المسيح في الإنجيل.

٢) وأخذ بولس عن **الكلام اليهودي**، لا الكلام نفسه، بل الأسلوب في تفسير الكتاب، والمجادلة به بالتي هي أحسن.

فكان بولس، مثل الربانيين، يميّز بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي في الكتاب. وتمسّك، كالمدرسة الإسكندرية، بالمعنى الرمزي للعهد القديم كله، على مثال فيلون.

وكان بولس يميّز مثلهم بين التفسير التشريعي، « الحلقة »، والتفسير القصصي، « الهجادة ».

وكان مثلهم يستجمع آيات متفرقات من الكتاب يؤيد بعضها بعضاً ويكمل بعضها بعضاً، في استشهاد واحد (رو ٣: ١٠؛ ٩: ٢٥؛ ١١: ٢٦ و٣٤؛ ١٢: ١٩؛ ٢ كو ٢: ١٦).

وقد يأتي الاستشهاد عنده اقتباساً للتعبير فقط (رو ١٠: ٨ ــ ١٠ = التثنية ١٣: ١١ ــ ١٤). وقد يكون الاستشهاد استعارة تمثيلية، بنقله من المعنى « بحسب الجسد »، إلى المعنى « بحسب الروح »، لاستخلاص الرموز من العهد القديم الجديد. وللمعنى الرمزي عنده حجة كبرى: « تلك الأمور كلها عرضت لهم رمزاً لنا، وكُتبت لموعظتنا » (١ كو ١٠: ١١). هكذا « آدم رمز المزمع أن يأتي » أي المسيح (رو ٥: ١٤):

« فشكراً لكم... لقد أطعتم رمز التعليم الذي سُلّم إليكم » (رو ٦: ١٧). هكذا في (١ تس ١: ٧؛ ٢ تس ٣: ٩؛ ١ كو ١٠: ٦).

بهذا الأسلوب الرمزي الموروث، وضع بولس أساس التفسير الرمزي للكتاب على ضوء الإنجيل (رو ٥: ١٢ ـ ٢١؛ ١ كو ٥: ٧؛ ١٠: ١ ـ ٤؛ ٦ ـ ١١؛ ٧ ـ ١٣؛ ١٥: ٤٥؛ غلا ٤: ٢٣ ـ ٢٤). فأحداث العهد القديم وأموره كلها رموز نفهمها بعد تحقيقها في المسيح. فكل ما في العهد القديم من أشخاص وأشياء يلتقي « بحسب الروح » أي بحسب المعنى المجازي والرمزي، بالعهد الجديد، خصوصاً بالمسيح نفسه، « غاية الشريعة » (رو ١٠: ٤٠)، « لأن الشريعة كانت مربّيتنا إلى أن يجيء المسيح » (غلا ٣: ٢٣).

وفي استشهاداته بالكتاب، يستعمل بولس عادة الترجمة السبعينية. لكنه أحياناً يأخذ بالأصل العبري الأقرب من تفكيره (رو ٩: ٢٥ ـ ٣٣؛ ١٠: ٦ ـ ٨؛ ٢ كو ٦: ١٧ ـ ١٨).

وإن بولس، بالتمييز في الكتاب بين « الحرف » و« الروح »؛ وبين الرمز والمرموز إليه؛ يقترب من الأسلوب اليهودي الهلنستي أكثر منه من الأسلوب الإسكندري، الذي لا نجد منه سوى القاعدة: « تلك الأشياء إنما هي رموز لنا » (غلا ٤: ٢٣). وقد سبقه إلى هذا الأسلوب ابن سيراخ وصاحب سفر الحكمة، لفهم الأحداث والأشخاص في العهد القديم (ابن سيراخ ١٧ و٤٤؛ الحكمة ١٠ و١١). فالمبدأ في التفسير الرمزي اسكندري، والتطبيق على الطريقة الهلنستية. وقد بلغ بولس الذروة في الأسلوب، إذ يجعل العهد القديم كله « عهد الحرف »، والعهد الجديد كله « عهد الروح » على نوعين، عهد الروح المعنوي، وعهد الروح القدس. ثم يطلق المبدأ الذي يقضي على القديم، ويستقل بالجديد: « الحرف يقتل، والروح يحيي » (٢ كو ٣: ٦ ـ ٧).

فعند بولس، ارتكاز على الكتاب، وانطلاق منه إلى الإنجيل. وليس هذا الأسلوب تلفيقاً، بل استخداماً وتكميلاً، على طريقة السيد المسيح نفسه.

٣) ونلمح عند بولس بعض نظريات **السُنّة اليهودية**، مثل تنزيل الشريعة بواسطة الملائكة (غلا ٣: ١٩)؛ ونظرية « الوسيط » بين الله والناس (غلا ٣: ١٩؛ ١ تيم ٢: ٥؛ قابل عبر ٨: ٦؛ ٩: ١٥؛ ١٢: ١٤)؛ ونظرية « الصخرة » التي كانت مع الشعب في هجرته بسيناء (١ كو ١٠: ٤)؛ فكانوا يرون فيها الله، ويرى هو فيها المسيح (١ كو ١٠: ٤)؛ ونظرية ابني إبراهيم، إسماعيل ابن الأمة وإسحاق ابن الحُرّة (غلا ٤: ٢٩ قابل تك ٢١: ٨)، لكنه يعكس النظرية فيصير بنو إسرائيل أبناء الأمة، وأبناء إبراهيم من الأمميين أبناء الحرة؛ وينقل عنها اسمين من سحرة مصر « ينّيس ويمبرس » (٢ تيم ٣: ٨).

ونرى في تطوير بولس لتلك النظريات أنها كانت اقتباسات لمجادلتهم بالتي هي أحسن، أكثر منها استشهادات للتعليم.

فتلك الآثار من التلمود والسُنّة والكلام الإسرائيلي لم تكن دعائم للتعليم المسيحي لدى بولس؛ ولم تؤثر في عقيدته المسيحية وكلامها؛ لأنه كان على النقيض من المبدأ اليهودي: فليس « الخلاص بالشريعة » عنده، بل « الخلاص بالمسيح وحده » كما نادى بطرس منذ مطلع الدعوة، بحضرة السنهدرين: « وما من خلاص بأحد غيره، إذ ليس تحت السماء اسم آخر لدى الناس، به ينبغي أن نخلص » (أع ٤: ١٢). فهو يفسر الكتاب بالإنجيل، اعتماداً على التنزيل والوحي له (غلا ١: ١١ ــ ١٢؛ ١ كو ٢: ٧؛ ١٥: ٥١؛ ٢ كو ٥: ١٦؛ رو ١١: ٢٥؛ كول ١: ٢٦؛ ٢: ٢؛ ٤: ٣؛ أفس ١: ٩؛ ٣: ٣ ــ ٤ و٩). وبتلك الطريقة يختلف تماماً عن عقيدة بني قومه، وحتى عن طريقة النصارى اليهود الذين أرادوا تفسير الإنجيل بالتوراة فضلّوا وأضلّوا، كأن المسيح لم يأتِ بتنزيل جديد في الإنجيل. مع أن المسيح هو سرّ الكتاب و« غاية الشريعة » (غلا ٣: ٢٣).

٢ ــ أثر الثقافة اليونانية في مسيحية بولس

نشأ بولس في بيئة هلنستية، في مدينة جامعية، على قسط وافر من الثقافة

اليونانية. فنراه في رسائله يفكّر على الطريقة اليونانية، ويكتب بأسلوب إغريقي؛ لا على طريقة سامية، بأسلوب عبري، وإنْ اتبع أحياناً في نظمه الأسلوب الأرامي الرباعي. فما هو تأثير ثقافته اليونانية على عقيدته، هو الذي أراد أن يكون يونانياً مع اليونانيّين؟ هل غرق في « تهلين » المسيحية حتى ضاعت معالمُها الأولى، فكانت مسيحية جديدة لا تحمل من الإنجيل والمسيح إلاّ الاسم؟

لو استفاق بولس من قبره، وهبطت روحه من الملإ الأعلى، لجُنّ جنونه لهذه التهمة الإلحادية! ولهتف بنا كما هتف بأهل كورنثس لمّا حاولوا جمع الهلنستية المشركة مع المسيحية: « لا تشتركوا مع الكافرين تحت نير واحد! إذ أيّ شركة بين البرّ والاثم؟ وأي مخالطة للنور مع الظلام؟ وأي ائتلاف للمسيح مع بليعال؟ وأي حظ للمؤمن مع الكافر؟ وأي وفاق لهيكل الله مع الأوثان؟ فإنّا نحن هيكل الله الحيّ! » (٢ كو ٦: ١٤ ــ ١٦).

أجل، في مخاطبة العالم الهلنستي، يستخدم بولس أساليب التفكير والتعبير عندهم كي يخاطبهم بلغتهم، لتوطين المسيحية في ثقافتهم ونفوسهم. **لكنّ تهلين الأسلوب، ليس بتهلين العقيدة.**

١) **فبولس لم يتأثر بالفكر الهلنستي**، بل بطرائق أسلوبه وتعبيره.

تظهر بين بولس وفيلون[1] من جهة، وبين بولس والفلسفة الرواقية، خصوصاً مع شيخها سينيكا[2] قرابة في الأسلوب وفي التعبير. فإن بولس قد برع في **استخدام الحروف** مثل فيلون وسينيكا[3]. واستعار من فيلون عبر الفلسفة الرواقية، وعن أفلاطون، تعبير « **صورة الله** » (كول ١: ١٥)، لكن بتجريده من الشرك كما في فلسفتهم، ومن وحدة الوجود كما عند فيلون، وإيلافه مع التوحيد وإلهية المسيح. واقتبس عنهم فكرة « اغتراب »

(1) Philon: de Cherubim p 125-127.
(2) Sénèque: Epist. moral. VII 3.
(3) Coll. Etude Biblique. Feuillet: le Christ, Sagesse de Dieu p 169-170; 191; 230-213.

النفس في الجسد (٢ كو ٥: ٦ ــ ١٠)، كما في عينية ابن سيناء من بعدهم فهي فكرة شائعة؛ وفكرة « الملء » الكوني أو الشخصي (كول ١: ١٩؛ ٢: ٩؛ أفس ١: ٢٣؛ ٣: ١٩؛ ٤: ١٣)؛ لكن تعبير « الملء » لم يرد عندهم اسماً كما عند بولس بل فعلاً؛ وتطبيق التعبير الجميل على السيد المسيح يدل أفضل دلالة على دور المسيح في الكون، لكن ليس بحسب نظرية وحدة الوجود كما عندهم، بل بحسب مقالة التوحيد، والتنزيه في التجريد، بين الله والكون والإنسان.

وقد استعار بولس من الفلسفة الرواقية هذه التعابير: « الذي منه الكل، ونحن إليه » (١ كو ٨: ٦؛ قابل أع ٧: ٢٨)! « الكل منه وبه وإليه » (رو ١١: ٣٦) بالنسبة لله ثم (كول ١: ١٦ ــ ١٧) بالنسبة للمسيح؛ « والآب واحد للكل، وهو فوق الكل، وخلال الكل، وفي الكل » (أفس ٤: ٦). لكن بولس استخدمها لطاقتها في التعبير عن عقيدته، بعد أن أفرغ تلك التعابير من معناها الديني عندهم القائم على الشرك، ومن معناها الفلسفي القائم على وحدة الوجود؛ فهي عند بولس أفضل تعبير للتجريد في التوحيد، وللاتحاد بالله في مطلق التنزيه.

قيل: وقد أخذ بولس عن سينيكا قولاً مأثوراً: « وأنا بكل سرور أبذل الكل وسأبذل ذاتي، لأجلكم » (٢ كو ١٢: ١٥). كلمة جميلة ذهبت مثلاً، فاقتبسها بولس؛ ولا غضاضة عليه، فهي لا تعني قرابة فكرية في عقيدته.

وفات الذين يبنون وحدة الفكر على وحدة الاقتباس والاستخدام، مصادر بولس في أسفار الحكمة (الأمثال ١ ــ ٩؛ ابن سيراخ؛ الحكمة) التي بها طوّر التعابير الهلنستية من الحكمة المشركة إلى الحكمة المنزلة فالمتأنسة في المسيح. إنه يستخدم التعابير الشائعة في البيئة ليسكب فيها المعاني الجديدة في عقيدته التوحيدية والمسيحية. فلا تدل قرابة التعابير على وحدة العقيدة كما يتوهمون ويوهمون. وهذا ما يصح في تعبير « الضمير » الذي أشاعته الرواقية، وتعبير « التبني » υἱοθεσία الذي أطلقه الشرع الروماني.

قد توجد قرابة بين التوحيد التوراتي، والنزعة التوحيدية المتصاعدة في الفكر الهلنستي، الإغريقي الروماني. وهذا ما بنت عليه مدرسة فيلون كلامها مع المشركين. ولكن لا شيء في مذهب فيلون، ولا في مذاهب الهلنستية، من **الفكرة المسيحية الجديدة في العالمين**. فالعقيدة المسيحية تنقل الدين كله في الإنسان من حالة عبد لله إلى حالة بنوة روحية حقيقية، في كامل التجريد والتنزيه. فإنها تعلّم قبل كل شيء أبوة الله، وعنايته الأبوية، ومحبته للمؤمنين بالمسيح يسوع. ولا شيء من ذلك في الفكر الفيلوني أو الهلنستي.

قد قالوا بآلهة مخلّصين. لكن فكرة الخلاص والمخلص، بواسطة التجسد والفداء، ما كانت لتخطر على بال أحد منهم. فبولس يوجز تاريخ الخلاص كما في الكتاب، ليخلص منه إلى الخلاص بالمسيح: وهذه نظرية مسيحية لا وجود لها في الفكر الهلنستي. وقد علّموا خلوداً للنفس غامضاً، لا قيامةً للأجساد مع الأرواح لحياة خالدة سعيدة مع الله في حياته وسعادته وخلوده، كما يعلم بولس عن الإنجيل. ونعرف أن حكماء أثينا لمّا سمعوا بولس يذكر قيامة المسيح من بين الأموات سخروا منه وصرفوه (أع ١٧: ٣١ ــ ٣٢) أراد أن يخاطبهم بكلام الحكمة البشرية، واستشهد بكلمة شائعة لفيلسوفين منهم: كلاينتس وأراتس (أع ١٧: ٢٨)؛ فأخفق وسار كورنثس خائفاً نادماً؛ ولم يعد إليها (١ كو ١: ١٧ ــ ٣١؛ ٢: ١ ــ ١٦). فلا يعلّم بولس مثل أهل الرواق التوحيد، في وحدة الوجود، كما زعم بعضهم في اقتباسه (أع ١٧: ٢٨)، وهو الإسرائيلي التلمودي الفريسي، بل التوحيد في خالص التجريد.

فما بين بولس والفكر الهلنستي، حتى عبْر فيلون، فوارق جوهرية تناقض كل زعم بتلفيق بولس لعقيدته المسيحية من الفكر الهلنستي. وإنما هناك، بسبب وحدة البيئة وتوطين المسيحية فيها، تشابه في التعبير مع تناقض في التفكير. فالقضية استخدام في التعبير، لا تلفيق في التفكير.

٢) ولم يتأثر بولس بالكلام اليهودي الإسكندري أو الهلنستي؛ بل باستخدام أسلوبه وتعابيره.

إن بولس، الذي أراد أن يكون « كلاً للكل » يخاطب كل بيئة بحسب عقليتها ولغتهـا. فهو يخاطب أهل الكتاب والشريعة بلغة الكتاب والشريعة. ويخاطب أهل الحكمة في كـورنثس بلغة الحكمة، لكنهـا الحكمة المنزلة. ويخاطب أهل الغنوص (العلم) في آسـيا الرومانية بلغة « الغنوص السامية ». ويخاطب أهل الشرع برومة بلغة الشرع.

لذلك يأخـذ بولس بأسـلوب اليهودية الإسـكندرية والهلنستية، النـاجحة في اكتساب « المتقين » من الأمميين. ويعمل بطريقتها في تفسير الكتاب بالتمييز ما بين الحرف والـروح، والكلمة والرمز، لإيلافهم إلى الإيمان، كما رأينا. لذلك أخذ وصف المسيح بأنه « صـورة الله غير المنظور » (كول ١: ١٥ ــ ١٧) من فيلون عن أفلاطـون. لكنه صقلها بتعبير التـوراة: « على صورته، كمثاله »، وبوصف حكمة الله الذاتية في ذات الله، عن أسـفار الحكمـة: إن حكمة الله الذاتية قد ولدت من فم الله؛ وحكمة الله هي ابن البشر الموعود؛ فالمسيح هو « حكمة الله » و« صورة الله غير المنظور » فعند بولس اقتباس تعابير شـائعة بـين المثقفـين، منـذ أفلاطون؛ لا اقتباس فكر أو عقيدة. فليس بولس بتلميذ فيلون، ولا أهل الرواق، ولا أفلاطـون. إنما يستخدم بولس أسلوب الكلام اليهودي الإسكندري أو الهلنستي، لنقـل الفكـر المسـيحي، وإيلافه لهم بلغتهم وأسلوبها وتعابيرها.

وكان بولس بارعاً في استخدام ثقافته الواسعة، وتكييف حديثه بحسب ظروف الحـال والمقال حتى « لمّا انتهى إلى هذا الموضع من دفاعه، قال فستس (الوالي الروماني) بصـوت جهير: يا بولس لقد جُننتَ! إن علمك الكثير يصير بك إلى الجنون!... وقال اغريبـا (الملـك) لبولس: إنك تكاد تقنعني أن أصير مسيحيّاً » (أع ٢٦: ٢٤ ــ ٢٩).

لكن بولس الإسرائيلي التلمودي الفريسي، ابن التوحيد الخالص، يمقت الشرك، وحكمة الشرك (كول ٢: ٨؛ أفس ٤: ١٤). ونحن نراه يتعالى على الحكمة البشرية بالحكمة المنزلـة التي يُعلمها روح الله: « فإذ أن العالم بحكمته لم يعرف الله في حكمة الله، فقد ارتضـى الله أن يخلص المؤمنين بجهالة الدعوة (المسيحية): ففيما اليهود يسألون المعجزات،

واليونانيون يطلبون الحكمة. نحن **ندعو بمسيح مصلوب،** عثرة لليهود، وتجهيلاً للأمميين » (١ كو ١: ٢١ ـ ٢٢). وهذه الدعوة تميّز حكمة الإنجيل عن حكمة الشريعة وعن حكمة الفلسفة: « أما نحن فعندنا فكر المسيح » (١ كو ٢: ١٦). إن الدعوة بمسيح مصلوب تنقض كل تلفيق لعقيدة بولس من الكلام اليهودي أو الفكر الهلنستي. وهذا كله، هو الفارق الجوهري الذي تذوب فيه التعابير المشتركة المتشابهة. فبولس واثق من مصدر تعليمه: « فهكذا ليس أحد يعرف ما في الله إلاّ روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم، بل الروح الذي من الله، لكي نعرف ما أنعم الله به علينا من النعم؛ ونتكلّم عنها، لا بأقوال تعلمها الحكمة البشرية! بل بما يعلمه الروح، معبرين بالروحيات عن الروحيات » (١ كو ٢: ١١ ـ ١٢).

إن كره بولس للشرك وحكمة الشرك تعصمه من التلفيق، وتعصمنا من اتهامه بمثل هذه الفرية في فكره وعقيدته.

٣) ولم يتأثر بولس بالغنوص الشرقية الناشئة، بل نقضها بلغتها.

يقول بعض علماء المقارنة بين الأديان ـ بسبب ما يظهر عند بولس خصوصاً في رسائله الصوفية من التعابير الغنوصية ـ إن بولس هو الذي أقام المسيحية باسم المسيح، يسوع الناصري، وهو منها براء؛ وذلك بتلفيقها من الكلام الإسرائيلي الهلنستي وتعاليم الأديان السرية وطقوسها التي بدأت تأخذ اسم الغنوص (العلم). فأخذ عنها، كما يقولون، فكرة الخلاص العالمي، وفكرة الاتحاد الصوفي بالمسيح، وفكرة إلهية يسوع المسيح بجعله ابن الله، وفكرة الفداء بموته، وفكرة الاتصال بشخصه وفدائه بالعماد والقربان، وفكرة الخلاص الأبدي بهذه الواسطة. وكانت ضربة معلّم. فجمع ووضع الديانة المسيحية التي تنسجم مع رغبات الشعوب المختلفة فتوآلف فيما بينها في وحدة الإمبراطورية الرومانية. وهذا الدمج والتطوير هما اللذان ساعدا، على حدّ زعمهم، على انتشار المسيحية البولسية في العالم الهلنستي، وانتصارها على الوثنية ثم على الإمبراطورية الرومانية.

تلك شهادة رائعة لعبقرية بولس العالمية. لكنها لا تتفق والتاريخ الحق، وشخصية بولس الحقة.

أجل ان بولس العالم والمتكلم، والضليع بالثقافة الهلنستية، لم يجهل الوثنية الإغريقية الرومانية، ولم يتجاهلها وهو المرسل إليها. ولكن من الخطل (والدجل)، القول بأنه استقى نظرياته من ثقافتها وأسرارها الطقسية. فجذور تعاليمه ترتقي إلى العهد القديم، وبنوع خاص أشعيا الثاني والمزامير، وإلى أسفار الحكمة. وجوهر نظرياته قائم في تعليم المسيح نفسه! وقد دعا بها الرسل في فلسطين قبل هداية بولس؛ ولم يتأثر الإنجيل بحسب متى وبحسب مرقس ببولس، وقد قامت المسيحية في قلب العاصمة الرومانية قبل أن يتصل بها بولس؛ وهو ينتسب معهم إلى « قاعدة التعليم » نفسها (رو ٦: ١٧).

ففكرة الخلاص والحياة الخالدة عند الله تظهران في استشهاد المكابيين ثم في استشهاد اسطفان، زعيم الشمامسة. وهما تعليم أسفار الكتاب التي ذكرنا والكلام الإسرائيلي قبل بولس.

وفكرة الفداء بدم المسيح هي تعليم المسيح الصريح في آخر دعوته لبيان معنى استشهاده، وتعلم الرسل في دعوتهم قبل بولس: ففي كل خطاباته يدعو بطرس إلى الإيمان بيسوع الناصري « المسيح الرب » (أع ٢: ٣٦)، الذي استشهد وقام وارتفع إلى السماء وجلس على عرش الله؛ وبهذا الإيمان ينالون الخلاص، مغفرة الخطايا. وكانت الدعوة الرسولية الأولى تؤكد على الاستشهاد أكثر من الفداء لكفر اليهود « بمسيح مصلوب »، تأليفاً لهم باسم الكتاب نفسه (أع ٢ و٤ و٩ و١٥). وقد دعا المسيحيون بذلك في أنطاكية، عاصمة سوريا الكبرى، حيث لم يكن بولس، في أول أمره، سوى واحد من « المعلمين » (أع ١٣: ١) الذين كانت لهم المرتبة الثالثة في مؤسسات الكنيسة الرسولية (٢ كو ١٢: ٤٢). ففكرة الفداء باستشهاد المسيح أوضحها بولس المتكلم، لكنها ترتقي إلى المسيح نفسه دعوةً (متى ٢٠: ٢٨) ورمزاً (متى ٢٦: ٢٨).

وبولس ابن التوحيد الخالص، الذي يضطهد المسيحية لقولها بمسيح مصلوب وابن الله معاً، لم ينادِ من عنده **بإلهية المسيح**، لو لم يُنزلها الكشف الرباني في وجدانه عند رؤية المسيح في مجد قيامته بنور الله. وكان الرسل

يقولــون « الرب يسوع » كشعار لدعوتهم في البيئة الإسرائيلية؛ وهذا الشعار مرادف لشــعار « ابن الله »؛ ويعتمدان على تصاريح يسوع نفسه عن ذاته.

وتسلّم بولس **سرّ العماد**، ثم **سر القربان** في « ليترجيا الــرب » (أع ١٣: ٣٠). مــن الكنيسة الأولى، بواسطة تلاميذ الرسل، لا بواســطة الرســل أنفســهم (أع ٩: ١٨؛ ١٣: ٢). وسبر غورهما وصلتهمــا بسر المسيح في موتــه وقيامته، على نور كشف رباني خاص به: « فإني تسلمتُ من الرب ما سلمته أيضاً إليكم... فإنكم كلما أكلتم هذا الخبــز وشــربتم هــذه الكأس، تخبرون بموت الرب إلى أن يرجع » (٢ كو ١١: ٢٣ ــ ٢٧).

فتعليم بولس هو من تعليم المسيح ورسله؛ وفضل بولس أنه أوضحه بلغة الكلام التــي فُطر عليها. فالفارق بين تعليم الرسل وتعليم بولس هو في الأسلوب والتعبير بلغة علم الكلام.

فإن بولس قد أخذ عن الرسل أنفسهم « البلاغ والــدعوة » (٢ كــو ١٥: ١ ــ ١١). وبكشف رباني متواصل لسر المسيح والمسيحية، طوّر « التعليم المسيحي » التطــوير الــذي نجده عنده. فليست الغنوص في الأديان السرية وطقوسها مصدر تفكيره وتعليمــه. إنمــا هــو **خاطب البيئة بلغتها**، وكان هذا أسلوب فيلون من قبله.

فاستعار بولس من البيئة التعابير التي تفهمها وسكب فيها التعليم المسيحي. فــإن كــان هناك من تشابه في الطقوس والتعابير، فليس ثمّة من وحدة في التعلــيم، ينــادون بــالغنوص، فنادى هو « بالغنوص السامية » في سر الله والمسيح (كول ١: ٩ ــ ١٠). يتباهون بالحكمــة، فاستعلى عليهم « بحكمة الله في السر المصون... وقد أعلنه لنا الله بروحــه » (١ كــو ٢: ٧ و١٠). ففي المسيح يسوع « جميع كنوز الحكمة والغنوص » (كــول ٢: ٣): بهــذا الشــعار يتحدى بولس البيئة التي يدعو فيها.

وحين يخلــط المسيحيون بين الغنوص الوثنية والمسيحية، يثور بولس، ابن التوحيــد: « إنكم لا تستطيعون أن تشربوا كأس الرب وكأس الشياطين! ولا تستطيعون أن تشتركوا فــي مائدة الرب ومائدة الشياطين »! (١ كو

١٠: ٢١). ويدعوهم إلى الحفاظ على السنة الرسولية التي سلمها إليهم كما تسلمها من الــرب ومن الرسل: « إني أمتدحكم، أيها الأخوة، لأنكم في كل شيء تذكروني، وتحفظون السُنن كما سلمتها إليكم » (١ كو ١١: ٢)؛ « فإني قد تسلمت من الرب ما سلمته أيضاً إلــيكم » (١ كــو ١١: ٢٣).

فليس من قرابة معنوية بين **الخلاص الشركي** الذي كــانوا يبتغونـــه بتلــك الطقــوس السرية. وبين **الخلاص التوحيدي** الذي يدعو إليه بولس في الأسرار المســيحية. هــم كــانوا يطلبون الخلاص من أضرار الآلهة الجهنمية، لا الخلاص من الخطيئة كما يعلم بــولس. وقــد كان ذاك الخلاص عندهم مقصوراً على إلههم القومي، لا يتعداه إلى ســواه وســواهم؛ بينمــا الخلاص عند بولس فهو من الله رب العالمين، بالمسيح الوســيط الوحيــد بــين الله والنــاس، للإنسانية كلها، ومفعوله من الأرض إلى السماء. ففي الأساس نجد دائماً الفاصل الجوهري في التوحيد، والتنزيه والتجريد.

فتأثيرات بولس في مسيحيته بثقافته الإسرائيلية، وثقافته الهلنستية، كانت لغوية بيانيــة، لا دينية عقائدية.

ويظل الكتاب المقدس (٢ تيم ٣: ١٦) بعد التنزيل الإنجيلي (غلا ١: ١٥) مصدر إلهام بولس في تفكيره. لقد نضج فكره المسيحي، بعد التنزيل، بالتأمل في **التيــارات الثلاثــة** التــي انتهت إلى الإنجيل: التيار النبوي خصوصاً عند أشعيا الثاني الذي رأى فيه صــورة المســيح الفادي، والتيار الحكمي الذي رأى فيه صورة المسيح حكمة الله الذاتيــة والمنزلــة، والتيــار الرُؤيَوي الذي رأى فيه صورة المسيح ابن البشر النازل من السماء.

فخاطب البيئة الهلنستية التي تتفاعل فيها **ثلاثة تيارات**، الجبروت الروماني مع شرعه، والحكمة اليونانية، والشريعة الإسرائيلية ــ بأسلوب الشريعة مع أهل الكتاب، وأسلوب الحكمة مع أهل الحكمة، وأسلوب الشرع مع أهل الجبروت والشرع.

فكان مذهبه في هذه الأساليب كلها استخداماً، لا تلفيقاً.

•

ثالثاً: المشكل الأكبر، استخدام أم تلفيق؟

كان عصر بولس في البيئة الهلنستية **عصر الهلنستية الانتقالية** في الفكر والدين Syncrétisme . فزعم بعضهم أن مسيحية بولس « **تلفيق** » من الكلام الإسرائيلي وتلك الهلنستية الانتقائية.

والتهمة خطيرة، لأن بولس **أول مَن** « **كتب** » **في المسيحية**. فإن الإنجيل بحسب متى الأرامي الذي دُوّن من قبل بولس، بعد ترجمته إلى اليونانية، قد ضاع مع أهله من النصارى اليهود؛ والمسيحية قد « **تهلّنت** » على يد بولس ولسانه، في عرضها على العالم الإغريقي الروماني.

فهل « **تهلين** » المسحيية، بواسطة بولس، كان « **تلفيقاً** »، أم « استخداماً » للأساليب اليونانية في التفكير والتعبير؟

هذا هو **المشكل الضخم** في مصادر الوحي الإنجيلي التي دُوّنت كلها بعد رسائل بولس الكلامية الكبرى. وهذا المشكل الضخم هو الذي يُظهر عبقرية بولس المفكّر في فهم المسيحية وعرضها على العالم الهلنستي.

ولكن ليس ثمّة من مشكل. فقد رأينا أن بولس **قد استخدم استخداماً** أساليب الهلنستية في التفكير والتعبير، لعرض المسيحية على البيئة؛ فكان إيلافه لها كأنه تهلين لها. وفي ذلك عبقرية بولس المعجزة، وفضله على المسيحية، بنقلها من السامية إلى الهلّينية، كأن الهلّينية خلقت لها بالفطرة.

١ ــ فكان بولس أول من فلسف المسيحية، بواسطة الكشف الرباني؛ فكان بفطرته وثقافته « الأداة المصطفاة » التي هيأتها العناية الإلهية، بعد تحضير البيئة الهلنستية في الإمبراطورية الرومانية. فبولس والهلنستية، والامبراطورية الرومانية، هي **الدعائم الثلاث** التي قامت عليها المسيحية في انتقالها من العالم السامي عند أهل الكتاب إلى العالم الإغريقي الروماني. وما كان بناء المسيحية الهلينية ليتم لولا الكشف الرباني الذي هو أساسها.

فمنذ هدايته اتضح لبولس **التصميم العام**، « فقد ارتضى الله... أن يكشف ابنه فيّ لأبشر به بين الأمميين » (غلا ١: ١٥ ــ ١٦). ففي فترة

عشر سنوات من وظيفته « كربّاني » في طرسوس، ومقابلة التوحيد الكتابي بالحكمة اليونانية، كانت تهيئة بولس البعيدة؛ وفي جدال اليهود الهلّينيين بزعامة شـاول، للمسـيحيين الهلّينيـين بزعامة اسطفان، عرف بولس الخطوط العريضة للعقيدة المسيحية، وإن اعتبرها كفراً يسـتحق الإعدام، كانت تهيئته القريبة للكشف الرباني. فلمّا ظهر له المسيح في مجد الله الآب، كشف له « بنوته »، فكانت محور تفكيره، ومصدر عقيدته. ونرى بولس الكافر بالمسيح يـدعو للحـال بدمشق أن يسوع الناصري هو المسيح، ابن الله، (أع ٩: ٢٠). فكان بولس بين رسل المسيحية ودعاتها أول مَن رفع هذا الشعار في الدعوة.

فالمسيح الحي في مجد الله وقدرته هو **مصدر الخلاص والحياة الإلهية** في البشـرية. هذا هو المبدأ الأول. « إني ظهرتُ لك لأقيمك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سـأريك. ولقـد فرزتك من الشعب، للأمميين الذين أنا مرسلك إليهم، لتفتح عيونهم... وينـالوا بالإيمـان بـي مغفرة الخطايا ونصيباً من الميراث مع القديسين » (أع ٢٦: ١٦ ـ ١٧).

وفرض الرب على بولس **عزلة عشر سنوات ونيف** ليتملّى من ذاك الكشف الربـاني، ولمقابلته بالتوحيد الكتابي ثم بالحكمة الهلنستية. فتلك عشرون سنة من التأمل والدرس، أكملهـا الوحي الرباني المتواتر، ما بين التنزيل الأول على طريق دمشق، والإسراء إلى الفردوس، في السماء الثالثة.

٢ ـ فالوحي يقود بولس في عمله وفي تفكيره. بعد هدايته وعزلته في بلاد العرب، رجع إلى أورشليم، « فاختُطف بروحه ورأى الرب » في هيكل أورشليم (أع ٢٢: ١٨) يحمله على عزلة أخرى. وبعد مباشرة الرسالة الأولى صعد عن وحي إلى أورشليم ليعرض الإنجيل الذي يدعو به على الرسل (غلا ٢: ٢). وبعد المؤتمر، في الرحلة الثانية، فإن رؤيـا جديـدة تدفعه على اقتحام أوربّا (أع ٢١: ١٠). وفي كورنتُس رأى الرب أيضاً فشجعه على الشـهادة له في العالم اليوناني (أع ١٨: ٩ ـ ١٠). وفي ختام أسفاره، يؤكـد لـه الـروح القـدس أن السلاسل والاضطهادات تنتظره (أع ٢٠: ٢٣ قابل ٢١: ١١). وفي غمرة الوحي والدعوة

يقص بولس علينا إسراءَه إلى الفردوس في السماء الثالثة حيث عرش الله، فقد « أُسْري به إلى الفردوس وسمع كلمات لا يحق لإنسان أن يبوح بها » (٢ كو ١٢: ٤).

إن بولس، في رسالته ودعوته، هو رجل الروح الإلهي، المستولي عليه.

٣ ــ لكنه أيضاً رجل السُنّة الرسولية يُسلمها كما تسلمها (أع ٢ و٣ و٤ و١٠؛ ٣٤ ــ ٤٣ قابل ١ تس ٩ ــ ١٠؛ ١ كو ١٥: ١ ــ ١١).

وفي نقل الإنجيل والسنة المسيحية، يستعير بولس أساليب التفكير والتعبير في اليونانية لتوطين المسيحية في البيئة الهلنستية. فهو، وإن استقل بالرسالة والفكر، لم يستقل عن الرسل في الدعوة والتعليم.

إن « وحدة الحياة مع المسيح » بالإيمان مع العماد ثم بالقربان كضحية « سلمها إليهم كما تسلمها هو نفسه من الرب » (١ كو ١١: ٢٣ ــ ٢٧). وقد تسلم من الرسل والتابعين لهم بإحسان « ليترجيا الرب » (أع ١٣: ٣) وأوضح بوحي رباني أن القربان فيها ذبيحة الرب، وواسطة الاتحاد بالمسيح والحياة منه ومعه وفيه. فجمع بولس الدعوة الرسولية إلى الكشف الرباني الشخصي (١ كو ١٥: ١١).

والخلاص بموت المسيح وقيامته، تسلمه بولس من الدعوة الرسولية، وأوضح بالكشف الربانين له معنى الفداء باستشهاد المسيح؛ فجمع هنا أيضاً الكشف الرباني الشخصي إلى الدعوة الرسولية (١ كو ١٥: ١١).

لقد علّم بولس أن الإيمان مع العماد، والقربان، هي شروط الخلاص، وطرق الاتصال المتصاعد بحياة المسيح في المسيحيين. تسلّم ذلك من الرسل وأتباعهم كما يشهد عماده (أع ٩: ١٨) ورسامته الكهنوتية (أع ١٣: ٣)، ثم أوضح بالكشف الرباني كيف يحيا المسيحي في المسيح.

وهكذا أعطانا بولس، بعبقريته الفذة في فهم المسيحية، « حكمة الله في السر المصون... الذي أعلنه لنا الله بروحه » (١ كو ٢: ٧ و١٠)، نظرتها الجديدة في الله الآب، والرب يسوع، والروح القدس المحيي؛ وفي

الكنيسة جسد المسيح الكامل المؤلف من المسيح والمسيحيين كياناً واحداً؛ وفي اليوم الآخر، بالحياة الخالدة في وحدة تامة مع المسيح لمجد الله الآب إلى الأبد. فبولس يرى الله والكون والإنسان، ويرى الدين والدنيا والآخرة في نور المسيح، ابن الله المخلص. فالمسيح هو سر الله وسر الكون وسر الكنيسة (كول ٢: ٢ ــ ٣)، « لأن الإله الذي قال: (ليشرق من الظلمة نور) هو الذي أشرق في قلوبنا، لكي تسطع فيها معرفة مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦)، « أما نحن فعندنا فكر المسيح » (١ كو ٢: ١٦).

٤ ــ فليست المسيحية « البولسية »، كما يزعمون، « **تلفيقاً** » من الكلام اليهودي والثقافة الهلنستية والغنوص في الديانات السرية. إنما استخدمت أساليب المصادر الثلاثة **استخداماً**، للتعبير عن المسيحية بلغة البيئة. ففي مسيحية بولس **استخدام لا تلفيق** كما يصرّح هو نفسه عن أسلوبه؛ « فإذ كنت حرّاً من الجميع عبّدت نفسي للجميع، لكي أربح الأكثرين: فصرت لليهود كيهودي لأربح اليهود!... وللذين بلا شريعة كأني بلا شريعة ــ مع أني لست بلا شريعة الله، إذ أنا تحت شريعة المسيح ــ لأربح الذين بلا شريعة (أي الأمميين)! وصرت كلاً للكل لأخلّص على كل حال بعضهم. وأنا أصنع كل هذا لأجل الانجيل ليكون لي فيه نصيب » (١ كو ١٢: ١٩ ــ ٢٣).

فما بين بولس والكلام اليهودي مع الحكمة الهلنستية والغنوص الشرقية، « **مشاكلة** » في التعبير، لا « **مطابقة** » في التفكير. فبولس مستقل في تفكيره وعقيدته عن تلك المصادر، وإن اعتمد أساليبها اللغوية والبيانية والكلامية. فعقيدته المسيحية هي الدعوة الرسولية نفسها، بحسب شهادته (١ كو ١٥: ١١)، مع إيضاحات لأبعادها بواسطة الكشف الرباني والوحي المتواتر (غلا ١: ١٥ ــ ١٦؛ ٢ كو ١٢: ١ ــ ٤). فكان بذلك **المتكلم الأول** في سر المسيحية.

●

خاتمة

عبقرية بولس

وتظهر عبقرية بولس المفكر في « **الاقتدار الفكري** » الجامع المانع، وفي « **الادماج الفني** » الواسع الرائع، لأساليب التفكير والتعبير الكتابية والهلنستية؛ فبلغ الاعجاز في علم الكلام المسيحي المنزل.

وميزة هذه العبقرية، وفضلها على الدعوة المسيحية أنها أعطتها الصيغة اليونانية الهلنستية التي حرّرتها من صيغتها التوراتية الإسرائيلية، فجعلتها قادرة على إيلاف العالم الإغريقي الروماني في « المسكونة » كلها. فلبولس الفضل الأكبر في تحرير المسيحية من الموسوية تفكيراً وتعبيراً، لتوطينها في العالم الهلنستي، وما انبثق عنه من عوالم حتى اليوم. تلك هي شخصية بولس الجبارة ومنزلتها من المسيحية.

فليست المسيحية القائمة من بولس[1]؛ إذ لا مسيحية بدون المسيح. إنما أعطى بولس المسيحية صيغتها الهلينية التي خلدها في رسائله.

---

(١) كما قال بذلك بعض علماء الغرب. فردد الصدى أدعياء العلم في الشرق الهندي فالعربي قابل.
Bonsirven: L'Evangile de Paul p. 24 note I- cf Bousset Kyrios Christos: la mystique paulinienne ne vient pas de jésus; ni du christianisme primitif. Wrede: Paulus: il est plus éloigné de Jésus que celui-ci ne l'est des créations les plus pures de la piété juive. Holzman: M. T. Théologie: sa christologie est une création de l'esprit de Paul.

فكان فكر بولس صورة حية لشخصيته في رسالته ودعوته. فقد استخدم الكتاب والكلام اليهودي والفلسفة اليونانية والغنوص الهلنستية، استخداماً بيانيّاً في دعوته ورسائله؛ فأحدث لنفسه **أسلوباً عبقرياً** في البيان والتبيين، للعقيدة المسيحية، في البيئة الهلنستية.

ففكر بولس هو « فكر المسيح » (١ كو ٢: ١٦) مهما استخدم من أساليب في التفكير والتعبير. فكان عمله استخداماً في الأسلوب، لا تلفيقاً في الموضوع. يقطع بذلك عنده التوحيد الخالص، وفكرة المسيح المصلوب « ربّاً ومخلصاً ».

الفصلْ الثّالِث

أسلوب بولس

توطئة	: بولس الخطيب، والكاتب، والمتكلم
بحث أول	: الأسلوب العام ــ أدب المراسلة المسيحية
بحث ثان	: الأسلوب اللغوي
بحث ثالث	: الأسلوب البياني
بحث رابع	: الأسلوب الإنشائي
بحث خامس	: الأسلوب الخطابي
بحث سادس	: الأسلوب الكلامي
بحث سابع	: الأسلوب القصصي
بحث ثامن	: أسلوب الأناشيد
خاتمة	: رسائله جوهرة يتيمة

توطئة

بولس الخطيب، والكاتب، والمتكلم

بولس نبي للمسيح ورسول، يتلقى الإنجيل في حكمته وسره من المسيح نفسه في نـــور الله؛ وينقل الدعوة الإنجيلية إلى الأمميين. فهو خطيب وكاتب ومـــتكلّم معـــاً، ينقـــل الإنجيـــل المتواتر، بكشف رباني شخصي، وفهم عبقري ملهم لأبعاده: فما هو أسلوبه؟

من **بولس الخطيب** لم يبقَ لنا سوى الموجزات التي نقلها لوقا في سفر الأعمال. وبمـــا أن صيغتها اللغوية والبيانية هي من لوقا ــ وإن كان الموضوع من بولس نفسه ــ فلا مجـــال لدرس أسلوب الخطيب فيها.

بقي لنا من بولس رسائله. سندرس، في الجزء الثالث، صفات **بولس المتكلّم** فيها.

ندرس في هذا الفصل **أسلوب بولس ككاتب وخطيب ومتكلم.**

۞ ۞ ۞

بحث أول

الأسلوب العام ـ أدب المراسلة المسيحية

أولاً: لغة الرسائل

ليست لغة الرسائل اليونانية الأتيكية الفصحى التي نقرأها في الأدب اليوناني الكلاسيكيّ. فقد انكفأت بعد الفتح الإسكندري، وامتزجت بها تعابير شرقية ولاتينية. فكانت **اليونانية « الشائعة »**؛ وهذه هي لغة الأدب الهلنستي ورسائل بولس. وقد تطورت بالفتح اليوناني، وزاد تطورها بالفتح الروماني إلى العامية؛ وتطورت معاني مفرداتها، وأساليب تعابيرها؛ كما حدث للعربية في أوج العهد العباسي.

فكانت **اليونانية « الشائعة »** لغة الأدب والمراسلة والمخاطبة في زمن بولس. فخطب وكتب بها.

لذلك لا تصح ترجمة العهد الجديد بموجب قواميس اللغة الفصحى. وقد وضع العلماء **قواميس خاصة** للغة العهد الجديد واصطلاحاتها. منها، على سبيل المثال، أن كلمة δόξα قد تعني المجد كما في الفصحى، ولكنها تعني أيضاً خمسة معاني مختلفة، أكثرها اصطلاحاً معنى **الحمد**، وفي إسناد التعبير إلى الله أو الرب، فهي كناية عن الذات في بهائها الأسمى.

●

ثانياً: تلك اليونانية كانت لغة ثانية فطرية عند بولس

لقد ولد بولس ونشأ في طرسوس، مدينة هلنستية وجامعية؛ يتمتع بالمواطنية الطرسوسية، فلم يكن أجنبيّاً فيها؛ ويتمتع أيضاً بالرعوية الرومانية التي كانت لغتها اليونانية الشائعة.

فرضع بولس هذه اللغة اليونانية، مثل الأرامية لغته القومية، مع الحليب فنشأ مثل أهل المدن من اليهود والسوريين، تحت الحكم اليوناني والروماني، على **لغتين أليفتين**، اللغة القومية واللغة الدولية، ينطق بهما منذ الصبا كأهليهما. فلا أثر عند بولس، اليهودي الهلنستي، للترجمة من الأرامية إلى اليونانية. وإنْ وردت عنده بعض التعابير السامية، العبرية أو الأرامية، كما في الترجمة السبعينية.

لكن بولس، كما سنرى، قد حفظ في لغته اليونانية أسلوب النظم الأرامي، في ثنائيات بحسب التعبير السامي، أو في رباعيات بحسب التعبير الآري. وهذا ما يسمونه في الشعر العربي المولّد « الدوبيت » وبالفطرة يرتفع النثر. عنده إلى هذا الأسلوب من النظم المرسل.

كانت الأناشيد والمراسلات من أساليب الدعاوة الدينية في العالم الإسرائيلي (المزامير) والإغريقي (الأناشيد). فاعتمدتها المسيحية في دعوتها ودعاوتها. وكان لبولس فضل السبق والعبقرية في ذلك، كما سنرى. فهو يكمّل في رسائله رسالاته.

●

ثالثاً: لغة المراسلة وأدبها

وفي تلك اللغة الشائعة، في الأداب الهلنستية، تعكس الرسائل لغة المراسلة. وأدب المراسلة، في اليونانية الهلنستية، له أصوله وتعابيره.

وكان أدب المراسلة الدينية أو الأدبية أو العلمية شائعاً قبل بولس، في البيئة الهلنستية، كما في البيئة الإسرائيلية، منذ رسالة أرميا النبي إلى المهاجرين (في سفر باروخ ف ٦) ورسالة السلطة العليا في أورشليم إلى اليهود المصريين (٢ مكا ١: ١؛ ٢: ٩).

لكن بولس **افتتح بعبقريته أدب المراسلة المسيحية** برسائله الخالدة. فاقتفى أثره بعض الرسل كأصحاب « الرسائل العامة » ورسائل سفر الرؤيا

(١ ــ ٣). لكن لم يضارعه في الموضوع سوى صاحب الرسالة إلى العبرانيين؛ كمـا اقتفـى الإنجيليون أثر متى في الإنجيل الأرامي.

وذهبت من بعده سُنّة في الكنيسة.

•

رابعاً: المشكل البياني، أهي رسائل أم مكاتيب؟

المشكل الرئيسي في أسلوب رسائل بولس؛ أهـي « رسـائل » بـالمعنى الحصـري البياني؟ أم « مكاتيب » خاصة لأفراد أو جماعات؟

والفارق بين النوعين أن **الرسالة** كتاب موجز معدّ للنشر، يبحث موضوعاً بعينه أدبيّـاً أو علميّاً، أو كلاميّاً؛ بينما المكتوب مخاطبة خاصة، في شؤون خاصة، وغير معد للنشر.

ومؤلفات بولس أكثرها **رسائل بالمعنى الحصري**، لأنها مرسلة إلى كنيسة فهي عامـة، لا شخصية (١ تس ٥: ٥٧)؛ وقد يطلب بنفسه تبادل رسائله ما بين كنائسـه (كـول ٤: ١٦)؛ ولأنها تبحث موضوعاً كلامياً من الدعوة المسيحية، يفصّل كتابةً ما أغلق عليهم دعوةً؛ ولـيس ما في قسمها الأخير من خصوصيات ليرفع عمّا في أقسامها الأولى من بيان عقيدة أو شـريعة أو صوفية.

على كل حال، لا مجال للشك في أن الرسالتين إلـى الرومـانيين وإلـى الأفسسـيين ترتفعان إلى قمة الأدب في فن الرسائل. فهما رسالتان جامعتان، باسم مخصـوص، معـدتان للنشر والتلاوة في كنائس المسيحية، وتبحثان موضوعاً عاماً من صلب الدعوة والعقيدة بحثـاً كاملاً بموجب أصول علم الكلام. فكان بولس بذلك **واضع علم الكلام في المسيحية**.

•

خامساً: أسلوب المراسلة عند بولس

يمتاز أسلوب المراسلة عند بولس **بفخامة السلام** في مطالع رسائله،

كقوله منذ الرسالة الأولى: « النعمة والسلام عليكم، من الله الآب، والرب يسوع المسيح » (١ تس ٢: ٢).

ويمتاز **أيضاً بتمهيد ضخم** يأتي بصيغة **شكر أو حمد** على نعمة الله في المسيح. نجد هذا الأسلوب في كل رسائله ما عدا (غلا، ١ تيم، تيطس).

وتتضمن فاتحة الحمد، في الرسالة، دعاءً إلى الله، وتهنئة للمراسلين على ثباتهم في إيمانهم، يفضيان إلى **حسن التخلص** إلى الموضوع.

فالحمد ميزة رسائل بولس في المطالع والخواتيم، وأحياناً في حسن التخلص ما بين أقسام الرسالة (رو ٨: ٣١ ــ ٣٩؛ ١١: ٣٣ ــ ٣٦؛ ١٥؛ ١٣).

والتبريكات ميزة أخرى في المطالع والخواتيم.

ويمتاز أسلوب المراسلة عنده، في ختام التمهيد، **بإعلان موضوع الرسالة**، بطرح القضية على بساط البحث. ثم يبدأ ببراهين القضية موضوع الرسالة، أو بلوحات من سيرته أو بعثته تؤيد القضية. وينتقل إلى فتاوي على مسائل، أو إيضاحات لمشاكل. وهذا الأسلوب في العرض والجدل ما يجعلها رسائل بالمعنى الحصري.

فكأن رسائل بولس قطع نابضة بالحياة، من الصلاة، والتعليم، والخطابة، والنشيد. إنها **قطع من حياة** الدعوة المسيحية في عهد الوحي والتنزيل.

●

سادساً: رسائل بولس صور لصراع المسيحية في بيئات مختلفة

والظاهرة الكبرى على رسائل بولس إنها صور عن صراع الدعوة المسيحية في بيئات أربع مختلفة: الإسرائيلية، واليونانية، والرومانية، والأسيوية (في الأناضول).

ففيها صورة لدعوة الإنجيل تجاه الشريعة الموسوية.

وفيها صورة لدعوة الإنجيل تجاه الحكمة اليونانية.

وفيها صورة لدعوة الإنجيل تجاه الشرع الروماني وجبروته.

وفيها صورة لدعوة الإنجيل تجاه الغنوص الهلنستية.

وبما أن الشريعة الموسوية، والحكمة اليونانية، والشرع الروماني، والغنوص الهلنستية، قيم قائمة في البشرية قِمماً، فإن صراع المسيحية لها ولما تفرّع عنها، حيٌّ قائم مدى الدهور في رسائل بولس. إن جهاد بولس في سبيل المسيح والإنجيل هو على مستوى القيم البشرية العليا، ويظهر **إعجاز الإنجيل** عليها.

•

سابعاً: رسائل بولس « تعليم » و« حكمة للبالغين » في المسيح

أسفار الإنجيل، وسفر الأعمال، تنقل « **بلاغ** » الدعوة المسيحية بين بني إسرائيل و« الأمميين ». ونجد في رسائل بولس أمثلة من « **البلاغ المسيحي** » المعهود المتواتر (١ كو ١٥: ١ ــ ١١).

لكن رسائل بولس هي « **التعليم المسيحي** » للمسيحيين أنفسهم بعد هدايتهم. وهذا ما يميّزها في موضوعها وفي أسلوبها عن سائر أسفار العهد الجديد: إنها « تعليم » للمسيحيين، لا « بلاغ » للأمميين.

وهذا « التعليم المسيحي » للإنجيل يسميه بولس أحياناً « **إنجيلي** »، لتركيزه على بعض مبادئ من الدعوة الإنجيلية، وإبرازها على طريقة بولس وليس في ذلك إشارة إلى معارضة « إنجيل بولس » لإنجيل المسيح الذي يدعو به الرسل الحواريون. فهو يصرح مراراً بأن إنجيله هو « إنجيل الله » و« إنجيل المسيح ».

وهذا « التعليم المسيحي » ينطق به بولس، لا بين « الأطفال في المسيح » (١ كو ٣: ١)، لكن بين « البالغين » (١ كو ٢: ٦)؛ لأنه « حكمة الله في السر المصون، التي سبق الله فحدّدها قبل الدهور لمجدنا؛ التي لم يعرفها أحد من رؤوساء هذا الدهر ــ ولو عرفوها لما صلبوا رب المجد ــ ولكن كُتب عنها: (ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على

قلب بشر، هذا ما أعده الله لأحبائه)؛ وقد أعلنه لنا الله بروحه، لأن الروح يفحص كـل شـيء حتى أعماق الله... أما نحن فعندنا فكر المسيح » (١ كو ٢: ٦ ــ ١٠ مع ١٦).

فمصدر تعليم بولس وإنجيله هو فكر المسيح وكشف الروح المقـدس وموضـوعه أن المسيح هو « **حكمة الله** »، و« **رب المجـد** » (١ كو ٢: ٧ ــ ٨). وهو تعليم « للبالغين » في المسيح.

●

ثامناً: إنجيل بولس هو حكمة الإنجيل

إن وصف بولس لتعليمه أنـه « حكمة »، وللمسيح أنـه « حكمة الله المصـونة فـي السر » (١ كو ٢: ٦ ــ ٨) يجعل « إنجيله » حكمة الإنجيل. لذلك وصفنا بولس بأنه **المـتكلّم الأول** في المسيحية؛ ورسائله **الكلام المسيحي المنزل**.

لذلك ليست رسائل بولس عرضاً كاملاً للعقيدة والشريعة والصوفية المسـيحية، لأنهـا رسائل مرهونة بظروف الكنائس الناشئة. لكن بولس، بعبقريته الفطريـة، والـوحي الربـاني، ارتفع فيها من الظرفية إلى المطلق، فكانت رسائله لمعاً مـن العقيـدة والشـريعة والصـوفية المسيحية، تؤلف في مجموعها **موجزاً معجزاً** لحكمة الإنجيل، وإعجازه في التنزيل.

وهذا الموجز المعجز في حكمة الإنجيل يسميه بولس « إنجيلي ».

●

تاسعاً: صفات بولس الكاتب في رسائله

فيظهر لنا بولس، في رسائله، **الشاهد الأمين** للدعوة الرسولية ينقل مـراراً مـوجزات بلاغها وشعاراته؛ كما ينقل تعليمه الشفوي ويوضحه، فهو **نبي المسـيح** الـذي يعلـن سـر المسيحية بالوحي والتنزيل والكشف والإسراء. وهو **رسول المسيح** الذي يحيا دعوته ورسالته قبل أن يقوم بهما ويدوّن خطوطاً منها

جامعة مانعة. وفي هذا كله هو **المتكلّم الأول** في حكمة الإنجيل، يقيم فلسفة المسيحية في بيئة لا تحلم إلاّ بالحكمة البشرية، بهذا التحدي السامي: « ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، هذا ما أعده الله لأحبائه، وقد أعلنه لنا الله بروحه » (١ كو ٢: ١٠).

•

عاشراً: أساليب بولس في رسائله

إن « إنجيل » بولس، في حكمة إنجيل المسيح، جاءَ على أساليب مختلفة: من **تعليم** للمسيحية في عقيدتها وشريعتها وصوفيتها؛ **ودفاع** عنها تجاه الشريعة الإسرائيلية، والحكمة اليونانية، والجبروت الروماني في شرعه، والغنوص الشرقية؛ **وتطبيق لأحكامها** على الحياة العامة والعائلية والفردية؛ بأسلوب لغوي، بياني، إنشائي، تعليمي، خطابي، كلامي، يجعل بولس في **طليعة الأدباء والمتكلمين**.

۞ ۞ ۞

بحث ثان

الأسلوب اللغوي

نوجزه بهذه الخطوط:

١ ــ بولس، مع لوقا، أقرب كتبة الوحي الإنجيلي إلى فقه اللغة اليونانية الشائعة. وقد نشأ بولس اليهودي الطرسوسي، ولوقا السوري الأنطاكي، على اليونانية في بيئة هلنستية، فكانت اليونانية لغتهم الفطرية الثانية، وقد تلقنوا فقهها وبيانها في نشأتهم.

٢ ـ ويرى العارفون أن لغة بولس قريبة من لغة الترجمة السبعينية الناصعة.

٣ ـ كما يرون قربى بين لغة بولس ولغة الفيلسوف الرواقي ابيكتيتس الذي كان معاصراً لبولس. وقد عدّ بعضهم[1] نحو مئتي كلمة مشتركة بين ابيكتيتس والعهد الجديد، ومئتي كلمة يستقل بها الفيلسوف، ومئتي كلمة يستقل بها العهد الجديد. وهذا دليل بيئة مشتركة، لا دليل اقتباس.

وبين الكلمات المشتركة نحو خمسين مختصة ببولس وابيكتيتس؛ بحرف واحد أحياناً؛ لكن بمعنى مختلف لاختلاف كلام بولس عن فلسفة ابيكتيتس. وهذا أيضاً دليل بيئة مشتركة، لا دليل اقتباس.

٤ ـ وبما أن بولس كان **أول كتبة الوحي الإنجيلي**، فقد كان **واضع لغته اليونانية المكتوبة**، وإن سبقته الدعوة الشفوية، التي اعتمدت على الدعوة الإسرائيلية بين « الأمميين »، في الترجمة السبعينية، ومنحولات العهد القديم باليونانية، وخصوصاً أسفار الحكمة: حكمة ابن سيراخ، وحكمة سليمان (المنحول لسليمان). لكن بولس **قد نصّر هذه اللغة تنصراً كاملاً**.

٥ ـ فقد استعار التعابير الهلنستية وسكب فيها معنى جديداً. من ذلك، على سبيل المثال، أخذ عن الشرع الروماني كلمة « التبنّي » ὑιοθεσία فجعلها عبارة عن التبني الإلهي للمؤمنين بالمسيح، العائشين من حياته الروحية. كذلك استخدم كلمة « بـرّ » و« تبرير » المشتركة بين الكلام اليهودي والكلام الهلنستي، فأعطاها معنى جديداً للتبرير بالمسيح.

كذلك كلمة « الضمير » συνείδησις التي تظهر لأول مرة في (١ كو ٨: ٧)، ولا ترد في الإنجيل بأحرفه الأربعة؛ وتظهر ترجمة لتعبير عبري أرامي في (الجامعة ١٠: ٢٠؛ ابن سيراخ ٤٢: ١٨؛ الحكمة ١٧: ٨). فقد استخدمها بولس بمعنى الشعور الوجداني بالواجب. كذلك أيضاً كلمة غنوص (العلم) استخدمها من اليونانية، حيث هي

(1) Ad. Bonhoffer: Epiktet und das Neue Testament, Giessen 1911.

محض فكرية، وحمّلها معنى كتابياً وإنجيليّاً من العقل والقلب والإرادة والشعور، بزيادة البنـاء فيها ἐπιγνώσις .

٦ ـ وتمتاز لغة المراسلة **بالحوار** الشعبي أو الخطابي، الذي كان رائجاً عند أهل الرواق.

ومن أماراته: الاستهلال **بالمنادى** « يا أخوة »؛ **والاستفهام** المتواتر لفظاً أو معنى، على نوعيه البسيط أو الاستفهام المنكر.

ومن أساليب الحوار، **السؤال والجواب**، نحو « قد يقول قائل » (١ كو ١٥: ٣٥)؛ « تقول إذن » (رو ٩: ١٩؛ ١١: ١٩)؛ « على حدّ قولهم » (٢ كو ١٠: ١٠؛ ١ كو ٦: ١٦)؛ ثم يأتي الجواب بصيغة: « أقول إذن »، « لكن أقول »، « فأقول » ويختم مراراً بقوله « أخيراً » (٢ تس ٣: ١؛ ١ كو ١: ١٦؛ ٤: ٢؛ ٢ كو ١٣: ١١؛ فيل ٤: ٨). فهذه وغيرها من **أحرف الاستنتاج**، دلائل على لغة المخاطبة وأدب المراسلة. والشعوب السامية من عبرية وسورية وعربية، مثل الشعوب الإغريقية (أع ١٧: ٢١) تهوى الحوار في الحديث.

۞ ۞ ۞

بحث ثالث

الأسلوب البياني

على لغة صحيحة ناصعة، **تتعقّد أحياناً لتراكم المعاني**، قام بيان رائع في فنونه المتعددة.

وتظهر على رسائل بولس، ما عدا الرسالة إلى الرومانيين والرسالة إلى الأفسسيين، **صفة الارتجال** التي تدل على مقدرة فريدة في البيان والتبيين.

والارتجال يقود أحياناً إلى **الاستطرادات** التي تقطع السياق. وقد يطول الاستطراد فيبتره ليعود إلى السياق العام.

وقد يُبنى السياق عنده على **تشابه التعابير** فينتقل من فكر إلى فكر؛ أو على **دوائر محورية** للفكر الواحد تضيق وتتسع حسب الأحوال.

ويهوى بولس **فن المقابلة** بين الأضداد، **وفن التشخيص** للمعاني كالإيمان والشريعة، كالجسد والروح، كالحرف والروح، كالموت والحياة، كالحرية والعبودية. كما يهوى **الاستعارات والرموز**. فينتج عن ذلك **شيء من المتشابه والمتعارض** بين تعابيره ومواقفه.

لكنها **هِنات** تضيع في روعة البيان والتبيين وفنونهما منها:

١ ــ **الحوار** أسلوب مضطرد عند بولس في لغته وبيانه. وكان شائعاً في المدرسة الرواقية التي تعاصره. فاستخدمه بولس مراراً في عرض تعليمه، خصوصاً في حملاته. ولا غرو في ذلك فإن كتاباته رسائل تخاطب قوماً معهودين، يوضح لهم تعليمه أو يُفتي لهم في مشاكلهم ومسائلهم.

٢ ــ **التكرار** للإيضاح والترسيخ، كقوله لأخصامه من أهل كورنثس: « فليحسبنا الناس كخدام المسيح، ووكلاء على أسرار الله؛ وما يُطلب في الوكلاء أن يكونوا أمناء. لذلك أقل شيء عندي أن تحكموا أنتم أو أي محكمة بشرية في أمري. بل أنا نفسي لا أحلم في نفسي. فلا تحكموا إذن بشيء قبل الأوان، إلى أن يرجع الرب » (١ كو ٤: ١ ــ ٥).

٣ ــ **الموازنة** أي مقارنة المعاني بالمعاني ليُعرف الراجح من المرجوح، كقوله: « إن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما هو من روح الله، فإنه جهالة عنده! وليس في وسعه أن يعرفه لأنه بالروح يحكم فيه. أما الإنسان الروحي فإنه يحكم في كل شيءٍ ولا أحد يحكم فيه » (١ كو ٢: ١٤ ــ ١٥). قابل (١ كو ٢: ١٤).

٤ ــ **الترديد** أي إعادة اللفظ بمعنى آخر، كقوله: « يحسبوننا نسلك بحسب البشرية! لا شك إننا نسلك في البشرية، لكننا لا نحارب بحسب

البشرية، فإن أسلحة حربنا ليست بشرية » (٢ كو ١٠: ٢ ـ ٣). وقد يأتي ترديد تعبير في رسالة للتركيز عليه في البحث مثل تعبير « الجرأة » في الكورنثية الثانية، أو تعبير « الافتخار ».

٥ ـ **الأفراد**، أي تكرار لفظ واحد بمعانٍ مختلفة، من فعل كقوله: « فلا يحكمنّ (يدينن) بعضنا على بعض من بعد؛ بل احكموا (قرّروا) بالحري أن لا يوضع للأخ معثرة ولا شك » (رو ١٤: ١٣)؛ أو من اسم، مثل تعبير Κόσμος أي الكون، أو الإنسانية، أو البشرية الخاطئة؛ أو تعبير Σάρξ « الجسد » الذي قد يعني الجسد نفسه، أو الشخص الإنساني (٢ كو ٤: ١٠؛ رو ١٢: ١؛ كول ١: ٢٢) أو الإنسان الخاطئ (رو ٨: ١٣)، وبمعاني مجازية عديدة؛ أو تعبير « الروح » Πνεύμα يعني روح الله (١ كو ٦: ١٩؛ ٢ كو ١٣: ١٣؛ رو ٥: ٥؛ ٨: ٩)، روح الإنسان، أو الشخص البشري عينه (١ كو ١٦: ١٨) أو الحياة الروحية الجديدة في الإنسان (٢ كو ٣: ٦؛ رو ٨: ٦ و١٥؛ كول ١: ٨)؛ أو καρδία القلب موطن العقل (٢ كو ٣: ١٥؛ ٤: ٦؛ أفس ١: ١٨) أو الإرادة (١ كو ٤: ٥؛ ٧: ٣٧؛ ٢ كو ١١: ٧)، أو الشعور (٢ كو ٢: ٤؛ رو ٩: ٢؛ كول ٢: ٢) أو بمعنى عام الباطن (١ كو ١٤: ٣٥؛ رو ١٠: ١)، أو حسن الطوية (رو ٦: ١٧؛ أفس ٦: ٥). فأسلوب الأفراد شائع في لغة بولس.

٦ ـ **التصريع** أي تكرار الكلمة في مطالع الآي لتقريرها، كقوله ثمانية مرات: « فليسلك كل واحد منا على ما كان عليه إذ دعاه الله ـ ذلك ما أرسمه في كل الكنائس: أدعي أحد وهو مختون فلا يتظاهر بالقلف! أدعي أحد وهو في القلف فلا يختتن! ـ فليس الختان بشيء ولا القلف، بل حفظ وصايا الله ـ فليستمر كل واحد على الحالة التي دُعي فيها: أدعيتَ وأنت عبد؟ فلا يهمك ذلك! بل إن أمكنك أن تنال الحرية فافعل، لأن مَن دعي وهو عبد فهو عتيق الرب؛ كذلك مَن دُعي وهو حرّ، فهو عبد المسيح » (٢ كو ٧: ١٧ ـ ٢٥).

وقد يأتي **التصريع** في رأس الكَلِم من الآية الواحدة فيؤتيها روعة غالبة: « وفي الأسفار، كثيراً ما كنت: في أخطار السيول؛ وأخطار اللصوص! في أخطار من أمتي؛ وأخطار من الأمميين! أخطار في المدينة؛ وأخطار في البرية! أخطار في البحر، وأخطار بين الأخوة الكذبة »! (٢ كو ١١: ٢٦).

٧ ــ **حسن التضمين**، وهو إدراج كلام الغير في الخطاب للرد عليه من طرف خفي، كقوله: « ثم أسألكم بوداعة المسيح وحلمه، أنا نفسي بولس، « الذليل في حضوره، والجريء في غيابه، أجل أطلب إليكم ألاّ تلجئوني أن أعمل بتلك الجرأة عند حضوري » (١ كو ١٠: ١).

٨ ــ **التهكم**، وهو فن بياني بليغ لتحطيم الخصم أو المواقف المعارضة. وهو يأتي عند بولس على أحوال: تارة **بلطف**: « وأنا بكل سرور أبذل كل شيء، بل أبذل نفسي، لأجلكم، وإنْ كنتم، وأنا أحبكم أكثر، تحبوني أنتم أقل »! (٢ كو ١٢: ١٥). وطوراً **بشدة**: « ها قد صرتُ جاهلاً! إنما أنتم قد اضطررتموني إلى ذلك... فإن علامات الرسول قد تجلّت في ما بينكم، من طول الأناة، ثم الآيات والعجائب والمعجزات. ففي أيّ شيء: نقصتم عن سائر الكنائس؟ ربما في كوني لم أثقّل عليكم: فسامحوني بهذا الظلم »! (٢ كو ١٢: ١١ ــ ١٣). وحيناً **بعنف**: « ها قد شبعتم! ها قد استغنيتم! وبدوننا قد ملكتم! ويا ليتكم قد ملكتم حقاً لنملك نحن أيضاً معكم »! (١ كو ٤: ٦ ــ ٩).

٩ ــ **الاقتباس** وهو نقل كلام الغير للتأييد (وهو الاستشهاد) أو للرد عليه، كقوله: « أنتم إلى الظواهر تنظرون! فإن كان أحد يثق من نفسه بأنه للمسيح (كما يقولون)، فليفكر أيضاً في ذاته أنّا نحن أيضاً للمسيح، كما هو له! فإني، وانْ افتخرت، في بعض الافراط، بسلطاننا الذي آتانيه الرب ــ لبنيانكم ولا لهدمكم ــ لا أخجل! فلئلاّ أظهر مثل مهوّل عليكم بالرسائل... إذ يقول قائل: إنّ الرسائل ثقيلة وقوية، أمّا الحضور بالجسم فصغير، والكلام حقير! ألا فليحسبنَّ مثل هذا أنا كما بالقول في الرسائل

ونحن غائبون، كذلك نحن بالفعل ونحن حاضرون »! (٢ كو ١٠: ٧ ـ ١١).

١٠ ـ **الاقتصاص** وهو نقل كلام الغير لبناء الخطاب عليه. ففي الرسالة الأولى إلى الكورنثيين يظهر أنهم يتهمونه **بالضعف** في حضوره، **وبالادعاء** في غيابه. فيردّد خمس مرات تهمة الضعف متهكّماً، وخمس وعشرين مرة تعبير « الجرأة في الادعاء » لبيان حاله في مقاله وفعاله؛ ثم يقلب التهمة عليهم ويعيّرهم بالانتفاخ الفارغ (١ كو ٤: ٦ و١٨ و١٩؛ ٥: ٢؛ ٨: ١؛ ١٣: ٤). فهو يعود إلى الفكرة مراراً وبأشكال مختلفة لتحطيم المعارضة.

١١ ـ **الطباق أو المطابقة**، أي الجمع في جملة بين متضادين؛ ومتى زاد الجمع على ضدّين سميت المطابقة « **مقابلة** » كقوله: « نحن جهّال من أجل المسيح، أما أنتم فحكماء في المسيح! نحن ضعفاء، أما أنتم فأقوياء! أنتم مكرمون، أما نحن فمهانون!... نُشتم فنبارك! نُضطهد فنحتمل! يُشنّع علينا، فنصلّي »! (١ كو ٤: ٩ ـ ١٣).

١٢ ـ **التعديد** أي إيقاع الألفاظ المفردة على سياق واحد، كقوله: « في كل شيء نظهر أنفسنا خداماً لله: بالصبر الكثير في المضائق والشدائد والمشقات؛ تحت الضرب، وفي السجون، وبين الاضطرابات؛ في الأتعاب والأسهار والأصوام؛ بالطهارة والمعرفة والحلم والرفق؛ بالروح القدس؛ بالمحبة الخالصة، وكلمة الحق، وقدرة الله »! (٢ كو ٦: ٤ ـ ٧).

١٣ ـ **الجمع** بين شيئين أو أشياء في حكم متّسق طرداً أو عكساً. وهو على أنواع: **الجمع والتفريق** كقوله: « في المجد والهوان، في سوء الصيت وحسنه: كأنّا مضلّون، ونحن الهادون! كأنا مجهولون، ونحن المعروفون! كأنا مائتون، ونحن الأحياء! كأنا مؤدّبون، ونحن الصامدون! كأنا حزان، ونحن على الدوام الفرحون! كأنا معوزون، ونحن على كثيرين الفائضون! كأن لا شيء لنا، ونحن كل شيء لنا » (١ كو ٦: ٨ ـ ١٠).

ثم الجمع والتقسيم، كقوله: « الشدّة والضيق على كل نفس تفعل السوء: اليهودي أولاً ثم الهلّيني! والمجد والكرامة والسلام لكل من يصنع

الخير: اليهودي أولاً ثم الهليني! لأن الله لا يحابي الوجوه » (رو ٢: ٩ ــ ١١).

ثم الجمع مع التفريق والتقسيم، كقوله: « فكل الذين خطئوا بمعزل عن الشريعة، فمبعزل عن الشريعة أيضاً يهلكون! وكل الذين خطئوا، وهم تحت الشريعة، فبمقتضى الشريعة يُدانون، لأنه ليس الأبرار عند الله هم السامعين للشريعة، بل العاملين بالشريعة » (رو ٢: ١٢ ــ ١٣).

١٤ ــ حسن النسق، حيث يأتي الخطاب بكلمات متتاليات متلاحمات تلاحماً حسناً، بحيث إذا أُفردت المقاطع في الجملة قامت بنفسها واستقلت بلفظها ومعناها، كما في نشيد المحبة الأول (رو ٨: ٣٥ ــ ٣٩).

ومنه **حسن النسق مع الانفراد والافتراق**، كما في نشيد المحبة الثاني (١ كو ١٣ كله).

١٥ ــ التفويت حيث يأتي الكلام بمعان شتى وأوصاف جلّي، كل منها في جملة مستقلة مع تساوي الجمل في النظم، كقوله: « فالذين ميّزهم، إياهم دعا! والذين دعاهم، إياهم برّر! والذين بررهم، إياهم مجّد! » (رو ٨: ٣٠).

١٦ ــ التنكيت أي ذكر نكتة في الموصوف تسد مسده، لأجل صفة فيه ترجّح تفضيله، كقوله في تفضيل الحكمة المنزلة في المسيح على الحكمة البشرية: « إن ما ننطق به إنما هو حكمة الله في السر المصون... التي لم يعرفها أحد من رؤساء هذا الدهر ــ ولو عرفوها لما صلبوا ربّ المجد » (١ كو ٢: ٧ ــ ٨)؛ أو كقوله: « أولئك الكفرة الذين أعمى إله هذا الدهر (إبليس) بصائرهم لئلا يضيء لهم إنجيل مجد المسيح، صورة الله » (٢ كو ٤: ٤).

١٧ ــ العنوان، وهو وصف الشخص أو الشيء دون ذكر اسمه بصفة تغني عن ذكره، كقوله عن نفسه: « إني أعرف رجلاً في المسيح قد اختطف منذ أربع عشرة سنة إلى السماء الثالثة... إلى الفردوس، وسمع

كلمات معجزة لا يحل لإنسان أن ينطق بها: فمن جهة هذا الرجل أفتخر » (٢ كـو ١٢: ٢ ـ ٥).

١٨ ـ **الالتفات** وهو نقل الكلام من صيغة إلى أخرى، كنقله من الغيبة إلى المتكلم أو المخاطب، مثل قوله: « فإذا ما الأمميون... أمّا أنت المدعو يهودياً... » (رو ٢: ١٤ ـ ٢٤).

١٩ ـ **عتاب المرء نفسه.** فهو يصف فساد النفس البشرية الأمّارة بالسوء، ثم يهتف: « يا لي من إنسان شقي! مَن ينقذني من جسد الموت هذا »؟ (رو ٧: ١٤ ـ ٢٥).

٢٠ ـ **تشابه الأطراف**، وهو ترديد أواخر الكِلِم في مطالع أخرى، كقوله: « وليس هذا فحسب، بل نفتخر حتى في الشدائد، لعلمنا أن الشدة تنشئ الصبر، والصبر الفضيلة المختبرة الرجاء، والرجاء لا يخزى » (رو ٥: ٣ ـ ٤).

٢١ ـ **التعليل** أي ذكر العلّة قبل المعلول. وهو في العربية فن من البديع، لكنه في اليونانية من فقه اللغة وأسلوبها، لذلك فهو مضطرد عند بولس.

٢٢ ـ **الترتيب والتعديد**؛ ويسمى باليونانية « السُلّم »؛ كما في قوله (رو ٥: ٣ ـ ٥) وقوله (رو ٨: ٢٩ ـ ٣٠).

٣٣ ـ **القسم البياني**، وهو الحلف بما فيه فخر للمتكلم أو المخاطب أو الغائب، لتعظيم شأنه أو التنويه بقدره، كقوله: « في كل شيء قد حذرتُ أن أثقل عليكم، وسأحذر. فبحق المسيح الذي فيّ، إن هذا الفخر لا يُنزع مني في إقليم أخائية! » (٢ كو ١١: ٩ ـ ١٠).

٢٤ ـ **القدح في معرض المدح**، حيث يبلغ التهكّم ذروته، كقوله: « ولكن أنت المدعو يهوديّاً، المعتمد على الشريعة! أنت الذي يفتخر بالله ويعرف مشيئته، ويميّز بفضل الشريعة ما هو الأفضل! أنت الذي يدّعي أنه قائد العميان، ونور المظلمين، ومؤدب الجهال، ومعلم الأطفال ـ لأن له في الشريعة صورة العلم والحق ـ أنت من تعلم غيرك، أفلا تعلّم نفسك؟

مَن تنادي: لا تسرق، أتسرق؟! مَن تنهى عن الزنى، أتزني؟! مَــن تمقــت الأوثــان، أتســلب هياكلها؟! مَن تفخر بالشريعة، أتهين الله بتعدّيها؟! فإن الأمميين، على ما هو مكتــوب (أشــعيا ٥٢: ٥)، بسببكم، على اسم الله يجدّفون »! (رو ٢: ١٧ ــ ٢٤).

٢٥ ــ **المدح في معرض القدح**. وهو عكس السابق. مثال ذلك قوله الرائع في الرسل (١ كو ٤: ٩ ــ ١٤)، وقوله البديع في نفسه (٢ كو ١١: ٢٣ ــ ٢٩).

٢٦ ــ **التخصيص في معرض التعميم**، كقوله وهو يقصد نفسه: « إن الله، علــى مــا أرى، قد أبرزنا نحن الرسل آخري الناس، كمحكوم عليهم بالموت، إذ قد صرنا مشهداً للكــون والملائكة والبشر! نحن جهال من أجل المسيح، أمّا أنتم فحكماء في المسيح!... نحن، نحن، حتى هذه الساعة، نجوع ونعطش، ونعرى ونلطم، ولا قرار لنا! ونتعب عاملين بأيدينا! نُشتم، فنبــارك! نُضطهد، فنحتمل! يُشنّع علينا، فنصلّي! لقد صرنا كأقذار العالم، ورذالة الجميع حتــى الآن! » (١ كو ٤: ٩ ــ ١٣). وقد جمع في هذا المثل عدة فنون من البيان والبديع.

٢٧ ــ **التعميم في معرض التخصيص**، وهو عكس السابق، كقوله وهو يقصــد نفســه (٢ كو ف ٣ و٤)، « فإنّا إن تعدّينا حدود التعقل، فلله؛ وإن كنّا متعقلين، فلكــم » (٢ كــو ٥: ١٣)؛ « فالموت إذن يعمل فينا، والحياة فيكم » (٢ كو ٤: ١٢).

٢٨ ــ **الإيجاز والأطناب**، بحسب المواطن، « وهما شقا البلاغة ». وأســلوب بــولس يتراوح كله بين الإيجاز والأطناب.

فالايجاز ميزة أسلوب بولس، فقد أعطي جوامع الكِلَم. تصدر عنــه الآيــات أحكامــاً مطلقات، تارة في كِلَم مقتضب، وطوراً فَي كِلَمٍ مرسل.

من الكِلَم المقتضب كلماته العقائدية التي يرفعها كشعارات، وأحكامه الأخلاقيــة التــي يذيّل بها رسائله (مثلا رو ١٢: ٩ ــ ١٢) ومنها: « لا تتغلب للشر، بل أغلب الشر بالخير »!

ومن الكلم المرسل، الجامع المانع، تحديده لمواضيع رسائله في فواتحها، كقوله: « إنجيل الله في ابنه، المولود بحسب الجسد من ذرية داود، المقام بحسب روح القداسة في قدرة ابن الله » (رو ١: ١ ــ ٣)؛ أو كقوله: « فيما اليهود يسألون آيات، والهلينيّون يطلبون حكمة، ندعو نحن بالمسيح مصلوباً، عثرة لليهود، وجهالة لدى الأمميّين: فإنه قدرة الله وحكمة الله » (١ كو ١: ٢٢ ــ ٢٤)؛ أو كقوله: « إننا ننطق بالحكمة بين البالغين... إن ما ننطق به إنما هو حكمة الله في السر المصون، التي حدّدها الله من قبل... التي كتب عنها: ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ولا خطر على قلب بشر، هذا ما أعده الله لأحبائه، وقد أعلنه الله لنا بروحه » (١ كو ٢: ٦ ــ ١١).

والأطناب البياني تملأ أمثلته لوحاته المتواترة: صورة رسل المسيح (١ كو ٤: ٩ ــ ١٦)؛ نشيد المحبة (١ كو ١٣: ١ ــ ١٣)؛ إنجيل القيامة (١ كو ١٥: ١ ــ ١١)؛ كيفية قيامة الأجساد (١ كو ١٥: ٣٥ ــ ٤٤)؛ ومثال الأطناب المعجز في باب المفاضلة بين الرسل، قوله في (٢ كو ١١: ١ ــ ٣٠).

وقد يتدرج بولس من **الايجاز إلى الأطناب**؛ فبعد قوله: « وقد أعلنه لنا الله بروحه »، يضيف: « لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله فمن من الناس يعرف ما في الإنسان إلاّ روح الإنسان الذي فيه؟ فهكذا أيضاً ليس أحد يعرف ما في الله إلاّ روح الله... » (١ كو ٢: ١٠ ــ ١٦).

وقد يقترن الإيجاز بالأطناب، كما في الأناشيد الثلاثة المعجزة: في سيرة المسيح المعجزة (فيل ٢: ٦ ــ ١١)، وفي سره المعجز (كول ١: ١٥ ــ ٢٠)، وفي رسالته المعجزة (أفس ١: ٣ ــ ١٤). وهذا التلاحم بين الإيجاز والأطناب يجعل بولس من أعظم المفكرين، وفي طليعة الخطباء والكتاب والمتكلمين.

فإذا كان الإيجاز والأطناب « شقي البلاغة »، فبولس سيد أربابها خطابةً وكتابةً.

٢٩ ـ وهناك المحسنات اللفظية المتنوعة. ومنها **الجناس** على أنواعه. وهو تشابه كلمتين في اللفظ، مع اختلافهما بالمعنى. وقد لا يظهر ذلك في الترجمة، وهو واضح في الأصل، كقوله: « احذروا الكلاب! احذروا أهل الشر! احذروا أهل البتر (الختان)! فإن أهل الختان إنما هم نحن العابدين بحسب روح الله، المستمدين الفخر من المسيح يسوع، غير المعتمدين على الجسد » (فيل ٢: ٢ ـ ٣). أو كقوله: « زعموا أنهم حكماء، فصاروا حمقى! واستبدلوا مجد الله الذي لا يبلى، بشبه صورة إنسان يبلى » (رو ١: ٢٣ ـ ٢٤).

وقد يصل الجناس إلى محاكاة الأصوات، كما في قوله: « لو كنت أنطق بألسنة الناس والملائكة، ولم تكن فيّ المحبة، فإنما أنا نحاس يطن، أو صنج يرن » (١ كو ١٣: ١).

٣٠ ـ ولا نذكر ما تزخر به رسائل بولس من المجازات والكنايات والتشابيه والتوريات والاستعارات، فهي معروفة، وملحوظة عنده.

وهكذا نرى أن الأسلوب البياني، عند بولس، هو في المحل الأرفع. وهو ما يضفي على رسائله تلك الروعة المعجزة التي تجعلها من أجمل ما في آداب الدين والدنيا.

۞ ۞ ۞

بحث رابع

الأسلوب الإنشائي

يمتاز إنشاء بولس بميزات وظواهر، هي في الإنشاء من النوادر البواهر. ونحن نحاول وصف بعضها.

١ ــ الظاهرة العامة: إنشاؤه أقرب إلى النظم المرسل

يلاحظ علماء الإنشاء إن إنشاء بولس أقرب إلى النظم المرسل منه إلى النثــر. وقــد يرتفع أحياناً إلى أسلوب الثنائيات، بحسب التعبير العربي، أو الرباعيات بحسب التعبير العبري أو الأرامي.

وقد حاولت الترجمة السبعينية للكتاب محاكاتها. فكانت مثالاً لبولس في نظم رســائله، أكثر من أسلوب الحور على طريقة أهل الرواق من الإغريق

والنظم الموزون ظاهر في **الأناشيد** التي تزخر بها الرسائل، مثل نشيد المحبــة الأول (١ كو ١٣: ١ ــ ١٣) والثاني (رو ٨: ٣١ ــ ٣٩)، ونشيد السيرة المعجــزة (فيــل ٢: ٦ ــ ١١) ونشيد المسيح الكوني (كول ١: ١٥ ــ ٢٠) ونشيد البركات الروحيــة (أفــس ١: ٤ ــ ١٤). وسننقلها كلها في بحث الأسلوب الإنشادي.

والنظم المطلق ظاهر في **التماجيد أو المحاميد** التي تختم بعض أقسام الرسائل، كمــا في قوله:

« فيــا لعمــق غــنى الله وحكمــــته وعلمـــــه!
فما أبعد أحكامه عن الإدراك وطرقــه عن الاســتقصاء!
مَن عــرف فكــر الــرب؟ أو مَن كـــان لـــه مشــيراً؟
من بادره بالعطاء فيردّ له؟ إن كل شيء منه ربه وإليه!
فله المجد إلى الدهور. آمين » (رو ١١: ٣٣ ــ ٣٦)

لكن إنشاء بولس **معظمه نظم مرســل** على طريقة الثنائيــات العربيــة أو الرباعيــات الأرامية. خذ مثلاً تعليمه في المحبة الأخوية المبنية على وحدة المسيحيين في المسيح:

« فإني أوصي كل واحد، بالنعمة التي أوتيت:
أن لا يعتــبر أحــد نفسه فــوق ما يليق
بــل أن يقدرهــا حــق قــدرهــا
على حسب ما قسم الله لكل واحد من الإيمان

فـكما لنـــا في جسد واحـــد أعضاء كثيرة
وليس لكل الأعضاء عمل واحد،
كذلك نحن الكثيرين جسد واحد في المسيح
وكل واحـــد منا عضو للآخرين!
وإذ لنا مواهب مختلفة بحسب النعمة المعطاة لنا:
فمن أوتي النبوة فبحسب صيغة الإيمان
ومن أوتي الخدمة فليلازم الخدمة
والمعلّم التعليم، والواعظ الوعظ
والمتصدّق الصدق والمدبر الاجتهاد
والراحم البشاشة ».

ثم يمضي بولس في وصف أعمال المحبة ومفاعيلها:

« ولتــكن المحبــة بلا رثــاء!
أحبوا بعضكم بعضاً حبــاً أخويــاً
كونوا على غير تــوان في الغيرة
فإنمــا أنتــم للــرب خادمــون
كونـــوا في الضيــق صــابرين
ابذلــوا للقــديسين في حاجــاتهم
باركــوا الــذين يضطهدونكــم
افرحــوا مــع الفرحيــن!
كونـــوا في ما بينكم على اتفــاق
بــل ميلــوا إلى الوضيــعة!
لا تكافئوا أحــداً على شــر بشــر
سالمــوا جميع النـــاس ما أمكــن
أيها الأحبــاء لا تنقموا لأنفســكم
فإنه قــد كتب: « لي الانتقــام »؛

فامقتــوا الشــر، وأحبــوا الخيــر!
وليحسب كل واحد الآخرين خيراً منه!
وعلى اضطــرام فــي الــروح
فليكــن فيكــم فــرح الرجــاء!
وعلى الصـــلاة مواظبــين
واعكفــوا على الغربــاء بإضافتهــم!
بــاركـــــوا ولا تلعنـــــوا!
وابكـــوا مــع البـــــاكين!
ولا تشرئبوا إلى الأمــور الرفيــعة
فلا تكونوا حكمــاء كمــا يلــوح لكم
بل اعتنوا مع الجميــع بفعل الخيــر!
وما اســتطعتم إلى ذلــك ســبيلا!
بــل اتركــوا للغضب مجـــالا
« أنـــا أجـــازي »، يقــول الــرب.

إن جاع عدوك فأطعمه وإنْ عطش فأسقه!
بذلك تركم على رأسه جمر نار
فلا تتغلب للشر، بل أغلب الشر بالخير »
(رو ١٢: ٣ ـ ٢١).

قابل كذلك (١ كو ٧: ٢٩ ـ ٣١؛ ٩: ١٩ ـ ٢٢).

٢ ـ وقد رأينا **ظاهرة الحوار**، على طريقة أهل الرواق من الإغريق.

٣ ـ وفي إنشاء بولس، ظاهرة كبرى هي **المطابقة أو المقابلة** في التعبير والتفكير. وقد تتدرج المطابقة عنده من الكلمات، إلى التعابير، إلى الآيات، إلى المقاطع، حتى أقسام الرسالة كلها، كما في الرسالة إلى الرومانيين حيث يقابل بين عهد غضب الله على الإنسان الأمّي واليهودي، وعهد نعمة الله في التبرير بالمسيح. من ذلك مقابلته بين الرسول المسيحي وبين الحكيم اليوناني (٢ كو ٤: ١ ـ ١٢). وقد نقلناها في مطلع هذا الكتاب.

والمطابقة أسلوب بياني متواتر عند بولس، كمقابلة أيضاً بين الرسول المسيحي و« النصراني » (٢ كو ٦: ٣ ـ ١٠)؛ بين العهد الجديد عهد الروح والعهد العتيق عهد الحرف (٢ كو ٣: ٤ ـ ١١)؛ بين الإسرائيلي بحسب البشرية والإسرائيلي بحسب الروح (رو ٢: ٢٥ ـ ٢٩)؛ بين الإيمان والشريعة (محور الرسالة إلى الرومانيين)؛ بين الحكمة المنزلة والحكمة البشرية (محور الرسالة الأولى إلى الكورنثيين)! بين العلم الحق في المسيحية، والعلم الباطل في الغنوص (محور الرسالتيْن إلى الكولوسيين وإلى الأفسسيين).

وتتطور المطابقة إلى التعابير أنفسها، كما بين الإيمان والأعمال، وبين الموت والقيامة، وبين الحياة بحسب الجسد والحياة بحسب الروح...

فإن ظاهرة المطابقة من كيان بولس وتفكيره وتعبيره قد فرضها عليه اهتداؤه المعجز من الكفر إلى الإيمان بالمسيح.

٤ ــ ظاهرة رابعة في إنشاء بولس هي **فنّ الاستطراد**. ومن الاستطراد ما هو ضريبة الارتجال؛ ومن الاستطراد ما هو فنّ في التأليف والإنشاء. فبينا بولس آخذ ببيان فكرة، إذا بــه ينتقل إلى غرض آخر. وليس ذلك عنده من الاهمال أو النسيان؛ إنما هو دليل فكــر جيّــاش، وبيان سيّال.

والاستطراد عنده على أنواع: **الاستطراد حصراً** من فكر إلى فكر آخر يأتيــه بتــداعي الأفكار. ففي بيان فضل البتولية على الزواج (١ كو ٧: ١ ــ ٤٠) يستطرد إلـــى الاســـتمرار على الحالة الاجتماعية عند الهداية إلى المسيحية (١ كو ٧: ١٧ ــ ٢٤) بمناسبة قوله: « فــإن الله دعاكم إلى السلام » (١ كو ٧: ١٥).

والاستدراك هو الانتقال إلى فكر آخر له صلة بالموضوع. ففيما هو يفصل حق رسول الإنجيل أن يعيش من الإنجيل (١ كو ٩: ١ ــ ١٤) يصرّح بأنه هو يبشر بالإنجيل مجانــاً (١ كو ٩: ١٥ ــ ١٨) وأنه يوآلف بين دعوته والمخاطبين من أهل الكتاب أو من الأميّين الذين لا شريعة منزلة لهم (١ كو ٩: ١٩ ــ ٢٣).

ومن الاستطراد ما هو تفسير (١ كو ١٥: ٥٦؛ ٢ كو ٥: ٧ و١٦؛ رو ٧: ٢٥).

ومن الاستطراد ما هو استقصاء للمعنى في أبعاده (١ كــو ٣: ١١ ــ ١٥؛ ٧: ١٧ ــ ٢٤).

ومن الاستطراد ما هو **تعليق** معنى على معنى آخر يتعلّق به. ففيمــا يفصــل بــولس تعليمه في المواهب الروحية (١ كو ف ١٢) إذا به يعلّق عليها فضل المحبة علـــى المواهــب كلها (١ كو ف ١٣)، كما يظهر من الربط اللفظية (١ كو ١٢: ١ مع ١٤: ١). وبعد أن يُنهي تعليمه في الحياة الإلهية فينا بالمسيح (رو ٨: ١ ــ ٣٠) يعلق عليــه نشــيد المحبــة لله فـــي المسيح، محور الحياة الإلهية وجوهرها فينا (رو ٨: ٣١ ــ ٣٩).

وقد يرى بعض أهل الغرب في الاستطراد عيباً؛ ونرى فيه نحن الشرقيين

فنّاً من البيان والبديع. وبولس كان شرقيّاً، وان تثقف وكتب بلغة من لغات الغرب.

٥ ــ ظاهرة خامسة في إنشاء بولس، **حسنُ التأليف**، وهو يجمع فنوناً شتى من البيان والبديع.

فنلاحظ عنده دائماً **براعة الاستهلال** في كل رسائله. ومن براعة الاستهلال رسالة لا استهلال فيها، بل، بعد العنوان، يهجم فوراً على الموضوع بحملة شعواء على الغلاطيين لارتدادهم عن « إنجيله »!

ثم **حسن التخلص** من الفاتحة إلى الموضوع.

ثم **إيجاز الموضوع** الذي يجري تفصيله.

ومن حسن التأليف، **التقسيم** إلى أقسام، والقسم إلى أجزاء؛ والجزء إلى أبواب.

ويمتاز **بالعنوان** في الأقسام والأجزاء والأبواب.

كما يمتاز **بالتصدير، والاختتام**، في الأبواب والأجزاء والأقسام.

ونلاحظ عنده، من حسن التأليف، **فصل الخطاب** من قسم إلى قسم؛ **وحسن الختام** في آخر الرسالة.

وبين كتبة الوحي الإنجيلي لا نجد ندّاً لبولس في حسن التأليف إلاّ متى الإنجيلي، وصاحب الرسالة إلى العبرانيين.

خذ مثلاً على حسن التأليف عند بولس الرسالة إلى الرومانيين. يبدأ على طريقة الأقدمين بالمرسل وصفته، في **عنوان الرسالة:** « من بولس عبد يسوع المسيح، الرسول بدعوة، المصطفى لإنجيل الله... في ابنه المولود بحسب الجسد من ذرية داود، المقام بحسب روح القداسة في قدرة ابن الله، بقيامته من بين الأموات، يسوع المسيح ربنا، الذي به نلنا النعمة والرسالة ليُطيع للإيمان، لأجل مجد اسمه، جميع الأمميين الذين أنتم منهم، أنتم مدعوّي يسوع المسيح ــ إلى جميع أحباء الله في رومة » (١: ١ ــ ٧). ومن

براعة الاستهلال يتدرج إلى مناسبة الرسالة (١: ٨ ــ ١٥) وفيها حسن التخلص إلى الموضوع: « فإني لا أستحي بالإنجيل لأنه **قوة الله لخلاص كل مؤمن**، لليهودي أولاً ثم للهلّيني، لأن **برّ الله يتجلّى فيه** من إيمان إلى إيمان[١]. على ما هو مكتوب؛ إن البار بالإيمان يحيا » (١: ١٦ ــ ١٧). ثم يفصّل موضوع الخلاص والتبرير بالإيمان بالمسيح في ثلاثة أقسام، يُنهي كل قسم بفصل الخطاب. ففي نهاية القسم الأول نشيد الحب الإلهي على الخلاص والبر بالإيمان (٨: ٣١ ــ ٣٩)؛ وفي نهاية القسم الثاني، نشيد الحكمة الإلهية في اصطفاء إسرائيل ثم في نبذه لكفره بالمسيح (١١: ٣٣ ــ ٣٦)؛ وفي نهاية القسم الثالث في السيرة المسيحية التي تجمع بين أهل الكتاب والأمميين، نشيد الوحدة المسيحية التي تجمع بين الشعبين (١٥: ٧ ــ ١٣). ويختتم بحسن التخلص نفسه الذي به دخل إلى موضوع الرسالة (١٥: ١٤ ــ ٣٢)؛ « وإله السلام يكون معكم أجمعين. آمين » (١٥: ٣٣). وفي ملحق يرسل سلاماته إلى معارفه فيما بينهم (١٦: ١ ــ ٢٤). ويختتم الملحق والرسالة كلها بحسن الختام في هذه المجدلة الرائعة (١٦: ٢٥ ــ ٢٧).

٦ ــ وحسن التأليف يدل عند بولس على **قوة التخطيط.** فرسائله كلها تجري بحسب مخطّط لها يعمل به بولس في تأليفها الملهم. فتأتي الأقسام الكبرى فيها واضحة، والأجزاء بارزة، والأبواب ظاهرة، تدل عليها جميعاً العناوين كشعارات في مطالعها، وتؤلف بينها الربط اللفظية والمعنوية. وإن اعترضها استطراد مقصود، فالرُبُط تجمع الأجزاء من فوق الاستطراد، أو يأتي الاستطراد بين أجزاء متلاحمة فيظهر صريحاً، كقوله في (٧: ١٧ ــ ٢٤) حيث يدخل بين الكلام في المتزوجين (٧: ١٠ ــ ١٦) وفي العذارى (٧: ٢٥ ــ ٢٨). كذلك الاستطراد في المحبة (ف ١٣) أثناء الحديث في المواهب الروحية (ف ١٢ و١٤). وسنرى حسن التخطيط في الموجز التفصيلي لكل رسالة.

---

(١) من إيمان (بالموسوية) إلى الإيمان (بالمسيحية).

٧ ـ فهذا الأسلوب الإنشائي، وما يزينه من أساليب البيان والخطابة والكلام تدل مجتمعة على الاقتدار الفني عند بولس؛ وتجعل مؤلفاته **رسائل بالمعنى الحصري**، أقرب إلى كتب منها إلى مكاتيب. وهذه **الأساليب الأدبية مجتمعة** تضع رسائل بولس في طليعة آداب الدين والدنيا، وقد أظهر أحد الأدباء العارفين أن نشيد المحبة الأول (رو ١٨: ٣١ ـ ٣٩) والثاني (١ كو ١٣) يرتفعان إلى ذروة الفن الأفلاطوني في (فيدر).

۞ ۞ ۞

بحث خامس

الأسلوب الخطابي

توطئة: النزعة الخطابية في الرسائل

بولس الرسول خطيب بالفطرة. لكن ليست رسائله خُطَباً بالمعنى الحصري. إنما هي رسائل تحمل دلائل نزعته الخطابية. لذلك كان يشعر من نفسه بكفاءَة لحمل الرسالة المسيحية إلى العالم كله، بحسب وصية المسيح العامة للرسل والخاصة له. وتلاوة سريعة تشعرنا بنزعته الخطابية فيها. وقد أعلن العلامة (بويَشْ[1]) أنه يمكننا أن نقارن بعض صفحات من بولس بأحسن صفحات خطيب الأغريق المشهور ذيمسوتين.

لبولس في الخطابة **أسلوبان:** الأسلوب الشعبي والأسلوب الأدبي.

نلمح آثار **الأسلوب الشعبي** من دعوته في سفر الأعمال. وهو أسلوب أقرب إلى التعليم والتلقين منه إلى البيان والتبيين. وإليه يشير بولس في انتقاد

(1) Puech: Histoire de la littérature grecque chrétienne p 317.

خصومه: « فإني وإنْ كنت عادياً في الحديث، لست كذلك في العلم. وقد أظهرنا لكم ذلك على كل وجه، وفي كل شيء » (٢ كو ١١: ٦). ففي دعوته الأولى كان بولس **خطيباً شعبياً** في حديثه؛ لذلك فضّل بعضهم عليه أبولّس الخطيب المتكلّم الذي نرى أسلوبه في الرسالة إلى العبرانيين. كان بولس يكلّم « المبتدئين » من المهتدين بالتعليم المسيحي: « فلم يكن كلامي ودعوتي بما لكلام الحكمة من بلاغة! بل ببيان الروح والقدرة (أي المعجزة) لكي لا يقوم إيمانكم على حكمة الناس، بل على قدرة الله » (١ كو ٢: ٤ ـ ٥). وهذا السبب هو الأساس لطريقته الشعبية في الدعوة.

« بيد أننا ننطق بالحكمة بين البالغين » في التعليم المسيحي (١ كو ٢: ٦). وهذا النطق بالحكمة هو **الأسلوب الأدبي** في الخطابة، لدى بولس، في رسائله التي ارتفع بها مكاناً عليّاً، فظهر خطيباً قديراً بليغاً، كما شهد له خصومه « إذ يقول قائل: إن الرسائل ثقيلة وقوية؛ أما الحضور شخصيّاً فضعيف، والكلام حقير » (٢ كو ١٠: ٢٠). فبإقرار المعاصرين؛ وشهادة العارفين باليونانية حتى اليوم، **إن رسائل بولس من الأدب الرفيع في الخطابة.**

لكن بما أنها رسائل، فالخطابة لا تأخذ فيها كل مداها، بل تغور من حين إلى حين، فتشعر فيها نزعة بولس الخطابية الفوّارة، على مثال الشخصية الجبّارة.

وهذه هي بعض صفات بولس الخطابية.

١ ـ خطابته تنبض بالحياة والحركة

إن السمة الأولى في خطابة بولس أنها حيّة تضطرم بالحركة، تتدفق حيناً كماء سلسبيل، وحيناً تجيش كماء دافق حطّه السيل من عل. لكنها تظل دائماً مقتضبة كما يقتضيه أدب الرسالة، كقوله:

« فإن غضب الله يعتلن من السماء على كل كفر
وظلم في الناس الذين يعوقون الحق بالظلم!

لأن ما يُعرف عن الله، لا سيما قدرته الأزلية وألوهته،
تُبصر منذ خلق العالم مدركة بمبروءاته!
فهم بلا عذر، إذ انهم عرفوا الله ولم يمجّدوه كإله، ولم يشكروه
بل سفهوا في أفكارهم وأظلموا في غباوة قلوبهم!
زعموا أنهم حكماء فصاروا حمقى واستبدلوا مجد الله الذي لا يبلى
بشبه صورة إنسان يبلى وطيور ودبابات وزحافات!
لذلك أسلمهم الله، في شهوات قلوبهم،
إلى النجاسة، لفضيحة أجسادهم بأنفسهم!
هم الذين استبدلوا حقّ الله بالباطل واتقوا المخلوق وعبدوه من دون الخالق
وهو المبارك إلى الدهر. آمين » (رو ١: ١٨ ـ ٢٥)

٢ ـ أسلوب الحوار يزيد الخطابة حياةً

أشاع أهل الرواق من الإغريق أسلوب الحوار في البيان والخطابة. فاستخدمه بولس أفضل استخدام مع كل مقوّماته من نداء، واستفهام، والتفات في الخطاب. ومن أمثلة الحوار عنده قوله:

« لذلك، لا عذر لك، أيها الإنسان الذي يدين،
لأنك تحكم على نفسك في ما تدين
إذّ انك، أنت الذي يدين، تفعل تلك الأمور التي تدين!
ونحن نعلم أن قضاء الله حق على الذين مثل هذه يعملون!
أفتظن، أيها الإنسان الذي يدين
مثل هذه، وأنت تفعلها، انك تنجو من دينونة الله؟
أم انك تحتقر عنى لطفه وصبره وعطفه
غير ذاكر ان حلم الله يدعك إلى التوبة!
فبتصلّبك، وعدم توبة قلبك، تزخر لنفسك غضباً ليوم الغضب!
يوم اعتلان دينونة الله العادلة فهو سيجازي كل واحد بحسب أعماله!

بالحياة الأبدية للصابرين على الصلاح يبتغون المجد والكرامة والخلود
وبالغضب والسخط للمقيمين على الطلاح
ينقادون للشر، ولا يطيعون الحق!
فالشدة والضيق لكل من يفعل شراً اليهودي أولاً ثم الهلّيني!
والمجد والكرامة والسلام لكل مَن يصنع خيراً
اليهودي أولاً ثم الهلّيني »!
(رو ٢: ١ ــ ١٠)

٣ ــ الأطناب في تراكم التعابير والصور

ومن أساليب الخطابة، عند بولس، تراكم التعابير والصور حتى الأطناب، فتأتي الشطحة الخطابية عنده كجلاميد صخر تهوي كجبل، مثل قوله:

« وبما أنهم لم يستحسنوا أن يقيموا على معرفة الله
كبكبهم الله في فساد الرأي ليفعلوا ما لا يليق!
ممتلئين من كل ظلمٍ وشر وطمع وخبث
مفعمين حسداً وقتلاً وخصاماً ومكراً وسوءاً
نمامين مغتابين مبغضين لله شتامين
متكبّرين صلفين في الشر بارعين!
عاقين للوالدين، لا فهم لهم ولا عهد، ولا ود، ولا رحمة
ومع علمهم بقضاء الله بالموت على فاعلها
فهم يفعلونها ويرضون على فاعليها »
(رو ١: ٢٨ ــ ٣٢)

٤ ــ التمثيل والتشخيص في الخطابة

ويميل بولس إلى تجسيم المعاني فتتمثّل كأشخاص يخاطبها، كقوله:

« أين غلبتكَ أيها الموت؟ أين شوكتك، يا جحيم؟
(١ كو ١٥: ٥٥)

أو يستحضر الخطاب في شخص المخاطبن فيتحول الحديث إلى حوار معه كقوله:

« ولكن، أنت يا من يدعى يهودياً ويعتمد على الشريعة ويفتخر بالله...
أنت الذي يعلّم غيره، أفلا تعلم نفسك؟
أنت الذي يُعلّم: لا تسرق! أتسرق؟
(رو ٢: ١٧ ـ ٢٣)

وأسلوب الاستفهام من باب التمثيل والتشخيص، كقوله:

« مكتوب: سأبيد حكمة الحكماء! وأرذل فهم الفهماء!
فأين الحكيم؟ أين الفهيم؟ أين حجّة هذا الدهر؟
أولم يجهّل الله حكمة هذا العالم؟ فالعالم بحكمته لم يعرف الله في حكمة
لذلك رضي الله أن يخلّص المؤمنين، بجهالة الدعوة »!
(١ كو ١: ١٩ ـ ٢١)

٥ ـ فنون البيان تزيد الخطابة تبياناً

ومن أساليب الخطابة، لدى بولس، ما رأينا من فنون البيان، وضروب الإنشاء، كالالتفات (٢ تس ٢: ٢)، والاستفهام العادي والانكاري (١ كو ١: ١٩ ـ ٢٠)، والنداء (١ كو ١٥: ٥٥) والتشابيه والاستعارات التي تقرّب المعاني من الافهام، كقوله في الكلام بألسنة غير مفهومة عند ما يأخذهم الحال:

« فالآن، أيها الأخوة، إن أتيتكم وأنا أنطق بألسنة، فماذا أنفعكم،
إن لم أكلمكم بوحي أو بعلم، أو بنبوءة، أو بتعليم؟
إن الجمادات المصوّته أنفسها مزماراً كانت أم كنّارة،
إنْ لم تُبْدِ فرقاً بين أصواتها فكيف يُعرف ما زُمّر به، أو عُزف؟
وإن أبدى البوق صوتاً مشوّشاً، فمن يستعد للقتال؟
كذلك أنتم، إن لم تبدوا باللسان كلاماً بيّناً، فكيف يُفهم ما تقولون »
(١ كو ١٤: ٦ ـ ١٠)

ومن حسن الخطاب تحسين الخطابة بالبيان (١ كو ١٥: ٣٥ ــ ٣٨؛ ٩: ٧).

٦ ــ ومن ميزات الخطابة المسيحية عند بولس، **التفنّن بأساليب الحمد**. يفتح رسائله ويختمها، وقد يتوسطها، بالحمد لله أو للمسيح. هكذا في الرسالة إلى الرومانيين: « أبدأ فأحمد إلهي، بيسوع المسيح، من أجلكم جميعاً » (١: ٨)؛ « الحمد لله، بيسوع المسيح، ربنا » (٧: ٢٥)؛ « إن كل شيء هو منه وبه وله، فله الحمد إلى الدهور. آمين » (١١: ٣٦) « لله الحكيم وحده، الحمد بيسوع المسيح، إلى دهر الدهور. آمين » (١٦: ٢٧).

والدعاء والسلام، في مطالع الرسائل وخواتيمها، قاعدة خطابية مألوفة عند بولس. ويتفنن من رسالة إلى رسالة بلغة الحمد والبركة حتى صارت عنده من أساليب الدعوة والصلاة والأدب والخطابة.

٧ ــ ويمتاز فن الخطابة عند بولس **بإطلاق الأحكام حِكماً**. وهذه شذرات من حكمه البليغة الرائعة:

« فما من أحد منّا يحيا لنفسه! ولا من أحدٍ منا يموت لنفسه! »
(رو ١٤: ٧)
« إن ملكوت الله ليس أكلاً ولا شرباً!
إنما هو بر وسلام وفرح في الروح القدس »
(١ كو ١٤: ١٧)
« إن ظنّ أحد منكم أنه يعلم، فهو لا يعلم بعد كما ينبغي أن يعلم »
(١ كو ٨: ٢٠)
« كل شيء مباح »! ــ لكن ليس كل شيء ينفع!
« كل شيء مباح »! ــ لكن ليس كل شيء يبني!
فلا يطلبَنّ أحد ما هو لنفسه بل ما هو أيضاً لغيره »!
(١ كو ١١: ٢٣ ــ ٢٤)

« الآن يثبت الإيمان والرجاء والمحبة تلك الثلاثة! وأعظمهنّ المحبة »!
(١ كو ١٣: ١٣)
« لأن الله ليس إلـه تشـويش إنمـا هـو إلـه السـلام »؛
(١ كو ١٤: ٣٣)
« فإننـا ننظـر، لا إلى مـا يُرى، بـل إلى مـا لا يـُرى!
فـإن مـا يـُرى هـو وقـتي أما ما لا يـُرى فهو أبـدي »!
(٢ كو ٤: ١٨)
« فالغمّ بحسـب الله ينشئ تـوبة للخلاص،
بلا أسفٍ: أما غمّ العالم فينشئ الموت! »
(٢ كو ٧: ١٠)
« مـن يـزرع بـالتقتـير، فبـالتقتـير يحصـد!
ومـن يـزرع بالسـخاء فبالسـخاء يحصـد! »
(٢ كو ٩: ٦)

« إن الله لا يحابي وجه إنسان » (غلا ٢: ٦).

« فيسير من الخمير يخمّر العجين كله » (غلا ٥: ٩).

لا تضلوا: إن الله لا يُهزأ بـه وكل امرئ يحصد ما قـد زرع »!
(غلا ٦: ٧)

٨ ــ ما بين المداعبة والمجاهدة

إن الخطابة عند بولس عقل وعاطفة معاً. وقد يكتنف براهين العقل والـوحي بحملـة تنتهي إلى موادعة ومداعبة، كما في الرسالة إلى الغلاطيين. فهو يستفتحها بفتح النـار عليهم: « إني لمتعجب من أنكم تتحوّلون بمثل هذه السرعة على الذي دعاكم بنعمة المسيح، إلى إنجيل آخر! وليس من آخَر، إنما هناك أناس يبلبلونكم! ويريدون أن يقلبوا إنجيل المسيح »! (غلا ١: ٦ ــ ٧). ويقطع البراهين على صحة « إنجيله » بهذا الخطاب: « أيها الغلاطيون الأغبيـاء، مَن سحركم؟ » (٣: ١). وينتهي بمداعبة الأب لأبنائه: « يا أولادي الصغار الـذين أتمخّـض بهم من جديد إلى أن يتصور المسيح فيهم، كم أودّ لو أكون الآن حاضراً بينكم وأغيّر لهجتي

معكم، فإني قد تحيّرت فيكم » (٤: ١٩ ــ ٢٠). ويختم الرسالة بكلمة الأخوة: « نعمة ربنا يسوع المسيح مع روحكم، أيها الأخوة، آمين » (٦: ١٨).

٩ ــ ما بين التهكّم والتهجّم

أسلوب بياني يستخدمه بولس في الخطابة، **التهكّم** من موقف المعارضة لتحطيمها، كقوله لردع الغلاطيين عن التهويد: « فها إنكم تحافظون على السبوت ورؤوس الشهور والأوقات والسنين! أخشى أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً » (غلا ٤: ١٠ ــ ١١)؛ وكقوله لحمل المرأة على الحجاب في الكنيسة: « فإن لم تتعظّ المرأة، فليقص إذن شعرها »! (١ كو ١١: ٦)؛ وكقوله لردع الكورنثيين عن الكبرياء الفارغة: « يا ليتكم قد ملكتم، لنملك نحن أيضاً معكم » (١ كو ٤: ٨).

وقد يتطور التهكم إلى **التهجّم**، في ثورة غضب: « ألِى هذا الحدّ أنتم أغبياء »! (غلا ٣: ٣). وقد يتحول التهجم إلى **حملة**، كحملته على الأخوة الكذبة الذين يريدون تهويد المسيحيين: « احذروا الكلاب! احذروا أهل الشر! احذروا أهل البتر »! (فيل ٣: ٢).

١٠ ــ القياس الخطابي

إن بولس لا يستخدم القياس المنطقي؛ إنما تقوم برهنته أحياناً على ما نسميه القياس الخطابي البياني الوجداني، الذي نراه في تعابيره مثل « لأنه »، « لذلك »، « بسبب ذلك ». فجدلية بولس الخطابية تقوم على محور، منه وبه وإليه يعود كل شيء، مع الله وفيه وإليه، وهو المسيح؛ كقوله: « فنحن إنما لنا إله واحد، الآب، الذي منه الكل، ونحن إليه؛ ورب واحد، يسوع المسيح، الذي به الكل، ونحن به » (١ كو ٨: ٦).

تلك بعض ظواهر أسلوب بولس الخطابي. وسيزيدها بياناً ميزات أسلوبه الكلامي. فقد كان بولس خطيباً ومتكلماً من الطراز الأرفع، كما يظهر من رسائله.

۞ ۞ ۞

بحث سادس

الأسلوب الكلامي

توطئة: بولس مؤسس علم الكلام المسيحي

كان بولس الرسول؛ بالفطرة، خطيباً؛ وصار، بعبقريته في التفكير بالوحي الإنجيلي، متكلماً. وهو **أول المتكلمين**، في المسيحية، وأعظمهم على الإطلاق ــ لأن يوحنا الرسول أقرب إلى الصوفية منه إلى الكلام، وقد تتخطى الصوفية الكلام.

فبولس الرسول هو مؤسس علم الكلام المسيحي، ورسائله مصدر الكلام المسيحي، لأنه هو الذي فلسف، بالوحي والكشف الرباني، العقيدة المسيحية، وحاول نظم الإنجيل بأحكام كلامية توضح معانيه.

لقد وضع بولس مبادئ علم الكلام المسيحي للأجيال الطالعة.

١ ــ النزعة الكلامية في تعليم بولس: إنه المتكلم الملهم

إن بولس كان « **إنجيليّاً** » قبل أن يصبح « **رسولاً** » بطريقة رسمية كنيسة؛ ثم صار برسائله « **معلّماً** » للمسيحية: « أُقمتُ إنجيليّاً ورسولاً ومعلّماً » (٢ تيم ١: ١١). ففي مدة دعوته، بعد هدايته، اقتصر على نقل الإنجيل مع فهم جديد لأبعاده؛ وعنه أولاً أخذ لوقا الإنجيل.

لكن بولس في رسائله لا ينقل حرف الإنجيل؛ إنما « **يعلّم** » **حكمة الإنجيل**، بناءً على كشف الروح القدس: « إن ما ننطق به إنما هو حكمة الله في السر المصون... وقد أعلنه لنا الله بروحه »؛ وهذه الحكمة المنزلة هي « **فكر المسيح** » نفسه (١ كو ٢: ٧ ــ ١٠ مع ١٦).

قد يستغرب بعضهم نعت بولس بالمتكلم، ورسائله من الوحي والتنزيل، ولكن وحي الرسائل لا يمنع أنها حكمة الإنجيل، لا حرفه؛ وذلك بشهادة بولس نفسه. وبما أنه « يعلّم حكمة الله في السر المصون الذي أعلنه لنا الله بروحه » فهو **المتكلّم الملهم**، على حدّ التعريف نفسه، ووصف بولس لتعليمه.

ومحور رسائله الكبرى مقابلة الإنجيل بالشريعة الموسوية، ومقابلة الإنجيل بالحكمة اليونانية؛ وهذا ليس إنجيلاً، بل كلاماً ملهماً في الإنجيل: **إنه تفصيل الإنجيل**؛ وهذا هو علم الكلام المسيحي.

وفي وصف شخصية السيد المسيح، يطبّق أوصاف المسيح الموعود، « عبد يهوه » أي الله، في أشعيا؛ وصفة « ابن البشر النازل من السماء » في دانيال؛ وحكمة الله الذاتية، « الصادرة من فم الله العلي » التي تجعل « نعيمها في تأنّسها بين بني الإنسان »، كما في أسفار الحكمة ــ على يسوع؛ فيرى فيه « صورة الله غير المنظور » (١ كو ١٥: ٤٧ ــ ٤٩: ٢ كو ٣: ١٨؛ ٤: ٤ ــ ٦؛ رو ٨: ٢٩: كول ٣: ١٠)؛ ويرى « مجد الله على وجه المسيح » (٢ كو ٤: ٦) لأن « في المسيح يحل جسديّاً ملء اللاهوت كله » (كول ٢: ٩). هذا هو الكلام المسيحي الملهم بعينه. فبولس هو **المتكلّم الملهم** الأول في المسيحية، وتفصيل الإنجيل.

٢ ــ أساس الكلام عند بولس

والكلام له أساسان: فكرة أساسية يبني عليها المتكلّم العقيدة كلها؛ ثم طريقة التعبير التي تفصّل العقيدة من مبادئها إلى نتائجها.

فمن حيث **الأساس الفكري** يرى بولس سر الله، وسر الكون، وسر الإنسان، في الحياة الدنيا والآخرة، على نور المسيح، « الوسيط الوحيد » بين الله والخلق (١ تيم ٢: ٥)، كما أوجزه النشيد في سر المسيح الكوني (كول ١: ١٥ ــ ٢٠).

ومن حيث **الأساس التعبيري**، فبولس أقرب إلى اللغة الكتابية منه إلى

اللغة الفلسفية في تفصيل العقيدة، مهما استخدم من تعابير الفلسفة الهلنستية والكلام الإسرائيلي. فنبع الإلهام عنده فياض، وتعابيره تجد طريقها إلى النور بيسر.

فبولس متكلّم ملهم بنزعته وثقافته وحكمة الإنجيل المنزلة عليه؛ وإن كانت رسائله لا تعطينا الكلام المسيحي في صيغة منطقية متسلسلة. يكفيه فخراً أنه وضع الأساس بمبادئه ونظرياته لكل كلام يأتي من بعده، حتى الكلام الملهم عند تلميذه الكبير أبولّس في الرسالة إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الأولى، ورسالة يوحنا الأولى. فتعتبر رسائل بولس منطلقاً لها.

٣ ــ أسلوب بولس الكلامي

إنه أسلوب **العرض**، أكثر منه أسلوب المنطق بالقياس. فهو متكلّم كشاهد للمسيح والإنجيل. وبراهينه هي الوحي الرباني لحكمة الإنجيل (غلا ١: ٢١؛ ١ كو ١١: ٢٣؛ ١ تس ٤: ١٥)؛ ونقل السنة الرسولية الملزمة (١ تس ٤: ١؛ ٢ تس ٢: ١٥؛ ٣: ٦؛ ١ كو ١٠: ٢ و١٦؛ ١٥: ٣؛ ٢ كو ١٥: ١ ــ ١١)؛ والاستشهاد بالكتاب حرفيّاً أو رمزيّاً كما سنرى.

ويأتي العرض عنده **بإيجاز يبلغ حدّ الإعجاز**، لأن تعليم الرسالة تكميل للدعوة. ففي رسالاته علّم الإنجيل؛ لذلك في رسائله لا ينقل إلاّ ما قلّ ودلّ من سيرة المسيح ودعوته. فهي « تعليم »، لا تبليغ. إنها « حكمة للبالغين » في الإيمان، لتكميل التفصيل في الإنجيل. فبولس يفصّل في رسائله فلسفة الإنجيل الذي تسلموه. لذلك تظهر لغة الرسائل غير لغة الإنجيل. ممّا حمل بعضهم على الافتراء على بولس بأن « إنجيله » غير إنجيل المسيح، وأنه حرّف المسيحية، « بتهلينها » في التفكير والتعبير، وإبرازها بصيغة كلامية. وهذا ظلم صارخ ينقضه الأمر الواقع. فبولس يشهد ــ ولا يكذبه أحد من صحابة المسيح ــ إن « إنجيله » هو « إنجيل الله »، « إنجيل المسيح »؛ وأنه « ليس من إنجيل آخر » (غلا ١: ٧). وهو يعتمد على البلاغ الرسولي (١ كو ١٥: ١ ــ ١١)؛ وعلى السنة الرسولية، كما

نقلنا؛ وعلى « صيغة الإيمان » المتواترة التي يوصي بها كنائسه ونوابه. وهو يصارع « لتدوم حقيقة الإنجيل » (غلا ٢: ٦)؛ ويؤكد بتواتر وحي الروح القدس له (١ كو ٧: ٤٠؛ ١٤: ١٨؛ ٢ كو ٣: ٤ و١٧).

وطريقة بولس في عرض « حكمة الإنجيل » تظهر من موضوع الرسالة، وتفصيله. فهو يطرح القضية في مطلع الرسالة، بعبارة موجزة واضحة. ثم يبرهن عنها بالنقل والعقل، والخبرة المسيحية وتاريخ الخلاص؛ ثم يبين جوانبها، ويستنتج نتائجها. ويختم بصحة القضية المطروحة.

وخير مثال على أسلوبه الكلامي الرسالة الرومانية. فهو يطرح القضية: البر بالإيمان، لا بالشريعة أو الحكمة (١: ١٦ ـ ١٧). ثم يبرهن بالتاريخ والواقع، بالعقل والنقل، ضرورة الإيمان للأمميين (١: ١٨ ـ ٢٠) ولأهل الكتاب (٢: ١ ـ ١٢). ثم يرد على الاعتراضات المحتملة (٣: ١ ـ ٨) ويختم عرضه بتوكيد ضرورة الإيمان لجميع الناس، بشهادة الكتاب نفسه (٣: ٩ ـ ٢٠). فتظهر النتيجة أن البر بالإيمان لا بالشريعة أو الحكمة (٤: ١ ـ ٢٢). ذاك هو الشق السلبي من المقابلة. ثم يأتي الشق الإيجابي ببيان ثمار الإيمان: المصالحة مع الله (٥: ١ ـ ٢١) والتحرر من عبودية الخطيئة (٦: ١ ـ ٢٣) ومن عبودية الشريعة (٧: ١ ـ ٢٥) ومن عبودية الموت، بالحياة من روح الله (٨: ١ ـ ٣٠)، ويختم الموضوع في شقيه المتقابلين، السلبي والإيجابي، بنشيد الحب الإلهي مصدر الخلاص والبر (٨: ٣١ ـ ٣٩).

فبرهانه **بياني أكثر مما هو جدلي**، كما يليق بعرض الوحي وتفصيل الإنجيل. وهذا ظاهر في الرسائل الأخرى أكثر منه في الرومانية، التي ارتفع فيها إلى مستوى الكلام في « حكمة الإنجيل ».

٤ ـ ما بين الكلام البولسي والبلاغ الرسولي

فما بين الكلام البولسي والبلاغ الرسولي **صلة كيانية**. فرسائله تفصيل للبلاغ الرسولي الذي ينقله، ويردّد صوره بصيغ مختلفة، في كل رسائله. فصورة البلاغ الرسولي إلى أهل تسالونيكية: « الله الآب، والرب يسوع

المسيح » (١ تس ١: ١ ــ ٢)؛ فصورته إلى أهل كورنثس في إنجيل القيامة (١ كو ١٥: ١ ــ ١١)؛ وصورته إلى أهل رومة: « إنجيل الله في ابنه المولود بحسب الجسد من ذرية داود، المقام بحسب روح القداسة فيه، في قدرة ابن الله، بقيامته من بين الأموات » (رو ١: ٢ ــ ٥)؛ وصورته إلى أهل أفسس وآسيا الرومانية: « أن يجمع تحت رأس واحد، في المسيح، الكل، ما في السماوات وما على الأرض » (١: ١٠): فسر الله في سر المسيح (٣: ٤): وسر المسيح في سر كنيسته التي هي جسده الاجتماعي (٣: ١٠). وعلى نقل البلاغ الرسولي العام يبني بولس تعليمه في الكلام المسيحي. فما بين الكلام البولسي والبلاغ الرسولي صلة كيانية (١ كو ١٥: ١١) مبنية على التعابير المسيحية التي وجدها بولس عند هدايته، وتعمّق بالتأمل فيها مدة عشر سنوات ونيف في عزلته الأولى والثانية، وعلّم بها كإنجيلي قبل أن يصطفيه الله وينتدبه رسولاً للأمميين (أع ١٣: ١ ــ ٤). لكن تلك التعابير الموروثة مثل (الإنجيل، الشريعة، النعمة، الجسد، الرأس) قد تعمّقت مع بولس وأخذت أغوارها البعيدة، بفضل عبقريته وثقافته وكشف الله له.

٥ ــ ما بين العهد القديم والعهد الجديد

وفي كلام بولس، **صلة كيانية** أخرى ما بين العهد القديم والعهد الجديد. فبولس يفهم الكتاب على نور الإنجيل، بعكس النصارى من بني إسرائيل الذين كانوا يفضلون فهم الإنجيل على ضوء التوراة.

فهو يرى أن الصلة بين العهدين كالصلة بين الجسد والروح، أو بين الحرف والمعنى. **أنهما** « **عهد الحرف وعهد الروح** ــ والحرف يقتل، والروح يحيي » (٢ كو ٣: ٦). ففي نظر بولس، أن الكتاب كله رمز لعهد الإنجيل؛ « تلك الأمور كلها عرضت لهم رمزاً لنا، وكتبت لموعظتنا، نحن الذين بلغنا الأيام الأخيرة » (١ كو ١٠: ١١) أي أيام المسيح وعهده، الذي هو العهد الأخير في البشرية قبل يوم الدين.

وهذه الصلة بين العهدين تظهر خصوصاً في **استشهادات بولس**.

فبولس يستشهد بالكتاب ٩٤ مرة صريحة (فعنده وحده ثلث استشهادات العهد الجديد). منها ٣٣ من التوراة، و٢٥ من أشعيا، و١٩ من المزامير. هذا ما عدا الاقتباسات (٩٣ مـرة) والاستخدامات (٢٠ مرة). وبولس ينقل عن الترجمة السبعينية نحو (٥١) مرة، وعن الأصـل العبراني نحو (٤) مرات؛ وفي (٣٨) مرة يختلف عن الاثنين، لدمج الآيات المنقولة المتفرقـة في استشهاد واحد جامع. ونجد استشهادات بولس كلها، ما عدا أربعـة منهـا، فـي الرسـائل الكبرى الكلامية.

فبولس، وإن كان في تفسير الكتاب ينحو منحى الربانيين في طريقتـه، فهـو يختلـف عنهم في فهمه، مثل سائر الرسل، وبطريقة أبلغ، ويطبع برهان الاستشهاد **بطابعه الشخصـي** التفكيري والتعبيري، المبني على **المقابلة والتحدي**، بين عهد الحرف وعهد الروح. من ذلـك مقابلاته بين الشريعة والروح (رو ٧: ٦٧؛ ٢ كو ٣: ٦ ـ ٧)، والحـرف والـروح (رو ٢: ٢٩)، والحرف والشريعة (رو ٢: ٢٧).

ويظهر تأثر بولس بالترجمة السبعينية من الاستشهاد إلى محاكاة اللغة، فهو في رسائله يحاكي لغة الترجمة العظيمة، مثل لوقا تلميذه. وهذا الاستخدام للكتاب دليل على مـا لـه مـن حرمة وقدسية لدى بولس والكنيسة الناشئة على ضوء الإنجيل؛ فهو يتخطى الاسـتخدام إلـى الاعتقاد بوحدة العهدين، ووحدة تاريخ الخلاص.

٦ ـ محور الكلام البولسي

قامت دعوة بولس بالإنجيل في ثلاثة عوالم مختلفة: أهل الكتاب من بني إسرائيل فـي مهاجرهم، وأهل الحكمة اليونانية، وأهل الغنوص الشرقية. وكان محور الكلام البولسي الكشف عن صلة الإنجيل بالشريعة الموسوية في رسالته الدفاعية إلـى الغلاطيّـين والعقائديـة إلـى الرومانيين؛ وعن صلة الإنجيل بالحكمة اليونانية في رسالتيه إلى الكـورنثيين؛ وعـن صـلة الإنجيل بالغنوص الأسيوية في رسائله إلى الفيليبيين والكولوسيين والأفسسـيين. وتلـك القـيم العليا من شريعة وحكمة وغنوص هي التي يتحداها الإنجيل بشريعته وحكمته وغنوصـه أبـد الدهر.

٧ ــ بناء الشريعة والصوفية على العقيدة

وكلام بولس يتراوح ما بين العقيدة، في القسم الأول من رسالته، والشريعة والصوفية في القسم الثاني.

وقد وجدوا في رسائل بولس لوائح بالفضائل أو الرذائل تتضح منها معالم الشريعة المسيحية تجاه الشريعة الموسوية والأخلاقية الوثنية.

هذه **لوائح الرذائل:** رو ١: ٢٩ ــ ٣٠؛ ١٣: ١٣؛ ١ كو ٥: ١٠ ــ ١١؛ ٦: ٩ ــ ١٠. ٢ كو ١٢: ٢٠ ــ ٢١. غلا ٥: ١٩ ــ ٢١. أفس ٤: ٣١؛ ٥: ٣ ــ ٥. كول ٣: ٥ ــ ٨. ١ تيم ١: ٩ ــ ١٠؛ ٦: ٤ ــ ٥. ٢ تيم ٣: ٢ ــ ٥. تيطس ٣: ٣.

وهذه **لوائح الفضائل:** ٢ كو ٦: ٦. غلا ٥: ٢٢ ــ ٢٣. أفس ٤: ٢ ــ ٣؛ ٤: ٣٢ ــ ٥: ٢ مع ٥: ٩. فيل ٤: ٨. كول ٣: ١٢. ١ تيم ٤: ١٢؛ ٦: ١١. ١ تيم ٢: ٢٩؛ ٣: ١٠.

وهناك **لوائح للحالات الاجتماعية المختلفة:** ١ تيم ٢: ٩؛ ٣: ٢ ــ ٦؛ ٣: ١١. ٢ تيم ٢: ٢٤. تيطس ١: ٧ ــ ٨؛ ٢: ٢ ــ ٥.

وتلك اللوائح دليل على أن التعليم الرسولي كان شريعة كما هو عقيدة. والشرعية مبنية على العقيدة، وهي صورة عملية للحياة الجديدة في المسيح، بالروح القدس، لله الآب ــ وهذه هي الصوفية المسيحية.

فالشريعة المسيحية من صميم العقيدة المسيحية، وهذا ما يميزها عن سائر الشرائع، تجاه اليهودية والهلنستية والغنوص.

والصوفية المسيحية من صميم العقيدة والشريعة في الإنجيل: إنها حياة في المسيح، كما ينادي بولس في كل رسائله؛ والحياة في المسيح هي الحياة في الله الآب بروحه القدوس.

وهكذا يظهر بولس مؤسس الكلام المسيحي، بأسلوبه الكلامي في رسائله.

۞ ۞ ۞

بحث سابع

الأسلوب القصصي

من الفنون الأدبية العديدة، في رسائل بولس، الفن القصصي. لكن ليست القصة عنده لأجل القصة نفسها، أي الفن لأجل الفن؛ إنما هي سبيل لغاية أسمى: فهو يستعمل القصة في سبيل دعوته؛ فالقصة عنده أسلوب تاريخ وتعليم ومناظرة.

١ ــ **ميزة القصَص** عند بولس أنه شخصي للتاريخ والتعليم والجدل والكلام. وهذا ما يرفعه **من الذاتية إلى الموضوعية**، وكثيراً ما يتخذ صفة المثالية (رو ٧: ١٤ ــ ٢٥).

تأتي القصة عنده لإثبات حقه في الرسالة المسيحية. فهو يعطينا لوحات من سيرته ورسالته، لكنها لوحات فنية. وبما أن هذا القصص من صلب الوحي، ففيه اجتماع الوحي والفن.

وبما أن قصصه يأتي **للحجاج أو للدفاع** عن صحة الدعوة وعن حكمة الإنجيل، فهو **مليء بالحياة** لغةً وأسلوباً وبياناً وتبييناً.

والرمزية، فكرةً وتعبيراً، أسلوب فني عند بولس: فالعهد القديم كله رمز للعهد الجديد؛ ومنه يأخذ بولس **قصصه الرمزي** للعهد الجديد، مثل قصة سارة وهاجر، زوجتي إبراهيم؛ فسارة الحرة رمز للعهد الحر في المسيح وهاجر الأمّة رمز للعهد القديم المكبّل بأحكام الشريعة القومية (غلا ٤: ٢١ ــ ٢٧)؛ ومثل قصة صراع إسماعيل وإسحاق على وراثة إبراهيم، رمزاً إلى اضطهاد أهل التوراة لأهل الإنجيل (غلا ٤: ٢٨ ــ ٣١).

٢ ـ والقصَصُ عند بولس متنوع :

منه ما هو **شخصي محض**، كما يليق بأدب المراسلة، ومكاشفة الأخ أخاه، والمعلم تلاميذه، والأب أبناءَه (١ كو ١٦: ٥ ـ ٩؛ ٢ كو ٧: ٥؛ رو ١: ١١ ـ ١٤؛ فيل ١: ١٢ ـ ٢٦).

ومنه ما هو **رسولي:** عبارة عن غيرته في خدمة المسيح والمسيحيين (١ تس ٢: ١ ـ ١٢ و١٨؛ ٣: ١ ـ ٢ و٦؛ ١ كو ١: ١٢ ـ ١٤؛ ٢ كو ١: ٨ ـ ٦: ١٠؛ رو ١٥: ١٧ ـ ٢١؛ كول ٢: ١ ـ ٣؛ ٣: ٧ ـ ٩)؛ أو عبارة عن قدوة حسنة للتابعين (٢ تس ٣: ٧ ـ ٩؛ ١ كو ٣: ٩ ـ ١٣؛ ٧: ٩)؛ أو إيضاح لمعنى رسالته (١ كو ١: ٤ ـ ١٦؛ ٢: ١ ـ ٥؛ ٣: ١ ـ ٤ مع ١٠ ـ ١١ و٢٣).

ومنه ما هو **للحجاج أو للدفاع** (١ كو ٩: ١ ـ ٢٧؛ ١٥: ٩؛ ٢ كو ١٠: ١ ـ ١٢: ٢١؛ غلا ١: ١١ ـ ٢: ١٤).

ومنه ما هو **نبوي صوفي** (٢ كو ١٢: ١ ـ ١٠؛ أفس ٣: ١ ـ ١٣).

فيتنوع القَصَص عند بولس بتنوع أهداف الرسالة. وفي كلها تنقله عبقرية بولس الفنية من الذاتية إلى الموضوعية والمثالية.

٣ ـ **الأسلوب الأرامي في نظم القصَص** يغلب عليه في اللغة اليونانية. فيأتي نظم القصة ثنائيات بحسب التعبير السامي، أو رباعيات بحسب التعبير الآري. فيجمع بولس بذلك **العبقرية السامية إلى العبقرية اليونانية.**

وهذا الأسلوب في النظم يبرز في **القَصَص الدفاعي** كما في الرسالة إلى التسالونيكيين حيث يرد على اضطهاد اليهود لبولس ولأتباعه (١: ٢: ١ ـ ١٦)، وخصوصاً في الرسالة الثانية إلى الكورنثيين.

وفي **القصص الرمزي**، مثل تاريخ بني إسرائيل، ما بين نعم الله عليهم وجحودهم له تعالى، عبرةً للمسيحيين: « فهذه الأمور كلها عرضت لهم رمزاً لنا، وكتبت عبرة لنا، نحن الذين بلغنا الأيام الأخيرة » (١ كو ١٠: ١ ـ ١١).

وفي **القصص التاريخي** لبناء العقيدة، مثل إنجيل قيامة المسيح برهاناً على عقيدة القيامة الأخيرة لجميع الناس (١ كو ١٥: ١ ـ ٢٠).

وتبلغ القصة ذروتها عند بولس. فنّاً وأسلوباً، في **القصص الشخصي**، كما في الرسالة الثانية إلى الكورنثيين، حيث يدافع عن حقه في الرسالة وفضله عليها. ويأتي القصص بأساليب البيان مجتمعة، مما يُسمى في البديع: الاندماج والاقتدار والإبداع.

ففي **لوحة أولى** (٢ كو ٤: ٧ ـ ١٧)، مبنية على المطابقة، يصف رسالته بأدب جم في صيغة الجمع، صورةً لحياة المسيح وتجديد استشهاده في سيرة الرسول.

وفي **لوحة ثانية** (٢ كو ٦: ٣ ـ ١٠)؛ مبنية على التعداد والتكميل، يصف أعمال رسالته التي تظهره الرسول الحق، خادم الله والمسيح.

وفي **لوحة ثالثة**، حيث قوة النظم تزيد في بلاغة الرواية، يصف أعمال الرسول الحق التي تميّزه عن الدعي (٢ كو ١١: ١٦ ـ ٢٩). وقد نقلنا اللوحات الثلاث في مطلع الكتاب.

ويختم بوصف **إسرائه إلى الفردوس**، في السماء الثالثة[١] ـ والإسراء قمة الوحي والكشف الإلهي. وليس بين أنبياء الكتاب من ذكر إسراء إلى السماء إلاّ بولس.

« لا بد إذا من الفخر، ولا خير فيه — فإني أنتقل إلى رؤى الله وكشفه.
إني أعرف رجلاً في المسيح — ـ وذلك منذ أربع عشرة سنة ـ
أفي الجسد؟ ـ لا أعلم! — أم بدون جسد؟ لا أعلم، الله يعلم
قد أسري به إلى السماء الثالثة! — وأعرف أن هذا الرجل ـ
أفي الجسد؟ أو بدون الجسد؟ — لا أعلم، الله يعلم ـ
قد أسري به إلى الفردوس! — وسمع كلمات لا تُعقل ولا تنقل!

(١) تقسم السّماوات عند أهل الكتاب إلى ثلاث: سماء الجو والهواء، وسماء النجوم، وسماء الله في أعلى عليين؛ بخلاف أهل الغنوص الذين يقسمونها إلى سبع سموات.

أجل بهذا الرجل أفتخر! أما أنا فلا أفخر إلاّ بأوهاني.
ولو أردت الافتخار لا أكون من الجاهليين.
فإني لا أقول إلاّ الحق ولكني أعرض عن ذلك
لئلا يظن أحد بي فوق ما يراني عليه، أو يسمعه عني »
(٢ كو ١٢: ١ ــ ٦)

هذا هو الإسراء الحق إلى حضرة الله تعالى. ولهجة الصدق بادية عليه، من التمييز في الحالة المجهولة التي تمّ بها. ونلاحظ الأدب المسيحي الجم بنسبة الإسراء إلى « رجل » كأنه غير بولس. وكأنه في تواضعه يخجل من نفسه، فيعود إلى ذكر ضعفه وهوانه على نفسه. فبهذا القصص التاريخي المعجز نظماً وموضوعاً يتحدى بولس كل نبوة ورسالة، وكل وحي وكشف بعد معلمه.

فتلك النماذج من **القصص الفني** في رسائل بولس تكشف لنا ميزة كبرى من عبقرية بولس الأديب: إن رسائله قد اشتملت على كثير من الفنون الأدبية، تتفاعل ما بين الادماج والاقتدار والابداع.

۞ ۞ ۞

بحث ثامن

الأسلوب الإنشائي

توطئة: ظاهرة الأناشيد في رسائل بولس

إنشاء بولس له ظاهرتان: النظم المرسل، والنظم الموزون.

النظم المرسل هو صفة إنشاء بولس الغالبة. كان التعبير عنده، كما عند

بني قومه، قائماً على المقابلة بين شطري الجملة أو الآية. فجاءَه عفواً في اللغة اليونانية التي تجهله كأسلوب مطّرد. وهذا الأسلوب يجعل إنشاءَه من النظم المرسل.

والنظم الموزون، بقافية أو بدون قافية، تجده في **الأناشيد** التي أنشدها في رسائله، يستجمع فيها فلسفته وصوفيته في المسيح والدعوة الإنجيلية.

كان **النشيد الديني** عند الأقدمين، من أهل الكتاب والأمميين، من أركان التلاوة في الصلاة. وهذا سبب أناشيد المزامير في العهد القديم. فاقتدت المسيحية منذ نشأتها بأسلوب الأناشيد في صلواتها وطقوسها: « رنموا لله، من قلوبكم، **بمزامير وتسابيح وأناشيد روحية** » (كول ٣: ١٦). تلك هي أنواع النشيد الديني التي أطلقتها المسيحية لتطيع عقيدتها في ضمير الشعب. وما جاء عند بولس هو من نوع الأناشيد.

١ ــ صحة الأناشيد عند بولس

عند بولس النشيدان العظيمان لسر المسيح في ذاته (فيل ٢: ٦ ــ ١١) ولسر المسيح في الكون (كول ١: ١٥ ــ ٢١)، وهما أعظم إعلان لإلهية المسيح، على صحتهما شبهة بسبب ظاهرة الاقحام الأبدية عليهما في النص. ويثير هذه الشبهة مَن يحب أن يطعن في إلهية المسيح. ولكنها شبهة لا حقيقة. فإن ظاهرة الإقحام تأتي من سوء فهم لموقفهما من النص، كما سنرى.

ويدل على صحتهما وجود أناشيد لا يشك أحد بأنها من صلب النص وموضوع الرسالة، كنشيد المحبة الإلهية (رو ٨: ٣١ ــ ٣٩) ونشيد المحبة الأخوية (١ كو ١٣ كله). ومثل النشيد الذي هو فاتحة الرسالة إلى الأفسسيين. وعبقرية بولس كفيلة بصحة النشيد الفيلبي والنشيد الكولوسي.

وصحتها جميعاً قائمة على أمانة بولس. فهو عندما يقتبس نشيداً أو جزءاً من نشيد يصرّح بذلك، كقوله في الاقتباس، (أفس ٥: ١٤) « لذلك قد قيل »! وحيث لا إشارة إلى اقتباس، فالنشيد من بولس نفسه، فإنه لا يتباهى بانتحال أقوال غيره، كما لا يتباهى بأعمال غيره. وعندما يقتبس شعراً من شعراء اليونان يصرّح بذلك.

فظاهرة الاقحام على النشيد الكولوسي الأعظم تبدو من أنه نشيد من خدمة دينية للعماد تأتي في سياق الحوار بين الأسقف والمعمّدين. فما كان لبولس أن يترك تلاميذه بدون أناشيد توجز عقيدتهم وتنعش صلاتهم. فقد وضع لكنائسه الشرقية **خدمة عماد مع نشيد لها**. ولمّا كتب إلى أهل كولوسي في آخر حياته رأى أن يثبت الخدمة والنشيد في الرسالة تعميماً للفائدة، وحفظاً من الضياع، فنقلهم في (١: ٩ ــ ٢٣)، والاقحام ظاهر بين الآية (١: ٨) والآية (١: ٢٤). فترتيب **خدمة العماد** تدل على أن النشيد منها، وليس مقحماً مقتبساً من غيره.

ــ تحريض الأسقف بعد الاستنارة بالعماد (١: ٩ ــ ١٢).

ــ جواب المعمّدين المستنيرين (١: ١٣ ــ ١٤).

ــ نشيد الشعب « لابن محبته » (١: ١٥ ــ ٢٠).

ــ تحريض ختامي للأسقف (١: ٢١ ــ ٢٣).

ويختم بولس بتوقيعه على خدمة العماد بقوله: « وصرت أنا بولس **خادماً** له » (١: ٢٣). فيأخذ صفة « خادم » في طقس العبادة، بينما صفته الدائمة في رسائله أنه « رسول يسوع المسيح بمشيئة الله » (١: ١).

كذلك يقتبس من نفسه **النشيد الفيلبي** في خدمة دينية أخرى، ويستشهد « بتلاشي » ابن الله في حالة عبد، مثالاً لهم في التواضع المسيحي.

فصحة الأناشيد عند بولس قائمة لا شبهة عليها، للطعن في عقيدتها. وهب أن بعض الأناشيد اقتباس، فهذا الاقتباس جعلها تعبيراً عن عقيدة بولس وعن دعوته.

٢ ــ أسلوب الأناشيد عند بولس

هو أسلوب النظم الأرامي، **رباعيات** ــ كما بقي في الزجل اللبناني مثلاً ــ تصير في العربية **ثنائيات** بصدر وعجز للبيت الواحد.

وقد رأينا أن هذا الأسلوب قد يغشى إنشاء بولس كله في نظم مرسل. وتقطيع النشيد ثنائيات بحسب التعبير العربي، أو رباعيات بحسب التعبير الآري، يعيد إليه روعته وإعجازه، ويجنبنا أخطاء كثيرة نقع فيها عندما ينقل النشيد بطريقة النثر.

فبالنظم المرسل، وبالنظم الموزون، يظهر لنا بولس **أديباً ومتكلماً وخطيباً وشاعراً.** وقد ترك لنا في رسائله بعض الأناشيد الدينية، التي هي **موجز معجز للعقيدة المسيحية**، تبلغ في روعتها، على حد قول بعضهم، معجز أفلاطون، حيث يأتلف فيها جمال التعبير مع جمال التفكير.

ندرس هذه الأناشيد هنا من **وجهها الفني**؛ كما سندرسها في مواطنها من وجهها الموضوعي؛ ولا ضير في ذلك ولا تكرار.

●

١ ـ محبة الله لنا في المسيح (رو ٨: ٣١ ـ ٣٩)

١) « إذا كان الله معنا، فمن علينا؟ فإنه لم يشفق على ابنه بالذات
بل أسلمه من أجلنا جميعاً فكيف لا يهب لنا معه كل شيء؟
فمن يتّهم أصفياء الله؟ والله نفسه هو الذي يبرّرهم!
ومن يدينهم؟ والمسيح مات بل قام وهو عن يمين الله يشفع فينا!
٢) فمن يفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدّة وضيق؟ أم اضطهاد؟
أم جوع؟ أم عرْي؟ أم خطر؟ أم سيف؟
مكتوب: « من أجلك نمات طوال النهار
وقد حسُبنا مثل عنم للذبح »!
ولكنّا في ذلك قد فزنا فوزاً مبيناً بالذي أحبّنا!
وإني لواثق أيضاً بأنه لا موت! ولا حياة!
ولا ملائكة ولا رئاسات! ولا حاضرة، ولا مستقبل!
ولا أهل العلاء ولا أهل الأسفل ولا أي قوات، ولا خلق آخر،
بوسعه أن يفصلنا عن محبة الله، في المسيح يسوع ربنا »

هذا موشح رائع معنى ومبنى، وهو من مقطعيْن في نظمه: الأول من دورين، والثاني من دورين مزدوجين. ففي المقطع الأول (٣١ ــ ٣٤) شفقة الله، وشفاعة المسيح بدمه ومنزلته تتمان الوحدة الموضوعية والفنية. وفي المقطعة الثاني (٣٥ ــ ٣٩) فإن التصدير (٣٥) والاختتام (٣٩) باستحالة فصلنا عن المسيح، رابط لفظي وفني يقيد الوحدة الفنية والموضوعية، فيتجلّى لنا أن محبة المسيح في الافتتاح هي في الاختتام ومحبة الله لنا بالمسيح.

نلاحظ أيضاً الترتيب الفني. في المقطع الأول يبدأ بالله (٣١) ويختم بالمسيح (٣٤)؛ وفي الثاني يبدأ بالمسيح (٣٥) ويختم الله (٣٩). فقيّد النشيد كله باسم الجلالة في براعة الاستهلال وحسن الختام. وجعل محور النشيد المسيح، صلة الوصل، والجامع الكياني بين الله الإنسان. وسرّ عطف الله ولطفه بنا هو « محبة الله لنا في المسيح يسوع ربنا »، فكان العنوان حسن الختام. هذا هو نشيد الحب الإلهي.

●

٢ ــ نشيد المحبة الأخوية المسيحية (١ كو ١٣)

١) « لو نطقت بألسنة الناس والملائكة، ولم تكن فيّ المحبة،
فأنا نحاس يطنّ! أو صنج يرنّ!
ولو أوتيت النبوة كلها وعرفت جميع الأسرار، والعلوم كلها،
ولو كان لي إيمان ينقل الجبال ولم تكن فيّ المحبة، فلست شيّا!
ولو بذلت أموالي جميعها وأسلمت جسدي للنيران،
ولم تكن في المحبة فلا أنتفع شيّا!
٢) المحبة تحلم وترفق! المحبة لا تتباهى ولا تنتفخ!
لا تفعل بالناس سوءاً ولا تسعى لمنفعتها!
لا تحنق، ولا تظن سوءاً لا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق
تعذر الكل وتصدّق الكل ترجو الكل وتصبر على الكل
المحبة لا تزول أبداً، أما النبوءات فتُبطل
والألسنة تنتهي والعلم يضمحل
فعلمنا ناقص، ونبوءتنا ناقصة فمتى جاءَ الكامل زال الناقص

٣) لمـــا كنت طفلاً نطقت كطفل   وأدركت كطفل وفكــرت كطفل
فلمّـــا أصبحت رجـــلاً   تركــت مـــا هــو للطفــل!
نحن اليوم نرى في مرآة كلغز   ويومــذاك فــوجهــاً لــوجه!
اليـــوم أعــلم علمــاً ناقصــاً   ويومذاك فأعــلم كمــا علمــتُ،
أمّـــا اليـــــوم فيقـــــوم   الإيمـــان والرجـــاء والمحبـــة،
تلـــك الثـــلاثـــة   وأعظمهـــــا المحبـــة »

لم ينشد أحد من بني الإنسان للمحبة مثل هذا النشيد المعجز. إنها المحبة المسيحية التي تنبع من ذات الله، ومن قلب المسيح، ويسكبها روح الله والمسيح في قلب المؤمن الحقيقي.

فكأنك تقرأ موشحاً من ثلاثة مقاطع، وكل مقطع مـــن ثلاثـــة أدوار. فـــالمقطع الأول يصف سمو المحبة على كل المواهب الإلهية التي كان يعتز بها المســيحيون الأولــون علـــى الآخرين. والثاني يفصل أعمال المحبة في سموها وصفائها، وميزاتها في خلودهـــا وكمالهـــا، على كل نبؤة وكل لسان وكل علم. والثالث يقابل حال المحبة من كـــل موهبـــة بحـــال اليـــوم الحاضر من اليوم الآخر، كحال الطفل الطالع من الرجل البالغ. كل المواهب كلا شيء تجـــاه الإيمان والرجاء والمحبة، « تلك الثلاثة ». فهو يوجز الحياة المسيحية في « تلـــك الثلاثـــة ». ويرفع المحبة على الإيمان والرجاء نفسيهما، لأنهما يزولان عند رؤيـــة الله، فـــلا يـــدوم إلاّ المحبة. إن لها مواعيد الخلود في الزمان والأبد. بالحقيقة أن « قلب بولس هو قلب المســـيح » كما يقول الفم الذهبي.

وهذه الرائعة الصوفية الفنية تزخر بأنواع البيان والبديع؛ وينسجم فيها التعبير والتفكير في رنة موسيقية تفعل فعل السحر، وإن من البيان لسحراً. وهذا البيـــان الســـاحر هـــو نشـــيد المحبة، لبولس.

•

٣ ــ سرّ المسيح في ذاته (فيل ٢: ٦ ــ ١١)

١) « القـــائـــم فـــي حـــال الله   لم يعدّ اختلاســـاً مســـاواته الله
لكنـــه تجـــرّد مـــن ذاتـــه   متّخـــذاً حـــال العبـــد!

صائراً على مثال البشر! وإذ ظهر بمظهر إنسان
وضع نفسه، وصار طائعاً حتى الموت، الموت على الصليب
٢) لذلك رفعه الله إليه وآتاه الاسم الأعظم
لكي تجثو لاسم يسوع كل ركبة بين السماويين
وبين الأرضيين وبين السفليين ويشهد كل لسان
ان يسوع المسيح هو الرب في مجد الله الآب »!

هذا نشيد محكم التفكير والتعبير، يطوي سر المسيح في ذاته وسيرته. وهو من مقطعين متوازيين، كل مقطع من رباعيتين. إنه يجمع إلى إعجاز في النظم، إعجازاً في حركة المعنى: نزول المسيح من حال الله إلى حال العبد؛ وارتفاعه من ذل العبد إلى مجد الله. فتنتهي حركة المعنى والمبنى إلى حسن الختام: إنه « الرب في مجد الآب ».

وهذه الوحدة الموضوعية تقوم على وحدة فنية: استهل النشيد باسم الجلالة وحال المسيح فيه (٢: ٩) واختتم به (٢: ١١)، في براعة الاستهلال وحسن الختام. فكما نزل من « حال الله »، « صعد إلى مجد الآب ». فكانت سيرته ومسيرته في خلقه نزولاً وارتفاعاً، نزولاً إلى حال العبد، وحياة البشر، والظهور بمظهر الإنسان حتى الموت على الصليب في طاعة الله! وصعوداً من ذل الصليب إلى مجد الآب! وفي هذه المسيرة الكونية برهان استحقاق المسيح في بشريته المجيدة للاسم الأعظم، « الرب »، رب العالمين الذي يتمتع مع الله بعبادة المخلوقين. إعجاز في النظم، وإعجاز في العقيدة. هذا هو النشيد لسر المسيح في ذاته.

•

٤ ـ سر المسيح في الكون (كول ١: ١٥ ـ ٢٠)

« الابن الحبيب » (١: ١٣)

١) « هو صورة الله اللامدرك بكر الخليقة كلها:
إذ فيه خلق الكل، ما في السماوات وما في الأرض

ما يُرى وما لا يرى — عروش وسيادات، ورئاسات وقوات[1]
به، وله، خُلق الكل! — فهو الكائن قبل الكل!
وفيه يقوم الكل! — وهو رأس الجسد، الكنيسة.
٢) وهو أيضاً المبدأ، — البكر من بين الأموات،
ليكون هو الأول في الكل — إذ فيه ارتضى أن يحل الملء كله
وأن يصالح تماماً[2] به، وله، — الكل، بتحقيق السلام
بدم صليبه؛ أجل به[3]، — ما في الأرض وما في السماوات »

هذا أسمى نشيد صوفي، أنشده بولس لسر المسيح، « ابن محبته » (١: ٢٣) حيث المضاف إليه في اليونانية يقوم مقام الصفة، أي « الابن الحبيب »، وهو عنوان النشيد. وهذا النشيد صورة المسيح الكوني، في دورتي الخلق، أي سر المسيح في الكون.

إن النشيد محكم التأليف من مقطعين متقابلين، كلاهما في دورين متوازيين. وترتيبه رباعيات بحسب التعبير الآري والأرامي، أو ثنائيات بحسب

---

(١) يظهر هذا البيت الفريد كتفسير هامشي دخل النص، كما يدل عليه النظم الرباعي المحكم في النشيد كله، والمطابقة في التصدير والختام التي تقتصر فيهما كليهما على « ما في السماوات وما في الأرض » أو « ما في الأرض وما في السماوات »، في حركة عكسية نزولاً وصعوداً، أظهرها النشيد الفيلبي.

(٢) يستخدم بولس فعل « صالح » البسيط في (١ كو ٧: ١١؛ ٢ كو ٥: ١٨ و١٩ و٢٠؛ رو ٥: ١٠). لكنه في (كول ١: ١٩) يستعمل فعل « صالح » مركباً مع حرف زائد عليه: وزيادة البناء زيادة في المعنى؛ لذلك يجب ترجمة التعبير هنا « صالح تماماً ». فالمصالحة الكونية بالمسيح كاملة. وهذه المصالحة الإلهية تنبع من محبة الله للإنسان في (رو ٥: ٨) وهنا من رضاه تعالى على الكون (كول ١: ١٨). وفي هذا التعبير المختلف المؤتلف تمييز للإنسان على الكون.

(٣) هنا يكرر بولس دور المسيح في المصالحة بقوله « به » مرة ثانية، للتوكيد على وساطة المسيح في تجديد الخلق. وقلما لحظت الترجمات ذلك. ويضيف « ما في الأرض وما في السماوات » تفسيراً لتعبير « الكل » في الآية (٢٩) كما فعل في الآية (١٦).

التعبير والتركيب العربي، يظهر شبهة الاقحام على الآية « ما يرى وما لا يرى: عروش وسيادات، ورئاسات وقوات »؛ ويقتصر بيان « الكل » (١: ١٦) على « ما في السماوات وما في الأرض »، كما يقتصر عليها في الآية (٢٠).

ان الإعجاز الفني في هذا النشيد، مرتبط بالإعجاز في المعنى. يجري التركيز فيه على أوصاف شاملة كاملة، وعلى حروف جامعة مانعة.

يأخذ **المسيح التاريخي** في هذا النشيد مداه الإنساني في « **المسيح الكلّي** » ومداه الكوني في « **المسيح الكوني** » في دورتي الخلق.

وفي تلك العوالم الثلاثة، كثلاث دوائر لثلاثة أبعاد، يظهر المسيح « **صورة الله** اللامدرك » في تكوينها (١: ١٥) **والمبدأ** في أصلها (١: ١٨) **والأول** في كيانها (١: ١٨).

في دورة الخلق الأولى، المسيح بالنسبة للخالق « صورة الله »؛ بالنسبة للخلق « بكر الخليقة كلها »، في أولية مطلقة، لا نسبة كفرد من جنس، بحسب الحرف اليوناني الذي يعني « الوليد الأول »، لا « المخلوق الأول » مثل « الخليقة كلها »: « إذ فيه، وله، خلق الكل، ما في السماوات وما في الأرض ».

في دورة الخلق الثانية، أي تجديد الخلق بالتجسد والفداء والمصالحة الإنسانية الكونية، فالمسيح بالنسبة لله هو « المبدأ »؛ وبالنسبة للخلق الجديد هو « البكر من بين الأموات ». وفي صلة الوصل الكيانية بين الخلقين فالمسيح هو « رأس الجسد » أي رأس الكنيسة. فالكنيسة هي طليعة دورة الخلق الثانية بقيامة المسيح ورفعه إلى السماء، فهي عربونها وبرهانها؛ لذلك فهي **محور دورتي الخلق**.

ودور المسيح في دورتي الخلق، التكوين والتجديد، أوجزها بولس بحروف فأعجز. فالخلق الأول كان « فيه، وبه، وله »؛ والخلق الجديد بالمصالحة الكونية كان « فيه، وبه، وله ». وفي محور دورتي الخلق المسيح

هو « رأس الجسد »، وهذا الكيان أبلغ من « فيه، وبه، وله »: إنه كيان واحد.

وذلك كله، « إذ فيه ارتضى (الله) أن يحل الملء كله ». التعبير مطلق في هذه الآيــة، فهو يعني ملء الإنسان وملء الكون وملء الله نفسه الذي هو « صورته ». هذه **صورة أولــى** « للمسيح الكوني »، غاية النشيد.

صورة ثانية إنه « المبدأ » في تجديد الخلق، كما أنه « الصورة » في تكوينه.

صورة ثالثة إنه « الأول في الكل ». وهذه الأولية المطلقة قائمة في الخلق الأول على أنه « كائن قبل الكل » و« فيه يقوم الكل »؛ وفي الخلق الجديد على أن الله « يصالح به ولــه الكل »؛ وفي الصلة الكيانية بين الخلقين على كونه « رأس الجسد ». وهذه الأوليــة المطلقــة عبّر عنها أنه « بكر الخليقة كلها » في التكوين، و« البكر من بين الأمــوات » فــي تجديــد الخلق؛ ويربط بين الأوليتين أنه « رأس الجسد ».

فسرّ المسيح في الكون إنه الصورة والرأس والمبدأ؛ وأنه « البكر » في الخلق الأول، والبكر الجديد، و« رأس الجسد » في محورهما.

فليس المسيح فقط « أول خلق الله وخاتم رسل الله » فرداً من جنس، بل هو، « الأول في الكل » على الإطلاق، لأنه « كائن قبل الكل »، و« فيه يقوم الكل ». فهو بذاته « صــورة الله اللامدرك » الذي « يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار ».

وبما أنه « فيه، وبه، وله » كان تكوين الخلق وتجديده. فهــو **رب العــالمين**، العلّــة المثالية والسببية والغائية، وفي الوقت ذاته الواسطة. إنه مــع الله رب العــالمين لأنــه **العلــة والواسطة والغاية**، في أولية مطلقة. والنظم الذي يبرز الأوصاف، ويكمن في الحروف، يزيــد الجمال الفني روعة.

هذا هو سر المسيح في الكون: إنه « المسيح الكوني ».

وهذا هو نشيد الاستنارة « للابن الحبيب » في العماد. وهو على أساس

الصوفية المسيحية في رسائل بولس، وعند أبولّس في الرسالة إلى العبرانيين، وعند يوحنا في الإنجيل وفاتحته. فالنشيد محور ومصدر وجوهر المجموعات الكلامية الثلاث في العهد الجديد. وهو ميزان عبقرية بولس في تفصيل الإنجيل.

●

٥ ـ المسيح رب العالمين (كول ٢: ٨ ـ ١٥)

« سرّ الله هو المسيح الكامنة فيه كنوز الحكمة والغنوص كلها »

« في المسيح يحل جسديّاً ملء الألوهية كله!
وأنتم فيه أيضاً ممتلئون وهو رأس كل رئاسة وسلطنة.
ففيه خُتنتم ختاناً بغير يدِ به تخلعون جسدكم البشري كله
فهذا هو الختان في المسيح! بالعماد تدفنون معه، وتقومون معه!
فقد آمنتم بقدرة الله الذي أقامه من بين الأموات!
وكنتم أمواتاً بزلاتكم وقلف أجسادكم
فأحياكم معه، وصفح لنا عن كل زلاتنا
لقد محا ما علينا من صك الأحكام وألغاه مسمراً إياه على الصليب.
وخلع الرئاسات والسلطانات
عن سلطانهم وسيّرهم في موكبه الظافر »

في هذا النشيد يردّ بولس على النصارى من بني إسرائيل الذين يزعمون أن الملائكة، أي « أركان العالم » بلغة الغنوص، هم سلاطين العالم، لا المسيح. ويعتمدون على تحدّي المسيحية بتلفيق الشريعة والحكمة والغنوص. في زعمهم، إن « العبادة للملائكة » (٢: ١٨) لا للمسيح.

فيجيب: هذا « غرور الفلسفة الباطل، القائم على سُنّة الناس وأركان العالم، لا على المسيح » (٢: ٨). تعبير « سنة الناس » يعني الإسرائيليات، وتعبير « أركان العالم » يعني حكمة الغنوص. وفاتهم « سر الله، المسيح الكامنة فيه كنوز الحكمة والغنوص كلها » (٢: ٢ و٣).

ويأتي النشيد يبيّن ويدعم صحة بولس، **بالتعريف الأوفى لسر المسيح:** « فيه يحل جسدياً ملء الألوهية كله » (٢: ٩). هذا أول تعريف جامع مانع لسر التجسّد؛ ومنه يأتي تعريف الإنجيل بحسب يوحنا: « والكلمة صار بشراً وسكن في ما بيننا » (١: ١٤).

هذا هو سر المسيح الذي هو « سر الله » (٢: ٢). وعليه يبني بولس سلطان المسيح المطلق في عالم الإنسان: « وأنتم تشتركون في ملئه » (٢: ١٠)، وفي عالم الملاك: « وهو رأس كل رئاسة وسلطنة » (٢: ١٠). أوجز منزلته المسيح في الرباعية الأولى، وفصله في الرباعيات الثلاث التالية.

يتشدّقون **بميزة الختان** الحسّي المحدود، والختان الحق هو الختان الروحي في المسيح، لأنه أكمل وأشمل، فهو يشمل بشريتنا كلها، ويشركنا في حياة المسيح. إنه موت وحياة مع المسيح، بالعماد فيه، والإيمان بقيامته الفاعلة فينا. فختان الجسد لا يغفر الزلات، بينما ختان الروح يغفر الذنوب ويعطي الحياة في المسيح.

يتشدّقون **بأحكام الشريعة** لإقامتها مع أحكام الإنجيل. والشريعة كبّلتنا بأحكامها، فكانت مخالفتها صكّاً يديننا؛ فأخذ الصك وسمّره على الصليب مع جسده. فألغى بذلك الشريعة وأحكامها وصكها علينا. بذلك « أحياكم معه، وصفح لنا عن كل زلاتنا ».

هذا تفصيل سلطان المسيح في الإنسان. ويوجز بشعر واحد سلطانه على الملائكة، وعلى « الرئاسات والسلطنات » بينهم: لقد خلعهم عن سلطانهم في الكون والشريعة، « وشهّرهم وسيّرهم في موكبه الظافر » (٢: ١٥).

بذلك صار « رأس كل رئاسة وسلطنة » (٢: ١٠)، كما هو « رأس الجسد أي الكنيسة » (١: ١٨). فهو « رأس » الكون كله، إنه رب العالمين؛ لا سلطان على الملاك والإنسان والكون إلاّ له؛ ولا حياة للبشرية، المتمثلة بالكنيسة، « جسد المسيح » إلاّ منه، وبه، وفيه، وله.

وهذا التركيز في العقيدة، يُبرزه الجمال الفني في النشيد. فتأتي التصاريح الإيمانية كأسهم من نار ونور. ويأتي التفصيل في جمال من البيان والتبيين

مبين. وبراعته في إيجـاز بيانه بأوصاف ناطقة، وحروف جامعة: « فيه أنتم مملـؤون » أي « تشتركون في ملئه »؛ « فيه ختنتم ختانة روحية ».

فميزة المسيح على الخلق كلهم أن « فيه يحل جسديّاً ملء الألوهية كله » فهو من عالم الخالق، لا من عالم المخلوق؛ لذلك فهو « رأس كل رئاسة وسلطنة » أي رب العالمين. وميزة المسيحيين على المخلوقين أنهم « يشتركون في ملئه »، فيتصلون فيه بالله نفسه.

●

٦ ــ « البركات الروحية في المسيح » (أفس ١: ٣ ــ ١٤)

١) « تبـارك الله، وأبـو[١] ربنـا يسـوع المسـيح!
الذي باركنـا بكل بـركة روحيـة في السـماوات العـلى، بالمـسيح.
ففيه قـد **اصطفـانا** قبل إنشـاء الكـون
لنكون قديسين، بغير عيب لديه، في المحبة
وقـدّر برضـاه **تبنّينا** بيسـوع المسـيح
لحمد مجد نعمته التي أنعم علينا في الحبيب
٢) **وفيه** لنـا **الفداء بدمـه**، غفران الذنـوب
على حسب غنى نعمته التي أفاضهـا علينا
بكل حكمـة وفهـم، **معلمنـا لنـا** سـر مشيئته الـذي ارتضـاه لنـا
والـذي قصـده من قبل في ذاتـه ليحققه بحسب تدبيره لمـلء الأزمنة
أن **يجمـع فـي المسيح كرأسٍ**[٢] الكـل
مـا في السـماوات ومـا فـي الأرض.

---

(١) الترجمة اليسوعية تقول: « تبارك إله ربنا يسوع المسيح وأبوه ». نأسف لهذه الترجمة التي تحـرف النص وتتناقض في نفسها. الكلام في شخصية المسيح، لا في التميز بين لاهوته وناسوته: فكيف يكون الله إله المسيح وأبوه معاً؟ وفي النص اليوناني « أبو » تأتي حالاً بعد « تبارك الله ». ولا يقول « إله » بـل « الله » ὁΘεός . والآداة « καὶ » (عطف بيان). وفي ترجمة النشيد تحريف كثير.

(٢) إن الترجمة اليسوعية أهملت كلمة « رأس » الموجودة في الفعل اليوناني المنحوت منها، فقالـت: « فيجمع في المسيح كل شيء »، فضاعت بذلك عقيدة المسيح رأس الكون، الذي يتوحد فيه.

٣) **وفيه** أيضــاً **فرزنـــا** باصطفائه لنـــا قبلاً
على حسب قصد من يفعل الكل على رضاه
لنكــون لحمــد مجده الأولين الــذين أنــاطوا رجــاءهم بــالمســيح
وفيه أنتم أيضاً، وقــد سمعتم قول الحق،
إنجيــل خــلاصــكم، فآمنــتم بــه،
خُتمتم بالروح القدس الموعود، عربون ميراثنا، لفداء المقتنين لحمد مجده »

هذا النشيد أيضاً من الكلام الرفيع والأدب البديع. ونشعر لدى تلاوته أن لغــة البشــر تقصّر في استيعاب الكشف الرباني؛ فيأتي الانشاء معقداً، متراكماً، مزدحماً، يجمــع ويفصّــل، باللف والنشر، والادماج والاقتدار، والافتنان والائتلاف.

ويرقى فيه النظم ذروته، كما يرى العارفون، بمطابقة عدد الحــروف فــي تفاعيلــه، ومطابقة الحروف في التقفية، ومطابقة المخارج في صدر البيوت كأن الشعر له تقفية في آخره كما له تصدير في أوله.

والنشيد يقسم إلى **ثلاثة مقاطع**، كل مقطع منها من دورين. في المقطع الأول، دور الله الآب في التصميم (٤ ــ ٥)؛ وفي الثاني دور الابن في التحقيق (٧ ــ ١٠)؛ وفي الثالــث دور الروح القدس في التنفيذ في الأولين، أهل الكتاب، وفي الآخرين، الأمميين. وهو يردّد كلازمــةٍ نشيد الحمد لمجد الله على كل دور من البركات (٦ و١٢ و١٤).

ومع الجمال الفني، جمال بياني. بدأ بذكر الله الآب وختم به، لأنــه المبــدأ والمعــاد. استفتح بذكر البركة والنعمة، واختتم بحمد مجده تعالى، عطاءً ووفاءً. وتخلّص من دور الآب، إلى دور الابن، إلى دور الروح القدس، بترديد آية الحمد لبركة الله ونعمتــه ومجــده. فجــاء النشيد ذروة الاعجاز في تفصيل الإنجيل نظماً وموضوعاً.

موضوع النشيد هو « البركات الروحية في المسيح » (٤). يفصــلها **ســبع بركــات:** الاصطفاء الأزلي والتبني في تصميم الآب؛ الفداء وكشف

تصميم الآب، في تجميع الكون وتوحيده تحت رأس واحد هو المسيح، بتحقيق « الحبيب »؛ فرزْ أهل الكتاب أولاً، ثم دعوة الأمميين وختمهم بالروح القدس الموعود في التنفيد. وسنأتي على بحث وتحليل تلك البركات الروحية السبع في درس الرسالة الأفسسية.

تلك لمحة عن الجمال الفني والجمال البياني في النشيد نظماً وموضوعاً. وهي تحمل **اعجاز الكشف الإنجيلي،** « معرفة سر الله، المسيح الكامنة فيه كنوز الحكمة والغنوص كلها » (٢: ٣) لأن « فيه يحل جسديّاً ملء الألوهية كلها » (٢: ٩). فما الخلق إلاّ للتبنّي في المسيح (١: ٤). وما التجسّد والفداء إلاّ لتوحيد الخلق كله في المسيح رأساً له. فالمسيح هو صلة الوصل الكيانية والكونية بين الخالق والمخلوق، وبين الكون كله، في وحدة الوجود الحقيقية، مع كامل التجريد والتنزيه. فغاية الخلق والتجسد والفداء وتوحيد الكون هي التبني الإلهي للمخلوق الناطق الخالص بدم المسيح؛ وعربون هذا التبني الإلهي في الوحدة بالمسيح هو الحياة بروح الله، عربون الفداء وعربون الخلود.

تلك هي البركات الروحية السبع في المسيح.

●

٧ ـ « **سر التقوى** » **في المسيحية** (١ تيم ٣: ١٦؛ ٦: ١٥ ـ ١٦)

١) « عظيم، بلا مراء سرّ التقوى
تجلّى في الجسد! وشهد له الروح!
شاهدته الملائكة! وبُشّر به الأمميون!
آمن به العالم! وارتفع إلى المجد!
...
٢) سيتجلّى ربنا يسوع المسيح وسيُظهره في حينه
السعيد القدير وحده ملك الملوك ورب الأرباب
الذي له وحده الخلود ومسكنه نور محجوب
وهو الذي لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه
له الكرامة والعزة إلى الأبد. آمين »

هذان المقطعان قد يكونان من نشيدين مختلفين، وقد يكونان نشيداً واحداً فصلتهما الرسالة بحسب استشهادها بهما. وكل مقطع من دورين أي من رباعيتين. يصف المقطع الأول ظهور المسيح الأول (١ تيم ٣: ١٦)، والثاني رجعة المسيح في مجد الله ليوم الدين (١ تيم ٦: ١٥ ـ ١٦).

وعنوان النشيد « سرّ التقوى ». فهو يسمي المسيحية باسم هلنستي غنوصي لإيلافها بين الهلنستيين في الإمبراطورية كلها. ويسمي أيضاً ظهور المسيح الأول والثاني « تجليّاً » بلغة الأناشيد الهلنستية الغنوصية. وفي كلا الظهورين يسمو تجلّي المسيح على كل نبوة ورسالة.

فالتجلّي الأول أي ظهور المسيح في بشريته، « شهد له الروح! وشاهدته الملائكة! ارتفع إلى المجد الإلهي! وبُشّر به الأمميون! وآمن به العالم! »، سيرة معجزة، ورسالة معجزة، تسمو على كل سيرة، وكل رسالة، في كل دين وحكمة وغنوص! وإعجاز السيرة والدعوة يصفه النشيد بذاك الإيجاز المعجز، فكأن كل آية معجزة إلهية تشهد « لسر التقوى ».

والتجلي الثاني في يوم الدين سيكون من « النور المحجوب » عن المخلوق، ويتحقق في نور الله ومجده، ليقوم المسيح مقام الله « الذي لم يره إنسان ولا يستطيع أن يراه »، حتى يومَ الدين، ليكون كرب العالمين ملك يوم الدين. وذلك في التوحيد الكامل المعلن « للسعيد القدير وحده، ملك الملوك ورب الأرباب، الذي وحده له الخلود ».

ويختم النشيد بالختام الذي ذهب مثلاً لختام كل صلاة: « له الكرامة والعزة إلى الأبد. آمين ».

هذا « معجز بولس » في نشيد « سر التقوى » كما في سائر الأناشيد.

۞ ۞ ۞

خاتمة

رسائل بولس جوهرة يتيمة

في أسلوب بولس، نرى أن الرسول قد أودع رسائله، في عفوية الوحي والخاطر، كثيراً من **الفنون الأدبية**، في كثير من **الأساليب البيانية**.

ففيها من الأسلوب اللغوي والإنشائي والبياني والخطابي والكلامي والقصصي والإنشادي، ما يجعل بولس في **طليعة الأدباء**.

وفيها، في فنون الأدب، من بحث وتعليم وجدال؛ من كلام وحكمة وصوفية؛ من خطابة وقصص وشعر؛ ما يجعله في **طليعة العباقرة**.

إن بولس الكاتب، بولس المفكر، بولس المراسل، بولس المتكلم، بولس الخطيب، بولس الرواية، بولس الشاعر؛ **بولس النبي** الذي أسري به إلى الفردوس في السماء الثالثة، حيث « الله على العرش استوى » في « نور محجوب »؛ **بولس الرسول** الذي جاب الإمبراطورية الرومانية إلى أطرافها الأربعة، ليؤسس ملكوت « الرب يسوع » على أنقاض مملكة « الرب قيصر »؛ **بولس المعلم** الذي أودع رسائله حكمة الإنجيل وصوفيته؛ بولس العظيم جعل رسائله جوهرة يتيمة في آداب الدين والدنيا.

فهرس

صورة بولس : الرسول البطل ٧
تمهيد عام : تفصيل الإنجيل هو فلسفة المسيحية وكلامها ١١
١ ــ عصمة رسل المسيح دعوةً وكتابةً ١١
٢ ــ الضرورة لتفصيل الإنجيل في تبليغه ١٣
٣ ــ أساليب الدعوة الرسولية بالإنجيل ١٤
٤ ــ تفصيل الإنجيل بحسب البيئات المختلفة ١٥
٥ ــ دور بولس في تفصيل الإنجيل ونقله إلى البيئة الهلنستية ١٦

الكتاب الأول

رسائل بولس إلى المسيحيين من الأمميين ١٩

مدخل لدرس الرسول ورسائله ١٩
أولاً : منزلة الرسول والرسالة ١٩
ثانياً : مصادر سيرة بولس ورسالته ٢٤
ثالثاً : القرائن التاريخية لتقويم سيرة بولس ودعوته ٢٨
رابعاً : تقويم بعض التواريخ في سيرة بولس ودعوته ٣٣
خاتمة : التقويم العام لسيرة بولس ودعوته ٤٠

الجزء الأول

الرسول ٤٣

الفصل الأول	: **سيرة بولس**	٤٥
توطئة	: سيرة بولس المسيحية ثلاثة عهود	٤٦
بحث أول	: نشأة بولس	٤٧
أولاً	: اسمه	٤٧
ثانياً	: مسقط رأسه، طرسوس	٤٧
ثالثاً	: بولس يجمع ثلاثة عوالم في شخصيته	٤٩
رابعاً	: تاريخ مولد بولس ـ عام ٣ م.	٥٠
خامساً	: تنشئة بولس على الثقافتين، اليونانية والإسرائيلية	٥١
سادساً	: بولس « رابّي » في طرسوس مدة عشر سنوات	٥٤
سابعاً	: بولس مضطهد المسيحية عام ٣٣	٥٥
بحث ثانٍ	: هداية بولس إلى المسيحية عام ٣٤	٥٨
أولاً	: قصة هداية بولس	٥٨
	١ ـ الرواية الأولى من لوقا المؤرخ	٥٩
	٢ ـ الرواية الثانية، على لسان بولس نفسه	٦٠
	٣ ـ الرواية الثالثة، على لسان بولس أيضاً	٦١

ثانياً	: أسباب هداية بولس	٦٣
ثالثاً	: موضوع الرؤية المعجزة، في هداية بولس	٦٦
رابعاً	: من الشهادة إلى الرسالة في الدعوة للمسيح	٦٧
بحث ثالث	: بولس « إنجيلي » (٣٤ ـــ ٤٥)	٦٩
توطئة	: صورتان متكاملتان لسيرة بولس في هذه الفترة	٦٩
	١ ـــ الصورة الأولى من لوقا	٧٠
	٢ ـــ الصورة الثانية من بولس نفسه	٧٠
أولاً	: دعوة بولس الأولى بدمشق « أياماً » عام ٣٤	٧٢
ثانياً	: بولس في « العربية » نحو ثلاث سنوات (٣٤ ـــ ٣٧)	٧٢
ثالثاً	: دعوة بولس الثانية بدمشق، عام ٣٧	٧٣
رابعاً	: بولس يزور بطرس في أورشليم عام ٣٧	٧٥
خامساً	: عزلة خمس سنوات في طرسوس	٧٨
سادساً	: بولس في أنطاكية العظمى مدة أربع سنوات (٤٢ ـــ ٤٥)	٧٩
بحث رابع	: بولس « رسول الأمميين »	٨٣
توطئة	: الاصطفاء للرسالة برسامة كهنوتية أسقفية	٨٣
أولاً	: **الرحلة الرسولية الأولى:** ثلاثة أعوام في الأناضول أي المشرق (٤٦ ـــ ٤٩)	٨٥
	١ ـــ المحطة الأولى، في جزيرة قبرص	٨٦
	٢ ـــ المحطة الثانية، في أنطاكية بسيذية	٨٦
	٣ ـــ المحطة الثالثة، في ايقونية	٨٧
	٤ ـــ المحطة الرابعة، في لسترة	٨٨

٥ ـ المحطة الخامسة، في دربة ٨٨
٦ ـ المحطة السادسة، في برجة، على طريق العودة ٨٩
ثانياً : المسيحية على مفترق الطرق ٩٠
١ ـ الجدل الأكبر بين المسيحية و« النصرانية » ٩٠
٢ ـ مجمع الرسل والكهنة في أورشليم، بخريف العام ٤٩ ٩٢
٣ ـ خلاف بولس وبطرس في أنطاكية العظمى ٩٥
ثالثاً : الرحلة الرسولية الثانية: ثلاثة أعوام في اليونان (٥٠ ـ ٥٢) ٩٨

توطئة : التوجيه والاستعداد لغزو أوربا للمسيح ٩٨
١ ـ المحطة الأولى، في فيلبي ٩٩
٢ ـ المحطة الثانية، في تسالونيكية ١٠٠
٣ ـ المحطة الثالثة، في بيرية ١٠١
٤ ـ المحطة الرابعة، بولس في أثينا، عاصمة اليونان ١٠٢
٥ ـ المحطة الخامسة، بولس في كورنثس عامَي (٥١ ـ ٥٢) ١٠٤
٦ ـ المحطة السادسة، في أفسس، على طريقة العودة ١٠٦
رابعاً : **الرحلة الرسولية الثالثة:** خمسة أعوام ما بين « آسيا » واليونان (٥٣ ـ ٥٨) ١٠٧
١ ـ في الطريق إلى أفسس، عام ٥٣ ١٠٧
٢ ـ بولس في أفسس، مدة ثلاث سنوات ١٠٨
٣ ـ بولس ما بين مقدونية وكورنثس، في صيف العام ٥٧ ١١٢

٤ ــ بولس في كورنش، في شتاء ٥٧ ــ ٥٨ ١١٤
٥ ــ رحلة بولس بتبرعات اليونان إلى أورشليم عام ٥٨ ١١٦
خاتمة البحث: لقد تمت الدعوة في العالم الهلنستي ١١٨

بحث خامس : بولس « أسير المسيح » مدة خمس سنوات (٥٨ ــ ٦٣) ١١٩

توطئة : بولس صورة المسيح في مسيرته إلى الأسر والاستشهاد ١١٩
أولاً : القبض على بولس، في هيكل أورشليم، العنصرة ٥٨ ١١٩
١ ــ توقيف بولس في هيكل أورشليم ١٢٠
٢ ــ دفاع بولس الأول أمام الشعب في أورشليم ١٢٠
٣ ــ دفاع بولس الثاني أمام السنهدرين في أورشليم ١٢٠
ثانياً : بولس « أسير المسيح »، سنتين في قيصرية فلسطين ما بـين (٥٨ ــ ٦٠) ١٢٢
١ ــ دفاع بولس الثالث أمام الوالي فيلكس ووفد السنهدرين ١٢٢
٢ ــ دفاع بولس الرابع أمام الوالي فستس والملك أغريبا الثاني ١٢٣
ثالثاً : الرحلة الخطرة بحراً إلى رومة، في شتاء العام ٥٠ ــ ٦١ ١٢٤
رابعاً : بولس « أسير المسيح » في رمة مدة « سنتين كاملتين » ١٢٤
خاتمة البحث: استيطان المسيحية في رومة، عاصمة « المسكونة » ١٢٦

بحث سادس : الجهاد الأخير والاستشهاد (٦٣ ــ ٦٧) ١٢٧

توطئة : المصادر لمعرفة آخرة بولس ١٢٧
أولاً : رحلة بولس إلى أسبانية ما بين (٦٣ ــ ٦٥) ١٢٩
ثانياً : الجولة الأخيرة على كنائسه الشرقية (٦٥ ــ ٦٦) ١٣٠
ثالثاً : توقيف بولس الثاني بأفسس، في آخر صيف العام ٦٦ ١٣١
رابعاً : أسر بولس الثاني، واستشهاده عام ٦٧ ١٣٣
خاتمة : بولس، الرسول الأول، والشهيد الأول ١٣٤

الفصل الثاني **شخصية بولس** ١٣٦

توطئة : بولس هو « الرسول » بعد السيد المسيح ١٣٧

بحث أول : بولس الرجل ١٣٩

أولاً : الإشارات المتشابهات ١٤٠
ثانياً : العلامات المطبوعات ١٤٤
ثالثاً : الأخلاق البينات ١٤٨

بحث ثان : بولس الصوفي المسيحي ١٥٢

توطئة : بولس شخصية دينية من الطراز الأرفع ١٥٢
أولاً : بولس، الصوفي الأول بحياته ١٥٣
١ ــ بولس هو « رجل الله » ١٥٣
٢ ــ الإيمان المطلق « بالرب يسوع »، « المسيح المخلص » ١٥٤
٣ ــ الاستسلام المطلق لروح الله والمسيح ١٥٦
٤ ــ بولس نجيّ الثالوث القدسي ١٥٧
٥ ــ بالروح يفهم بولس سر الله والكون والإنسان في المسيح ١٥٨
٦ ــ روح الصلاة عند بولس ١٥٩
٧ ــ بولس يجمع الصلاة الرسالة، الدعوة والعمل ١٦٠
ثانياً : بولس، الصوفي الأول بتعليمه ١٦١
١ ــ صوفية بالكسب والعطاء ١٦١
٢ ــ الصوفية المسيحية هي حياة الله الثالوث فينا ١٦١
٣ ــ عبقرية الصوفية المسيحية كما تظهر عند بولس ١٦٢
٤ ــ الصوفية المسيحية « حياة جديدة » ١٦٣
٥ ــ الصوفية المسيحية هي حياة « بنوة الله » فينا ١٦٤
٦ ــ الصوفية المسيحية تجعل الإنسان « خليقة جديدة » ١٦٥

٧ ــ فالعهد الجديد هو عهد الروح القدس ١٦٥
خاتمة : تصاريح بولس نتيجة خبرة روحية ١٦٦

بحث ثالث : بولس الرسول ١٦٧

توطئة : بولس شخصية جامعة ١٦٧
أولاً : هداية بولس إلى المسيحية ــ حقيقتها المعجزة ١٦٨
١ ــ تفسيرات قاصرة لهداية بولس ١٦٨
٢ ــ صحة الروايات في هداية بولس المعجزة ١٧٠
٣ ــ نوعية الحدث المعجز: أهو رؤيا روحية أم رؤية حسية؟ ١٧٢
٤ ــ مقارنة بين إيمان بولس وإيمان الرسل ١٧٤
ثانياً : هداية بولس وبعثته رسولاً ١٧٥
١ ــ الأسلوب في قصة هداية بولس كبعثة الأنبياء ١٧٥
٢ ــ هل كانت هداية بولس وبعثته في وقت واحد؟ ١٧٧
٣ ــ هل الرسالة عند بولس والاثني عشر واحدة؟ ١٨٠
١) الواقع الرسولي: المؤسسات الرسولية للدعوة الإنجيلية ١٨٠
٢) رسالة بولس من رسالة الاثني عشر ١٨٧
٤ ــ « إنجيل » بولس، والإنجيل بحسب الرسل الاثني عشر ١٩٠
١) أساليب الدعوة الرسولية ثلاثة ١٩٠
٢) الإنجيل بحسب بولس وبحسب الاثني عشر واحد في الموضوع ١٩٢
٣) لكن الإنجيل بحسب بولس يختلف بالأسلوب ١٩٤
ثالثاً : كيف فهم بولس الرسالة والدعوة ١٩٥
١ ــ بولس نبي الإنجيل ١٩٥
٢ ــ بولس « رسول العهد الجديد » ١٩٦
٣ ــ بولس داعي الله ومصطفى المسيح ١٩٧

	٤ ــ بولس « سفير المسيح »	١٩٨
	٥ ــ بولس « الوكيل على أسرار الله »	١٩٨
	٦ ــ بولس « خادم المسيح »	١٩٩
	٧ ــ بولس « حبر » في « ليترجيا إنجيل الله »	١٩٩
	٨ ــ بولس « عبد يسوع المسيح »	٢٠٠
	٩ ــ بولس « نصير المسيح »	٢٠٠
	١٠ ــ بولس الشاهد للمسيح	٢٠١
	١١ ــ بولس المجاهد الأول في سبيل المسيح	٢٠٢
	١٢ ــ بولس صورة للمسيح الرسول	٢٠٢
رابعاً	: خُطَط بولس في رسالته	٢٠٣
	١ ــ التخطيط للرسالة عند بولس	٢٠٣
	٢ ــ بعض خُطَط بولس في رسالته ودعوته	٢٠٤
بحث رابع	: بولس المفكّر	٢٠٦
توطئة	: بولس رجل فكر من الطراز الأول	٢٠٦
أولاً	: مصادر الفكر لدى بولس	٢٠٨
	١ ــ في طرسوس: الثقافة اليونانية	٢٠٩
	٢ ــ في أورشليم: الثقافة الإسرائيلية	٢١٠
	٣ ــ بولس « رابي » في طرسوس: المقابلة بين الثقافتين	٢١١
	٤ ــ هداية بولس، وعزلته الأولى لدرس المسيحية	٢١١
	٥ ــ عزلة بولس الثانية في طرسوس، مدة خمس سنوات	٢١٤
ثانياً	: تأثير ثقافة بولس في عقيدته المسيحية	٢١٥
	١ ــ أثر الثقافة الإسرائيلية في مسيحية بولس	٢١٥
	٢ ــ أثر الثقافة اليونانية في مسيحية بولس	٢١٨
	٣ ــ تهلين الأسلوب ليس بتهلين العقيدة	٢١٩

	١) فبولس لم يتأثر بالفكر الهلنستي، بل بأسلوبه	٢١٩
	٢) وبولس لم يتأثر بالكلام اليهودي، بل بأسلوبه	٢٢١
	٣) وبولس لم يتأثر بالغنوص الشرقية، بل نقضها بلغتها	٢٢٣
ثالثاً	: المشكل الأكبر، استخدام أم تلفيق؟	٢٢٧
	١ ـ بولس أول من فلسف المسيحية بالكشف والكسب	٢٢٧
	٢ ـ فالوحي يقود بولس في عمله وفي تفكيره	٢٢٨
	٣ ـ وهو رجل السنة الرسولية	٢٢٩
	٤ ـ « مشاكلة » في التعبير، لا « مطابقة » في التفكير	٢٣٠
خاتمة	: عبقرية بولس	٢٣١
	●	
الفصل الثالث	: **أسلوب بولس**	٢٣٣
توطئة	: بولس الخطيب والكاتب والمتكلم	٢٣٤
بحث أول	: الأسلوب العام ـ أدب المراسلة المسيحية	٢٣٥
أولاً	: لغة رسائل بولس	٢٣٥
ثانياً	: اللغة اليونانية كانت لغة ثانية فطرية عند بولس	٢٣٥
ثالثاً	: لغة المراسلة وأدبها	٢٣٦
رابعاً	: المشكل البياني: أهي رسائل أم مكاتيب؟	٢٣٧
خامساً	: أسلوب المراسلة عند بولس	٢٣٧
سادساً	: رسائل بولس صور لصراع المسيحية في بيئات مختلفة	٢٣٨
سابعاً	: رسائل بولس « تعليم » و« حكمة للبالغين » في المسيح	٢٣٩
ثامناً	: إنجيل بولس هو حكمة الإنجيل	٢٣٩
تاسعاً	: صفات بولس الكاتب في رسائله	٢٤٠
عاشراً	: أساليب بولس في رسائله	٢٤١

بحث ثانٍ	: الأسلوب اللغوي	٢٤١
بحث ثالث	: الأسلوب البياني ــ ثلاثون فنّاً منه.	٢٤٣
بحث رابع	: الأسلوب الإنشائي	٢٥٢
	١ ــ الظاهرة العامة: أسلوبه أقرب إلى النظم المرسل	٢٥٣
	٢ ــ ظاهرة الحوار	٢٥٥
	٣ ــ المطابقة أو المقابلة في التعبير والتفكير	٢٥٥
	٤ ــ فنّ الاستطراد، والاستدراك	٢٥٦
	٥ ــ حسن التأليف، وفيه فنون	٢٥٧
	٦ ــ قوة التخطيط	٢٥٨
	٧ ــ الاقتدار الفني، باستجماع أساليب عديدة	٢٥٩
بحث خامس	: الأسلوب الخطابي	٢٥٩
توطئة	: النزعة الخطابية في الرسائل	٢٥٩
	١ ــ خطابته تنبض بالحياة والحركة	٢٦٠
	٢ ــ أسلوب الحوار يزيد الخطابة حياة	٢٦٠
	٣ ــ الأطناب في تراكم التعابير والصور	٢٦٢
	٤ ــ التمثيل والتشخيص في الخطابة	٢٦٢
	٥ ــ فنون البيان تزيد الخطابة تبياناً	٢٦٣
	٦ ــ التفنّن بأساليب الحمد	٢٦٤
	٧ ــ ظاهرة إطلاق الأحكام حكماً	٢٦٤
	٨ ــ ما بين المداعبة والمجاهدة	٢٦٥
	٩ ــ ما بين التهكّم والتهجّم	٢٦٦
	١٠ ــ القياس الخطابي	٢٦٦

بحث سادس : الأسلوب الكلامي ٢٦٧

١ ـ النزعة الكلامية في تعليم بولس ٢٦٧
٢ ـ أساس الكلام الفكري والتعبيري عنده ٢٦٨
٣ ـ أسلوب بولس الكلامي يقوم على العَرْض ٢٦٩
٤ ـ ما بين الكلام البولسي والبلاغ الرسولي ٢٧٠
٥ ـ ما بين العهد القديم والعهد الجديد ٢٧١
٦ ـ محور الكلام البولسي: تحدّي الشريعة والحكمة والغنوص ٢٧٢
٧ ـ بناء الشريعة والصوفية على العقيدة ٢٧٣

بحث سابع : الأسلوب القَصَصي ٢٧٤

١ ـ ميزات القَصَص عند بولس ٢٧٤
٢ ـ القَصَص عنده على أنواع ٢٧٥
٣ ـ الأسلوب الأرامي في نظم القَصَص ٢٧٥

بحث ثامن : الأسلوب الإنشادي ٢٧٧

توطئة : ظاهرة الأناشيد عند بولس ٢٧٧
١ ـ صحة الأناشيد عند بولس ٢٧٨
٢ ـ أسلوب الأناشيد عند بولس ٢٧٩
٣ ـ سبع أناشيد لبولس ٢٨٩
خاتمة : رسائل بولس جوهرة يتيمة ٢٩٣